البلاغة العربية

بين التقليد والتجديد

تأليف

د. محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ والعميد بجامعة الأزهر

د. عبد العزيز شرف
أستاذ الإعلام الإسلامي

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

- ١ -

ليس من شك فى أن فساد الأذواق ، وانحراف الملكات ، وتضاؤل الطبع فى نفوس العرب ، بعد اتساع الفتوحات الاسلامية ، وامتزاج العرب بالشعوب المغلوبة ، وظهور أثر هذا الامتزاج فى الألسنة والطباع ، ليس من شك فى أن ذلك كله كان الباعث على تدوين أصول لتكون ميزانا سليما توزن به بلاغة الكلام ، ولتعصم هذه الأصول الأدباء والمتأدبين من الخطأ فى الأسلوب والبيان ٠٠ ويضاف الى ذلك عامل آخر بعيد الأثر فى تدوين البلاغة ، هو الرغبة فى فهم أسرار اعجاز القرآن الكريم ، واقامة الأدلة العلمية على هذا الاعجاز ٠

ولقد أخذ النقاد والأدباء والكتاب فى القرن الثانى يحاولون فهم أسرار البيان ووضع أصول موجزة تحدد آراءهم فى جمال الأسلوب ، واشترك فى النهوض بهذا العبء منذ العصر الأموى كثيرون ، فى مقدمتهم : أئمة الشعر والخطابة وفحول الكتاب والرواة وعلماء الأدب من بصريين وكوفيين وبغداديين ، ورجال النقد الذين جمع الكثير منهم مع الثقافة العربية ثقافات أخرى ٠ ونشأت من ذلك آراء كثيرة فى البيان وتحديده ٠ نجدها فى مصادر كتب الأدب والنقد والبلاغة ٠

ثم ألفت فى القرن الثالث كتب تجمع كثيرا من الآراء والدراسات الموجزة حول البيان وبحوثه ، ومن هذه الكتب :

اعجاز القرآن لأبى عبيدة م ٢٠٧ هـ ، والفصاحة للدينورى م ٢٨٠ هـ ، وصناعة الكلام للجاحظ ، ونظم القرآن والتمثيل له أيضا ، والبلاغة وقواعد الشعر للمبرد ٠ والبلاغة للحرانى ، وقواعد الشعر لثعلب ، والبلاغة والخطابة للمروزى ، والمطابق والمجانس لابن الحرون ، وتهذيب الفصاحة لأبى سعيد الأصفهانى ، واعجاز القرآن فى نظمه وتاليفه للواسطى المعتزلى ـ ٣٠٦ هـ) - وصنعة البلاغة للباحث ٠

على أن أهم الكتب التى تناولت بعض مسائل البيان بالبحث ، أو التى ألفت فيها خاصة هي : البيان والتبيين للجاحظ ، وهو أهم ما ألف فى هـذا الطور من كتب تتصل ببلاغات العرب نثرا وشعرا ، وتتعرض لتحديد البلاغة والبيان وما حولهما من آراء كانت ذائعة فى عصر الجاحظ ، وفيه كثير من بحوث البيان وأصوله ·

ولا يضير الجـاحظ أن كانت دراسـاته موجزة مفرقة كمـا يقول أبو هلال (١) ؛ فهى على كل حال ذات أثر كبير فى نشأة البيان ، وهى التى أوحت الى كثير أن يعدوا الجـاحظ الواضع الأول لعلم البيان · ومن الخطأ التهوين من أثر الجاحظ فى البيان ، كما ذهب اليه بعض الباحثين ·

وعلى نهج الجاحظ سار المبرد فى كتابه الكامل ، ففيه آراء كثيرة وروايات مدونة تتصل بالبيـان وموضوعاته ·· وكذلك ابن المدبر فى كتـابه الرسـالة العذراء ، ثم ابن عبد ربه فى العقد ، والحصرى فى زهر الآداب ، وسواهم ·

ويبـدأ التدوين فى صميم البيـان بتأليف ابن المعتز (٢٤٧ ـ ٢٩٦ هـ) كتابه « البديع » عام ٢٧٤ هـ ؛ وقد ذكر فيه مؤلفه ألوان البديع وهى : الاستعارة ـ التشبيه ـ التجنيس ـ المطابقة ـ رد العجز على الصدر ـ المذهب الكلامى ـ الالتفات ـ الاعتراض ـ الرجوع ـ حسن الخروج ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم ـ تجاهل العارف ـ حسن التضمين ـ التعريض والكناية ـ الافراط فى الصفة ـ لزوم ما لا يلزم ، وهذه الألوان كلها هى موضوع علم البيان والبديع ·

وبعد ذلك ظهر كتاب نقد الشعر لقدامة ، وقد تكلم فيه عن سر الجمـال وأسباب القبح فى الشعر وعناصره : اللفظ والمعنى والوزن والقافية · وعرض بسبب ذلك لكثير مما عرض له ابن المعتز ، وزاد عليه أنواعا كثيرة ·

ثم ظهر نقد النثر ، وهذا الكتاب صورة قوية لفهم مؤلفه للبيان وأقسام الكلام وألوان الأساليب ، مما تأثر فيه بذوقه العربى وثقافته اليونانية معا ·

أما كتاب الصناعتين لأبى هـلال المتوفى نحو عام ٣٩٥ هـ ، ففيه تحديد للبلاغة والبيان وأوصافهما وشرح الآراء فيهما ، وذكر لألوان البديع وللسرقات الشعرية وغيرها · وقد تأثر فيه أبو هلال بالجاحظ وابن المعتز وقدامة الى حد بعيد ·

---

(١) ٦ و ٧ الصناعتين ·

ومن الكتب التى تتعرض لبحوث البيان : الموازنة للآمدى ، والوساطة للجرجانى ، واعجاز القرآن للباقلانى ، والعمدة لابن رشيق وهو اكثرها اتصالا بالبلاغة ، وسر الفصاحة لابن سنان ، وهو كتاب جليل فى البيان والنقد والأدب ، مؤلفه هو الأمير ابن سنان الخفاجى الحلبى (٤٢٢ ــ ٤٦٦ هـ) ٠

- ٢ -

وجاء بعد ذلك ابو بكر عبد القاهر الجرجانى شيخ البلاغة العربية والمتوفى عام ٤٧١ هـ ٠ فالف فى البلاغة كتابين جليلين هما :

١ ــ أسرار البلاغة ، وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة ، وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع ٠

٢ ــ دلائل الاعجاز ، وفيه بحوث كثيرة هى أصول علم المعانى ٠ كما أنه تحدث فيه عن الكناية والتمثيل والمجاز والاستعارة والسرقات ٠ وهذه البحوث كلها هى عنده علم البيان ٠

ولايزال هذان الكتابان عمدة الباحثين فى البيان العربى حتى الآن ، وهما أهم مصدر للسكاكى المتوفى عام ٦٢٩ هـ فى كتابه المفتاح ، وأكثر أراء السكاكى ومذهبه فى البيان مستمد منهما ٠٠ وعلى نهج السكاكى سار الخطيب م ٧٣٩ هـ فى الافادة من عبد القاهر والانتفاع بآرائه فى تقويم البيان العربى ورفع صرحه العلمى السامق ، مما ظهر أثره واضحا جليا فى كتابه «الايضاح» ٠٠ وفى أول عصر النهضة بدأ الاهتمام بكتابى عبد القاهر ينمو ، والاقبال عليهما يزداد ، وذلك بفضل توجيه قائد النهضة الفكرية الحديثة الامام محمد عبده ، وهو الذى أشرف على نشر الكتابين وقام بمراجعتهما ٠

- ٣ -

هذا ويذكر ابن الأثير أن الشعر والخطابة فى الأدب العربى لم يتأثرا بثقافة اليونان البيانية ، وينفى أن يكون هو قد تأثر فى رسائله وكتابته بما ذكره علماء اليونان فى حصر المعانى ، ويقرر أنه اطلع على ما كتبه ابن سينا فى الخطابة والشعر فلم يوافق ذوقه ، وأن ما ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربى شيئا (١) ٠

---

(١) ٢٠ المثل السائر ٠

ويرى باحث محدث أنه كان للبلاغة اليونانية أثر فى علم البيان العربى (١) ويرى آخر أن أرسطو المعلم الأول للمسلمين فى علم البيان (٢) وأن الكتاب والمتكلمين الذين عاشوا فى القرن الثانى وأثروا فى البيان وتطوره جلهم أعاجم (٣) ، وأن متكلمى المعتزلة بتضلعهم فى الفلسفة اليونانية من مؤسسى البيان العربى ، وأنه حتى منتصف القرن الثالث لم يوجد الا بيان عربى واحد كان لايزال فى دور الطفولة وكان خصبا جامعا للروح العربى والفارسى واليونانى ، ثم وجد من ذلك الوقت بيانان : عربى بحت ويونانى يجهر بالأخذ عن أرسطو (٤) ، وحتى العربى البحت تأثر باليونان (٥) ٠

وترجم كتاب الخطابة لأرسطو فى النصف الثانى من القرن الثالث ٠ وجاء قدامة فاستفاد من كتاب الخطابة وفهم منه كل ما يمكن أن ينتفع به وطبقه على الشعر العربى ٠ وكان يجهل كتاب الشعر (٦) ، وقد درس قدامة الفلسفة وخاصة المنطق ٠٠٠ على أن تشريع الفلسفة للأدب فى رأى الدكتور طه حسين يظهر أول مرة فى « نقد الشعر » ثم فى « نقد النثر » الذى هو مستمد من آراء أرسطو فى الجدل والقياس والخطابة ، ثم يظهر عند عبد القاهر واضحا جليا ٠

ونقول : ان المشتغلين بالفلسفة اليونانية قد اشتركوا مع الجماعات الأخرى فى خدمة البيان ، واستعانوا بطرق اليونانيين ومناهجهم فى دراسات البلاغة والتأليف فيها ، كما أن للفرس وما ترجم من قواعد بلاغتهم أثرا ما فى البلاغة العربية (٧) ٠

واذن ففى البيان العربى عناصر ثلاثة : عنصر عربى ، وعنصر فارسى وعنصر يونانى ، ولا شك أن واضعى البيان قد أفادوا من هذه العناصر الثلاثة الى حد كبير ٠

---

(١) ٢٧٧ ج ١ ضحى الاسلام ٠

(٢) ٣١ مقدمة نقد النثر ٠

(٣) ٦ المرجع ٠

(٤) ٨ مقدمة نقد النثر ٠

(٥) ص ١١ المرجع ٠

(٦) ص ٧ المرجع ٠

(٧) يقول أبو هلال : وكان عبد الحميد الكاتب قد استخرج أمثلة الكتابة التى رسمها من اللسان الفارسى فحولها الى اللسان العربى الخ ٠

ويقول باحث محدث : يستطيع الباحث ان يقرر مطمئنا ان نشأة البلاغة كانت عربية ؛ لكنه لا يستطيع ان ينكر ان العنصر الأجنبى قد اتصل بها فأخذ يؤثر فى تطورها ويبعدها عن الطريقة الأدبية العربية ويسيطر عليها ؛ حتى اذا اشتد سلطان هذا العنصر صارت فلسفة خالصة على ايدى السكاكى واصحابه (١) ٠

- ٤ -

وبعد ، فان العلماء يختلفون فى واضع البيان العربى اختلافا كثيرا :

فبعضهم يذهب الى ان واضعه هو الجاحظ ، الذى كان اول من اهتم به والف فى بحوثه ، وجمع آراء كثيرة فيه فى كتابه « البيان والتبيين » وهو الدكتور طه حسين (٢) ومن ذهب مذهبه ٠

ويرى البعض ان نشأة البلاغة قديمة وانها سبقت القرآن وتطورت بعده (٣) ٠ ولا شك ان صاحب هذا الرأى لا يفرق بين البلاغة كفن وبينها كعلم ؛ فلا شك أن الأدب وخواصه الفنية موجودان من قديم ، وأما معرفة هذه الخصائص ودراستها على انها علم وقواعد فلم توجد الا بعد القرن الثانى ، « فعلم البلاغة اسلامى لا عهد للجاهليين به » (٤) ، « والبلاغة باعتبارها علما مدروسا ليست من علوم العصر الجاهلى انما هى دراسة متأخرة فى نشأتها » (٥) ٠

ويذهب باحث محدث الى ان سيبويه امام النحو العربى المتوفى عام ١٨٩ هـ هو الذى بدأ بوضع علم البيان والبلاغة (٦) ٠

---

(١) ص ٥٢ البلاغة العربية فى دور نشأتها ـ للدكتور سيد نوفل ط ١٩٤٨ ـ مكتبة النهضة ٠

(٢) راجع ٣ و ٣٠ و ٣١ مقدمة نقد النثر للدكتور طه حسين طبع لجنة التاليف ، و ١٧٠ البلاغة العربية فى دور نشأتها ٠

(٣) ١/٤٨ النثر الفنى ٠

(٤) ٢٦ تاريخ البلاغة العربية ـ احمد شعراوى ـ مخطوط بمكتبة كلية اللغة ٠

(٥) ٤ و ٥ مجلة الأدب والفن عدد نوفمبر ١٩٤٥ من مقال « خواطر فى الأدب العربى » للأستاذ جب ٠

(٦) محاضرة القاها الأستاذ احمد مصطفى المراغى عام ١٩٤٢ ٠

ويذهب كثيرون الى ان واضع البيان العربى هو عبد القاهر الجرجانى المتوفى عام ٤٧١ هـ ، ومن هؤلاء صاحب الطراز : على بن حمزة العلوى ، قال فى مقدمة كتابه ما نصه :

واول من اسس من هذا الفن قواعده ، واوضح براهينه ، واظهر فوائده ورتب افانينه ؛ الشيخ العالم النحرير ، علم المحققين ، عبد القاهر الجرجانى ٠

ويذهب اخـرون الى انه السكاكى ، وانه هو الذى اسـتبد بشرف وضع علم البيان ؛ ويخطىء كثيرون حين ينسبون القول بذلك الى ابن خلدون ، لأن ابن خلدون قال فى مقدمته : « واطلق على الثلاثة ، عند المحدثين ، اسم البيان وهو اسم للصنف الثانى ، لأن الاقدمين اول من تكلموا فيه ، ثم تلاحقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى ، وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم املاءات غير وافية ؛ ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا ، الى أن مخض السكاكى زبدته ، وهذب مسائله ، ورتب ابوابه ، على نحو ما ذكرناه آنفا من الترتيب ؛ والف كتابه المفتاح (١) ، فابن خلدون انمـا يعنى أن السكاكى هو الذى هذب مسائل البيان ورتب أبوابه ، مع اعترافه بأن البحث البيانى قديم ، والتاليف فى مسائله سابق على عصر السكاكى بقرون ؛ فهو يعترف للسكاكى بميزة التهذيب والترتيب لمسائل البيان العربى ، ولم يعترف بأنه هو واضع البيان ؛ وفرق كبير بين الرأيين عند النظر ٠

وفى رأينا ان عبد الله بن المعتز الشـاعر العبـاسى المشهور المتوفى عام ٢٩٦ هـ هو أول مؤلف فى البيان والبلاغة ، وذلك بتاليفه كتابه « البديع » ، الذى هو أول عرض لموضوعات علمى البيان والبديع ، بنظام سهل جميل مع الشواهد والأمثلة ، اما الجاحظ فلم يكن له هذا الشرف ، لأن البيان والبلاغة عنده أقوال مفرقة ، وكلمات مروية ، وآراء عامة ؛ واما عبد القاهر فقد اتى بعد كثير من العلماء الذين افاد منهم ، وقبس من دراستهم ؛ وأما السكاكى فقد نهج نهج عبد القاهر مع شىء من التفلسف وعمق الافادة من المنطق فى دراسة البيان ، ومع التحديد والتقسيم والتبويب والتمييز بين بحوث البيان والمعانى ٠

اما ان ابن المعتز اول مؤلف فى علم البديع فبدهى لا يحتاج الى جدل ، واما انه اول مؤلف فى علم البيان ، فلأنه بحث التشبيه والاستعارة والكناية فى كتابه ، وان كان ذلك بوجه اجمالى بسيط ، وأما علم المعانى فليس لابن المعتز ولا لكتابه اثر فيه ٠٠٠ ونحن كذلك لا نسند وضع علم المعانى الى عبد القاهر

---

(١) ٥٥٢ المقدمة لابن خلدون ـ طبع التجارية ٠

لأن دراسته له قد سبقتها دراسات كثيرة من أهمها دراسة : مؤلف نقد النثر ، والآمدى فى الموازنة ، وقدامة فى نقد الشعر ، والباقلانى فى اعجاز القرآن ، وابن سنان فى سر الفصاحة ، وابن رشيق فى العمدة ٠٠ واذا كانت مباحث علم المعانى عند هؤلاء غير مميزة ، فنستطيع أن نقول انها كذلك عند عبدالقاهر ، وان كان أكثر احاطة وتفصيلا ونقدا وتحليلا : وهى ـ ومثلها دراسات البيان والبديع لم ترتب وتوضع فى الصيغة الأخيرة لها الا بجهود السكاكى الذى فهم عبد القاهر فهما بعيدا ، ولقط منه كل شاردة ، وأخذ عنه كل أفكاره ، بل أخذ بعض الآراء التى أبطلها عبد القاهر فجعلها رأيا له ، مع الترتيب والتبويب والتنسيق ٠

والباحثون يعترفون بأثر ابن المعتز وكتابه فى دراسات البلاغة والبيان : يقول المستشرق كراتشكوفسكى الذى نشر البديع لأول مرة فى أوربا ، فى مقدمته التى كتبها بالانجليزية للكتاب ؛ مصورا أثره فى تاريخ علم البديع : ان لهذا الكتاب أثرا فعالا فى تطور هذا الفرع من المعرفة الذى ألف فيه ، وقل من الكتب فى موضعه ما يدانيه تأثيرا فى الأجيال التى تلته ، بل ندر أن يجد الانسان فى كتاب مسألة أساسية ليس لها أصل فى كتاب ابن المعتز الذى نهج نهجا جديدا ٠

ويقول باحث محدث : قد أثر الكتاب فى تاريخ علوم البلاغة كلها فقد كان البديع لذلك العصر يشمل المعروف من ألوان البلاغة كلها ، وقد تحدث ابن المعتز فيه عن الاستعارة والتشبيه والكناية ، ولا نستطيع الحكم على مقدار ابتكاره فى هذه الفنون والمحاسن ٠ لكن التشبيه والاستعارة والتعريض والكناية ، قد سبق بها ، والمذهب الكلامى منقول عن الجاحظ ، ومهما يكن من شىء فلو لم يكن له من جهد سوى التنظيم والجمع لكفاه ٠

وعلى أى حال فذلك لا يغض من شرف عبد القاهر ومنزلته فى البيان العربى ؛ فاننا لا نشك فى أن عبد القاهر أسس مدرسة بيانية ، قوامها الذوق وعمق النقد والفهم والتحليل للأدب ، والموازنة بين شتى مأثوراته ، وهو الذى عرض لمسائل البيان بالتفصيل والاطناب والتحليل والتمثيل ، وأفاد منه جميع من أتى بعده من رجال البيان والبلاغة ٠

يقول كاتب (١) : استقر بين العلماء والأدباء ، ليس ابن خلدون ، أن الامام عبد القاهر الجرجانى هو مؤسس البلاغة العربية ، وأول من أقام

---

(١) هو الأستاذ رياض هلال من كلمة نشرها بمجلة الأزهر ٠

عمدها ، ووضع لها الصوى والاعلام ، وإخذ بضبعيها ، وأناف بها على اليفاع وسن لها رسوما وقوانين تعرج عليها ، باسلوب لا يقوم بفصاحته لسان ، قال السيد يحيى بن حمزة الحسينى صاحب « الطراز فى علوم حقائق الاعجاز » فى فاتحة كتابه هذا ، وهو من هو علما وفضلا : « وأول من أسس من هـذا الفن قواعده ، وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ورتب افانينه ، الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجانى · فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد ، وهو من صور المشكلات بالتسوير المشيد ، وفتح أزاهره من اكمامها ، وفتق ازاهره بعد استغلاقها واستبهامها ، وله من المصنفات فيه كتابان : أحدهما لقبه بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه بأسرار البـلاغة ، ولم اقف على شيء منهمـا مع شغفى بحبهما ، وشدة اعجابى بهمـا ، الا ما نقله العلمـاء فى تعـاليقهم منهما » ·· وغير صاحب الطراز ممن يعتقدون أن عبد القاهر هو مؤسس فن البلاغة كثير ، وان لهم من كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، لدليلا أى دليل ، وحجة ليس بعدها من حجة ، تصحح ما ذهبـوا اليه ، وتقنع كل جاحد مباهت ، ولكنا نسائلهم : هل ابتكر عبد القاهر كل هـذه المباحث ابتـكارا ، وارتجلها ارتجالا ، فهو ابن بجدتها وأبو عذرها ؟· وانا لنعفيهم من الاجابة فنقول : ان عبد القاهر وجد لمن سبقه من العلماء والأدباء بحوثا وآراء فى البيان العربى متفرقات فى أثناء كتب النقد والأدب ، فعمد اليها ولم شملها وجمع شتاتها ، وضم الالف الى اليفه ، والنسيب الى نسيبه ، فكان له من كل ذلك مجموعة ضمنها كتابيه : أسرار البـلاغة ، ودلائل الاعجـاز ، وهو تارة يقر بالفضل لأربابه فيصرح بأسمائهم ، وتارة يغفلهم ويضرب عنهم صفحا ، فيظن بعض الناس ان المبحث من بنات أفكاره وكد ذهنه وعرق جبينـه ، ولو علموا لرجعوا كل شيء الى اربابه ، وأقروا الأمر فى نصابه · ولسـنا ننـكر أن عبد القاهر قد ابتكر فى البيان العربى وارتجل فى ابحاثه ، كما لا نجحد أنه فصل بعض ما أجمله العلماء قبله ، وشرح بعض ما قالوه ، ونوع الأمثلة ، وأتى بأمداد من الشعر والنثر متوافرة ؛ ولكنـا ننـكر أن يكون هو مؤسس فن البلاغة برغم ما يقوله صاحب الطراز ؛ وعبد القاهر نفسه يقر بأنه أفاد ممن تقدمه ممن كتبوا فى البلاغة والفصاحة ، وينعى على الناس عدم تدبرهم لكلام العلماء وانعامهم النظر فيه ، حتى ادخلوا الضيم على علم الفصاحة والبلاغة فيقول فى « دلائل الاعجاز » (١) : اعلم أنك لاترى فى الدنيا علما قد جرى الأمر فيه بديئا وأخيرا على ما جرى عليه فى علم الفصاحة والبلاغة ، أما البدىء فهو أنك لا ترى نوعا من أنواع العـلوم الا واذا تأملت كـلام الأولين الذين علموا الناس ، وجدت العبارة فيه أكثر من الاشارة والتصريح أغلب من التلويح ،

---

(١) ص ٣٤٩ ·

والأمر فى علم الفصاحة بالضد من هذا ، فانك اذا قرات ما قاله العلماء فيــه وجدت جله أو كله رمزا ووحيا ، وكناية وتعويضا ، وايماء الى الغرض من وجه لا يفطن له الا من غلغل الفكر وأدق النظر · ومن يرجع من طبعه الى ألمعية يقوى معها على الغامض ويصل بهــا الى الخفى ، حتى كان بســلا حراما أن تنجلى معانيهم سافرة الأوجه لا نقاب لها ، وبادية الصفحة لا حجاب دونها ·· وأما الأخير فهو أنا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم فى شىء من العلوم أن يحفظوا كلاما للأولين ويتدارسوه ويكلم به بعضهم بعضا من غير أن يعرفوا له معنى ويقفوا منه على غرض صحيح ، ويكون عندهم أن يسألوا عنه بيان له وتفسير ، الا علم الفصاحة ، فانك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم ألفاظا للقدماء ، وعبارات من غير أن يعرفوا لها معنى أصلا ، أو يستطيعوا أن يسألوا عنها أن يذكروا لهــا تفسيرا يصح » ·· وسنرى أن عبــد القــاهر قد أسرف فى دعواه أن العلماء لم يتجاوزوا التلميح الى التصريح والاشارة الى العبارة فى مسائل البلاغة والفصاحة ؛ وأنه فى كثير من المباحث لم يزد على ما قالوه الا فى الأمثلة والشواهد ·

- ٥ -

وقد عرض الأستاذ أحمد المراغى فى كتابه « بحوث وآراء فى البلاغة » لعبد القاهر : فذكر رأى عبد القاهر فى الفصاحة والبلاغة وهل يرجعان الى اللفظ أو الى المعنى (١) ، ثم ذكر أثر عبد القاهر فى بناء البلاغة العربية وقال : وفى الحق أن كتابيه يعدان أول المؤلفات العلمية فى هذه الفنون ، بما اشتملا عليه من التحقيق العلمى للمسائل التى تناولها فى عرض كلامه ، وبما سلك فيهما من نهج أدبى مقرون بتــدقيق منطقى بديع ؛ مع بقــاء الأسلوب الأدبى ظاهرا لم تشبه هجنة ، فلا غرو أن قيل ان أول من وضع هذه الفنون عبد القاهر الجرجانى · كما أن من الحق أنقول أيضا : ان عبد القاهر بوضعه هــذين الكتابين أوجد علوم البــلاغة كاملة فكل من جاء بعــده قبس من نور علمه ، وما لم يتعرض له من مسائلها وزادوه فيها بعده ، فهو قشور ، تركها لا يضير الأديب (٢) ·

---

(١) ص ١٠ ــ ٣٨ المرجع ط ١٩٤٠ ·

(٢) ص ٥٨ المرجع ، ويقول فى موضع آخر عن عبد القــاهر : « أحيــا موات هــذا العلم ، وأنشأ فيه نهضة جــديدة ، واستعار شــيئا من التحقيق العلمى والبحث الفلسفى لاثبات مسائل هذا العلم ، باسراف حينا واقتصــاد حينا آخر ، مع بقاء الصبغة الأدبية سليمة لا يعتورها وهن ولا ضعف (ص ٦٠ المرجع) ·

وقال فى موضع آخر : وفى الحق أن هذا البيان كان وليد احتكاك العرب والعجم الذين حذقوا لغاتهم واللغة العربية ، ونتاجا لازدواج هاتيك اللغات بعضها ببعض ٠ ولم يكن بالعربى البحت الذى أنتجته القرائح العربية الخالصة ، فتاريخ الأدب حافل بأسماء الأدباء والكتاب من الموالى الذين كان يشار اليهم بالبنان فى رقى الأدب » (١) ٠

ويقول عن كتابى عبد القاهر : أسلوبه فيهما يجمع بين الطريقتين : ففيه قوة الجدل المنطقى ، وله المعرفة باصطلاح الفلاسفة والمتكلمين ، الى الروح الأدبى والقدرة على النقد وصنعة الكلام ، الا أن أسلوبه فى دلائل الاعجاز أميل الى طريقة المتكلمين ، بينما تراه فى « أسرار البلاغة » عربى الأسلوب ، وفى تعبيره رونق وطلاوة ، مع سهولة وجزالة ، وعذوبة وسلاسة الى قوة الشكيمة فى الحجاج ، وتمام الآلة فى الجدال ، مع ميل الى الأسلوب والبسط فيما يريد اثباته من القضايا ، واحالة للمخاطب على الذوق وادراك الجمال الفنى بنفسه ، ويصل الى ما قد وصل الى ادراكه بعد طول البحث والاختيار » (٢) ٠

ويقول الدكتور طه حسين فى مقدمة كتاب نقد النثر ما نصه : لم تلق « خطابة » ابن سينا ولا « شعره » — وهما شرح وتحليل لفلسفة أرسطو ولآرائه فى الخطابة والشعر ، وقد جعلها ابن سينا من فنون كتابه « الشفاء » — قبولا لدى الفلاسفة الذين جاءوا من بعده ٠

على أن مجهود ابن سينا لم يكن ليذهب عبثا ، لقد عرب كتاب « الخطابة » — لأرسطو — اذا صح هذا التعبير ، وجعله فى متناول الفكر العربى ، وبذلك هيأ أسباب التوفيق بين البيانين : العربى ، واليونانى — اللذين عاشا متجاورين دون أن يتلاقيا ويتآلفا ٠

وقد تحقق هذا التوفيق فى القرن الخامس على يدى عبد القاهر الجرجانى (٣) :

صنف عبد القاهر كتابين يعتبران بحق أنفس ما كتب فى البيان العربى هما : أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ٠

---

(١) ٥٥ المرجع ٠
(٢) ص ١٢٩ و ١٣٠ المرجع ٠
(٣) ص ٢٨ مقدمة نقد النثر للدكتور طه حسين طبعة سنة ١٩٣٩ بالقاهرة ٠

فعندما نقرأ أولهما تكاد تجزم بأن المؤلف قرأ الفصل الذى عقده ابن سينا للعبارة ، وأنه فكر فيه كثيرا ، وحاول أن يدرسه دراسة نقد وتمحيص ، والواقع أنه درس « الحقيقة » و « المجاز » ، فتبين له أن تصور القدماء للمجاز مضطرب غير مستقيم ، فابتدأ يوضح مبهمه ، ويجلو غامضه ؛ وقسم المجاز الى نوعين : لغوى وعقلى ؛ ثم قسم اللغوى الى قسمين : أحدهما يقوم على التشبيه وأما الآخر فعبارة عن كل لفظ استعمل مكان لفظ آخر لصلة بينهما ٠ وبعد فنحن نعرف مجاز أرسطو الذى يجيز اطلاق اسم الجنس على النوع ، واسم النوع على الجنس ، واسم النوع على نوع آخر ؛ فمجاز أرسطو هذا هو ما يسميه عبد القاهر « مجازا مرسلا » ، وأما المجاز الذى يقوم على التشبيه والذى يسميه أرسطو « صورة » فيسميه عبد القاهر « استعارة » ، وهو لفظ كان القدماء يطلقونه على المجاز بكافة أنواعه ٠ ولكى يقرر عبد القاهر مذهبه هذا ، فانه يتعمق فى دراسة المجاز والتشبيه تعمقا لم يسبق اليه ، ولكن من غير أن يخرج بحال عن الحدود التى رسمها أرسطو ٠ أما المجاز العقلى فهو من ابتكار عبد القاهر ، ويصح أن نسميه « المجاز الكلامى » لأنك اذا قلت مع عبد القاهر « أنبت الربيع البقل » فهذا مجاز ، لأن الربيع لا ينبت البقل ، ولكن الذى ينبته هو الله تعالى ٠ وينفق عبد القاهر جهدا غير قليل فى الدفاع عن مجازه هذا وفى تمييزه عن المجاز المعروف ٠ ولكن لا شك أن الأساس الذى يبنى عليه هذا التمييز محل للنظر (١) ٠

أما كتاب « دلائل الاعجاز » فيحاول فيه عبد القاهر أن يثبت اعجاز القرآن ، وهو أمر جعله علماء الكلام الغرض من البيان من عهد بعيد ، ولكى يصل عبد القاهر الى هذه الغاية ابد بحثه بنقض نظريتين قديمتين :

احداهما : تجعل جمال الكلام فى اللفظ ٠

والأخرى : تجعله فى المعنى ٠

ثم ينتهى به البحث الى أن الجمال ليس فى اللفظ ولا فى المعنى ، وانما هو فى نظم الكلام ، أى فى الأسلوب ، ثم يحاول بعد ذلك أن يبين فيم يكون جمال الأسلوب وروعته ، فيدرس الجملة بالتفصيل : منفردة ومتصلة ؛ ويضطره البحث الى الكلام على أهمية حروف العطف ، وقيمة الايجاز والاطناب ، وضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال ٠ وبذلك يضع أساس « علم المعانى » المشهور ٠

---

(١) ص ٢٩ المرجع السابق ٠

ولا يسع من يقرأ « دلائل الاعجاز » الا أن يعضرف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق خصب فى التأليف بين قواعد النحو العربى وبين آراء أرسطو العامة فى الجملة ، والأسلوب ، والفصول · وقد وفق عبد القاهر فيما حاول توفيقا يدعو الى الاعجاب · واذا كان الجاحظ هو واضع أساس البيان العربى حقا ، فعبد القاهر هو الذى رفع قواعده وأحكم بناءه (١) ·

البلاغة العربية فى العصر الحديث :

تعددت المذاهب الأدبية فى العصر الحديث ، وتعددت معها فى أذهان المعاصرين المفاهيم البيانية ، ودعوا دعوات كثيرة حول البلاغة ، دعا البعض الى الاهتمام بالمضمون ، والى مذهب الالتزام فى الأدب ، ودعا آخرون الى العناية بالشكل والصورة ، ودعا الزيات الى التوازن بين هذين العنصرين (٢) ، ودعا سلامة موسى فى كتابه « البلاغة العصرية » الى العامية والى نبذ البلاغة القديمة التى سماها بلاغة الانفعال والعاطفة ، داعيا الى ما سماه بلاغة المنطق، أى أن يكون المنطق لا اللغة أساس البلاغة ·

وألف الزيات كتابه « دفاع عن البلاغة » · رأى فيه أن البلاغة العربية تلاقى ثلاث صعوبات هى : الصحافة ، والسرعة ، والتطفل أى تطفل بعض ذوى الجاه على الأدب ، وحدد البلاغة بأنها ملكة يؤثر بها صاحبها فى عقول الناس وقلوبهم من طريق الكتابة أو الكلام ، ورأى أن البلاغة لا تفصل بين العقل ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، ورأى أن الفكرة والصورة والأسلوب كل لا يتجزأ ، وأن الأسلوب مركب من عناصر هى الأفكار والصور والعواطف ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة ، وأشار الى قضية اللفظ والمعنى ، وذهب مذهب أنصار الصياغة ؛ ورجع صفات الأسلوب الى ثلاثة : الأصالة ، الوجازة ، التلاؤم أو الموسيقية ·

وألف الأستاذ محمد عرفة كتابه « مشكلة اللغة العربية » ، حيث رأى فيه أن نعمل على أن تكون العربية هى لغة البيت والمدرسة والشارع عن طريق بعث ملكتها فى نفس التلاميذ الصغار بالحفظ للنصوص الأدبية المختارة ، لا بالاعتماد على القواعد الجافة ·

وألف أحمد الشايب كتابه الأسلوب الذى دعا فيه الى العناية بدراسة الأسلوب وخصائصه ، ودراسات الأسلوب تبدأ بدراسة الكلمة والصورة

---

(١) ص ٣٠ من المرجع نفسه ·
(٢) ٤ : ٤٢ وحى الرسالة ·

والجملة والفقرة والعبارة ، وعلم المعانى عنده يدخل فى بحث الجملة ، وعلم البيان وأغلب علم البديع يدخل فى باب الصورة · كما دعا الى دراسة الفنون الأدبية من قصة ومقالة ووصف ورسالة ومنـاظرة وتاريخ ، وجعل صـفات الأسلوب هى : الوضوح ، والقوة والجمال ، وجاراه قليلا طه حسين وغيره فى كتابهم المدرسى البلاغة الواضحة ·

وجاء أمين الخولى فألف كتـابه « فن القول » محـاولة منه لمنهج بلاغى جديد ، وفن القول عنده هو البلاغة بلغة العلماء القدامى والمحدثين ، وفى هذا الكتاب يدعو الى دراسة فن القول وعلاقته بعلوم الفلسفة والجمال والنفس ، وتبدأ الدراسة بالكلمة ، ثم الجملة ، ثم الفقرة ، ثم تدرس صور التعبير التى قسمها قسمين :

١ ـ صور الايضاح المعلن وهى : التشـبيه ـ الاستعارة ـ المجـاز ـ الكناية ـ التجريد ـ القلب ـ أسلوب الحـكيم ـ المبـالغة ـ تأكيـد المدح ـ التدبيج ـ التهكم ـ التجاهل ـ الفكاهة ·

٢ ـ صور التعبيـر المظللة من رمز وايماء والغـاز وتورية واسـتخدام واتساع ·

ثم تدرس البلاغة فى القطعة الأدبية ، ثم البلاغة فى الأساليب الفنية فى الأدب ·

وقد سار الأزهر على منهج البلاغة القديمة ، وعلى هذا المنهج ألفت كتب كثيرة فى البلاغة ، منها : البلاغة الواضحة للجارم ، والبلاغة العربية لخفاجى ، والبلاغة لعونى ، والبلاغة للمراغى ، وغيرها ·

وقد حاول الامام محمد عبده تجديد دراسات البلاغة من قبل فى الأزهر بتدريسه لكتابى عبد القاهر (الأسرار ، والدلائل) ·

نحو بلاغة جـــديدة :

وحين نقدم هذا الكتاب ، فاننا نريد أن ندرس مواضع الاتصال والانفصال فى البلاغة العربية بين القديم والجديد ·· ذلك أن البلاغة الجـديدة ترتبط بخطى التقدم الانسانى السريعة ، والتحكم فى الطاقات الهائلة ·· ولذلك فان هذه البلاغة الجديدة تعبر عن حاجة العصر الى لغة اتصالية جديدة ·

وليست البلاغة الجديدة المنشودة منفصلة عن النظريات القديمة ، كما أنها ليست عرضا لتاريخ العلوم التطبيقية على المجال الانسانى ، ولكنها استجابة شرطية ، لما افادته اللغة الفنية من طاقات جديدة ، ولعل برنارد شو « وهو قرين « ويلز » فى أدب الأجيال الماضية ، من الرواد الذين فطنوا أيضا الى وجوب البحث فى التراكيب اللغوية ، لكى يساير الهجاء مقتضيات الحياة ولكى يصور فى الوقت نفسه الواقع اللغوى ، الذى لا تحكيه الحروف الهجائية حكاية تامة ، فالاختلاف بين الجماعات والطبقات ، على المخارج والأصوات ، شائع وبديهى ولابد من الوصول الى رموز ، فى حروف الطباعة والآلات الكاتبة ، تصور ذلك الواقع اللغوى ولابد فى الوقت نفسه من الاتكاء على الاختزال ، افادة من الوقت الضائع سدى فى الاملاء ـ والتدوين والطباعة · وفطن « شو » (١) أيضا الى أن رجال الأعمال مالوا عن الأوامر المدونة الى الأوامر المكبرة صوتيا ، أو المسجلة بواقعها الصوتى وكاد يمس ما استشعرت الحياة انها فى حاجة اليه ، وهو بلاغة جديدة ·

وقد اهتم عصرنا أخيرا بهذه البلاغة الجديدة ودراسة اللغة ذاتها وتأثيرها فى تنظيم حياتنا اليومية ، بحيث أن الأمر ـ كما يقول ماكلوهان ـ ينتهى بالمجتمع الى أن يشبه صورة أو صدى لغويا لقواعد اللغة · ويقول : ان هذه الحقيقة أقلقت الحزب الشيوعى الروسى قلقا شديدا · فبالنسبة لجدلية ماركسية مرتبطة بفكرة أن التكنولوجيا الصناعية للقرن التاسع عشر هى أساس زوال الطبقات « لا شىء يبدو أكثر هدفا من الفكرة التى تقول بأن الوسائل اللغوية تستطيع تشكيل التطور الاجتماعى ، على الأقل بقدر ما تفعل وسائل الانتاج » ·

ويذهب الى أن الأشخاص الذين يديرون الوسائل لحساب أصحابها ، لهم ميل غريب للاهتمام ببرنامج أو بمحتوى الراديو أو الصحف أو الأفلام · أما أصحاب الوسائل فينصب اهتمامهم على الوسائل فى ذاتها ، انهم يهتمون على الأخص « برغبات الجمهور » وهى صيغة عامة غامضة للغاية · ان أصحاب الوسائل يدركون الوسائل كقوة ، ويعلمون أن هذه القوة لا تهتم « بالمضمون » أو الوسيلة داخل الوسيلة ·

وعندما بدأت الصحافة تدق على كل أوتار اهتمام الناس بأترابهم بعد أن أدى البرق (التلغراف) الى اعادة بنيتها ، قضت الجريدة على المسرح تماما · كما فعل التليفزيون بعد ذلك نفس الشىء مع السينما والنوادى الليلية · وقد

---

(١) دكتور عبد الحميد يونس : « اللغة الفنية » ـ عالم الفكر ـ الكويت·

كان لبرنارد شو من الذكاء وقوة التخيل ما مكنه من المقاومة فوضع الصحافة على خشبة المسرح ۰ واستخدم فى المسرح المجـادلات العزيزة على الصـحف وأسلوبها فى الاهتمام بكل ما هو انسانى ، على نحو ما فعل ديكنز فى الرواية۰ أما السينما فقد حلت محل الرواية والصحافة والمسرح فى وقت معا ۰ ثم جاء التليفزيون وأعاد المسرح الشامل الى الجمهور ۰

ان الاحساس بالحاجة الى لغة فنية جديدة أو بلاغة جديدة قد اشتد بعد ظهور السينما الصامتة ، اذ كان من المفروض أن يتحول المسموع الى منظور ، وأن يستغنى المتذوق عن الكلام ، بما يشـاهده من الاشارات والحـركات من الصور ومن الرموز ۰ ولقد حاول هذا الفن الصامت أن يوصل البلاغة الجديدة الخاصة به ، فلكل قسمة من القسمات معنى ، ولكل ايماءة دلالة ، ومع ذلك فان سياق الحركات وعدم القدرة على معاودة التأمل فى الصورة المتحركة ، قد جعل بلاغة السينما الصـامتة قاصرة عن الوفاء بحاجات المشـاهد ، الى استخلاص المعانى بتفاصيلها ، والمشـاعر بأبعـادها ، ومن أجـل ذلك اقترن التدوين بالصورة المتحركة ۰۰ اقترن بها شرحا وتوضيحا واعلاما ۰ ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد أحس القوامون على الصورة المتحركة الصامتة ، بأن جماهير المشاهدين لا يقنعون بالمنظور على هذا النحو ، وكان من الضرورى أن تتوسل البلاغة الجديدة المنظورة بالكتابة ، فسجل الحوار لـكى يسـتكمل المتذوق متعته من هذه البلاغة الجديدة (١) ۰

ذلك أن الاحساس بوطأة الصورة الصامتة واقترانها بالكلام المدون ، قد خف ، عندما تم التزاوج بين الصورة والصوت ، وظهرت السينما الناطقة ، وتحول تسجيل الصورة من الأشكال والرموز والحركات والامارات ، الدالة بذاتها على المشاعر والمواقف ، الى اتجـاه شبه واقعى ، لأن الفن الجـديد يتوسل بالصوت والصورة معا ، ولم يعـد المتـذوق فى حاجة الى القـراءة ببصره ، ولم يعد كذلك مطالبا بينه وبين نفسه بتفسير لتفاصيل الحركة وأصبح مثله مثل المشاهد لمسرحية ، بيد أن السينما الناطقة لم تستكمل مقومات بلاغتها الجديدة فى المراحل الأولى ، لأنهـا لم تتخلص تمـاما من أسلوب الصورة الصامتة ، ولأنها استعارت بلا روية ، أسلوب التمثيل المسرحى ، فى الحركة والحوار ، وفى جمود المنظر وثبات المشهد أمام النظارة ، كما أن المرحلة الأولى من البلاغة السينمائية ـ اذا صح هذا الوصف ـ حاولت أن تقترض وسـيلة العرض للأغانى وبعض الصور الطبيعية ، فيما يشبه « الألبوم » (٢) ، أى أنها كانت مستقلة أو شبه مستقلة ، واتخذت مكانا من السياق برابطة غير عضوية ۰

(١ ، ٢) المرجع السابق ص ٥٨ ۰

ويبدو أن الباعث على اتخاذ هذه الطريقة هو الافادة المزدوجة من العمل الفنى ، فهو يوحى بالتكامل فى سياق الفيلم ، ويمكن فى الوقت نفسه ان ينتزع ، لكى يتذوقه جمهور آخر ، لا علاقة له بالقصة السينمائية ، ومن المهم ان يسجل هنا ان البلاغة الجديدة فى تلك المرحلة ، لم تكن قد اكتشفت بعد أن العمل السينمائى يمكن أن يصبح فنا مستكملا لمقومات اللغة الفنية ، وان « السيناريو » عبارة عن كائن عضوى حى ، له وحدته ومناهج نموه وله مساره المتكامل ، الذى لا يعرف الاجتزاء ·

ويذهب ماكلوهان الى ان الوسائل ، كامتداد لحواسنا ، تقيم علاقات جديدة ليس فقط بين حواسنا ، ولكن فيما بينها هى ايضا ، عندما يؤثر بعضها فى بعض · فالجنس الاذاعى المسموع غير شكل نشرة الأخبار بنفس الطريقة التى غير بها شكل الصورة فى الجنس السينمائى الناطق · كما ان الجنس التليفزيونى أحدث تغييرات جذرية فى برامج الجنس الاذاعى المسموع ، وفى شكل الرواية التسجيلية أو الوصفية ·

والشعراء والرسامون هم الذين يستجيبون استجابة فورية لوسيلة جديدة كالراديو والتليفزيون ، فالراديو والجرامفون والشريط المسجل أعادت لنا صوت الشاعر باعتباره بعدا هاما فى التجربة الشعرية · وعادت الكلمات مرة أخرى لكى تصبح نوعا من الرسم بالأشياء · ولكن التليفزيون بما يتطلبه من مشاركة عميقة ، أدى بالشعراء الشبان فجأة الى أن يقدموا أشعارهم فى المقاهى والحدائق العامة وفى أى مكان · فظهور التليفزيون جعلهم يحسون فجأة بالرغبة فى الاتصال الشخصى بجمهورهم ·

ويرى ماكلوهان كذلك أن الفنانين اليوم فى مقدورهم تصنيف وجبتهم من الوسائل التى يصنفون بها برنامج مطالعاتهم ، فالشاعر يتيس Yeats استغل الى أبعد حد ثقافة الفلاحين الشفوية فى تهيئة مؤثراته الأدبية · والاستخدام الذكى لأشكال السينما وموسيقى الجاز ، أتاح لاليوت Eliot فى وقت مبكر ، أن يؤثر تأثيرا قويا · فقصيدته « أغنية حب لألفريد بروفرك » تستمد معظم قوتها من تداخل شكل السينما ولغة الجاز فى بعضها البعض · وقد وصل هذا المزج الى قمة التأثير فى قصيدته « الأرض اليباب » ولم يقتصر فى قصيدة بروفرك على استخدامه للشكل السينماتوغراف ، ولكنه استخدم الخط الأساسى لأفلام شارلى شابلن ، على نحو ما فعل جيمس جويس Joues فى « أوليس » فشخصية بلوم Bloom نقلها جويس نقلا صريحا من شابلن (وقد سماه « شورفى شابلن » فى قصيدته صحوة الفينيجان ، أو « اليقظة القبلية » وشابلن بدوره ــ مثله مثل شوبان الذى وافق البيانو على أسلوب الباليه ــ قد اكتشف مزيجا رائعا من الباليه والسينما حيث يتناوب تخطر البطة والنشوة

الباقلوفية ـ نسبة الى راقصة الباليه المشهورة « بافلوفا » ـ فقـد وفق بين خطوات الباليه التقليدية وبين الايماء السينمائى حيث تتلاقى فى نسب عادلة ، السخرية والفنـائية على نحو ما نراه ايضـا فى « بروفروك » و « أوليس » والفنانون فى مختلف المجالات هم دائما اول من يكتشف كي فـيمكن لوسيلة ما أن تستخدم أو تطلق طاقة وسيلة اخـرى ٠ وبشكل ابسط هى الطريقـة التى استخدمها الممثل الفرنسى شارل بواييه ليعد مذبحه الفرنسى الأمريكى ٠

فالكتاب المطبوع شجع الفنانين على اعادة كل أشكال التعبير ما أمكن الى الحد الوصفى والروائى الأوحـد للكلمة المطبوعة ٠ وان ظهـور وسائل الاتصال الكهربائية قد حرر الفن على الفور من هذا القيد خالقا عوالم بول كلى Klee وبيكاسو ، وبراك Braque ، وايزنشتين Eisenstein ولخـوان ماركس وجيمس جويس ٠

وعندما طبقت طريقة السيناريو ، أو التقـارير المصورة ، على المقـال الافتتاحى اكتشفت صحافة المجلات شكلا هجينا انهى عصر الخبر ٠٠ فالتهجين، أو التقاء وسيلتى اتصال ـ كما يذهب الى ذلك ماكلوهان ـ هو لحظة صـدق واكتشاف تؤدى الى أشكال جديدة ٠٠ ذلك أن التوازن بين وسيلتين يمسكنا عند حدود الأشكال وينتزعنا من التبلـد النرجسى ٠ فلحظة تلاقيهمـا تحررنا وتخلصنا من الحذر والرعدة اللذين تفرضهما هذه الوسائل على حواسنا ٠

ولقد بالغ البعض فى تأثير الصورة والصوت على الكتابة والطباعة ، وتخيلوا أن عصر التدوين على النهج القديم قد انتهى ، وأن اللغة اللسـانية تستعيد مكانتها ، وتعود الى طبيعتها المجهورة ، بكل مـا فى الصوت من نبر وايقاع ، وان الصورة تتخذ بدورها مكانها ، الى جانب اللسان ٠ ويذكـر بعض الدارسين (١) أن هذه الجارحة كانت أكثر وسائل الاتصال مرونة ، لأنها تستطيع أن تسجل الصور الحسية على اختلافها ٠ أن تحكى أو ترمز أو تشير الى الصورة البصرية والشمية والذوقية ، الى جانب الصور الصوتيـة بطبيعة الحال ٠

واستند المبالغون الى اتجاهات ، ظهرت فى واقع الحياة اليومية ، منهـا أن تسجيل الصوت اخـذ يحـل على الأيام ، محل الكتـابة ٠ وبرزت الأوامر الصوتية والرسائل الصوتية والرموز الصوتية ايضا ٠ وقيل ان هذهالتسجيلات الصوتية كانت فى بعض المحاكم الأجنبيـة ، مستندات لهـا نفس القيمة التى

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩ ٠

للمستندات الخطية ٠ وأعان على تقوية هذه البلاغة الجديدة ، حتى فى الحياة اليومية التقدم الباهر فى أجهزة تسجيل الصوت ، وتطويعها لحاجات الناس ، على اختلاف البيئـات والظروف ٠ وأصبح من المألوف أن يحصل المـرء على مختارات من الشعر ، بصوت الشعراء الذين أبدعوها ، تماما كما يحصل على مثل تلك المنتخبات مطبوعة فى كتاب والمهم فى هذه الظاهرة (١) :

أولا : ان الصوت البشرى له من التأثير ما ليس للرموز المسجلة له ، أيا كانت قوة الرمز ، وأيا كانت قدرة القارىء على تمثل الصوت ٠

ثانيا : ان صوت الشاعر نفسه يحكى الخلجات النفسية وظلال المعانى ، التى لا تبديها القراءة ، ومن هنا ظهرت شخصية الشاعر ، ببصماتها الواضحة، وبتأثيرها المباشر على المتذوقين لشعره ٠

واستحدث الجنس الاذاعى المسموع أيضا آثارا حاسمة فى عالم الفنون ، وغير من مناهج البلاغة والتقويم ، وأصبحت الاذاعة كالسينما تعتمد عـلى أساليب خاصة فى الكتابة اليها ، مع فارق واضح بينها وبين الصورة المتحركة الناطقة ، من ناحية الجماهير التى تفيد من البلاغة الجديدة ، ذلك لأن السينما تشـــبه المسرح ، من حيث ان الجمهور يحتشد فى صـــعيد واحد لتلقى الفن والتفاعل معه ، أى أن العقلية الجماعية تتغلب الى حد ما على العقلية الفردية، ويقتضى ذلك توقيتا محكما للعروض ، كما يقتضى اطارا معينا وسياقا زمنيا ، لا ينبغى تجاوزه الا بالحد المعقول ٠ أما الاذاعة فالمستمعون اليها فرادى ، ولو اجتمعوا ، ففى أماكن اختاروها ولم تفرض عليهم ، ومعنى هـــذه الحقيقة أن الفرد تغلب على عقليته ، ولا يذوب تمـاما فى العقليـــة الجماعية لجمهـــور المشاهدين ، ولذلك يتسم الاعلام الاذاعى بأنه موجه الى أفراد ٠٠٠ انه يختلف عن الخطبة ، ويختلف عن الحـــوار فى المسرحية أو الفيـــلم ، مع الاعتراف بمقتضيات التحول من بلاغة لها قواعدها ، الى أخرى لها شخصيات أخرى ، ففى هذه المراحل نجد أن الاذاعة تنقل منـاهج المسرح والسـينما فى الأحاديث المباشرة والحوار ، ولا تتخلص من منصة الخطيب والمعلم ، بيد أنها تفيد مـن تجاربها ، مثلها فى ذلك مثل أجناس الاعـــلام الأخرى ، وتتخلص من أسلوب الأجناس التى سبقتها ، ولاتزال تعاصرها ، وتنشىء بلاغة خاصة بها ، تلتزم أصولا وقواعد ، أثمرتها طاقة هـذا الوعاء ، وطبيعة اللغة الانسـانية ، الى جانب الرموز والمؤثرات والزخارف الصوتية الأخرى ٠

---

(١) نفس المرجع ص ٦١ ٠

ولا نستطيع ان نذهب الى ان « التليفزيون » هو خاتمة المطاف بين هـذه الوسائل الاعلامية ، وانه صاحب الكلمة الحاسمة فى البلاغة الجديدة ـ التى استشعرتها الحياة بفضل التقدم الباهر فى الطاقة والحركة ، وانتاج الوسائل الاعلامية · والتليفزيون يعتمد على ما يسمى بالشاشة الصغيرة ، وهو يجمع المسموع الى المنظور ، أو يستغل الصوت والصورة ، وانه يفضل الاذاعة من هذه الناحية ويشبه السينما من ناحية المنهج ، ولكنه يختلف عنها فى أن مـا يعرض يقدم الى الناس ، حيث هم ، فينتقل اليهم ، ولا يكلفهم مشقة الانتقـال اليه ، وهو يوجه الى الأفراد فى اطارهم الاجتماعى والقومى ، ولكنه ، بحكم ارتكازه على المنظور فى المقام الأول ، يقتضى من المتلقين له موقفا سلبيا ، فهو ليس كالراديو ينقل الثقافة والاعلام حتى للعاملين فى المصانع والمزارع والدكاكين ·· انه يتطلب استغراقا كـاملا أو شبه كـامل ، لتتم الافادة من عروضه · والتليفزيون ، على خطره ومكانته ، قد حول الناس من الحركة الى السكون ، وان غشيان المسرح أو السينما انما يكون فى وقت محدد ، وعادة الذهاب الى دور التمثيل أو العروض السينمائية وغيرها لا تتحقق الا فى مواقيت الراحة ، وليست فى كل يوم ، ومع ذلك فهـذا الجنس الاعلامى من أقوى الأجنـاس الاعـلامية ، لأنه ينتزع الصورة والصوت ، ويوزعها على النـاس فى بيئة متسعة ، ولاتزال هناك خطوات فسيحة يخطوها التليفزيون ، حتى يقترب من طاقة الراديو على طى المكان ، وخاصة بعد استخدام أقمـار الاتصالات · ومن مآثر هذا الجنس الاعلامى أنه بعث أشكالا فنية وأدبية ، كان مقدرا لهـا أن تضمحل وتذوى ، وعلى رأس هذه الفنون الرقص التعبيرى ، كمـا أنه أتاح للتمثيليـات المسرحية والسينمائية جمهورا أوسع ، الى جـانب التمثيـليات الخاصة به · بحيث يمكن أن يقال أن هذا الجنس الاعلامى قد استحدث بدوره بلاغة جديدة ، وهى وان اقتربت من البـلاغة السينمائية الا أنهـا تستهدف العقلية الفردية ، أكثر من استهدافها للعقلية الجماعية (١) ·

ويذهب جان بول سارتر (٢) الى أننا « نتصل بالناس حتى دون أن نريد هذا الاتصال ـ بوسائل جديدة ، ومن زوايا انعكاس جديدة ـ نعم يظل الكتاب بمثابة فرقة المشاه الثقيلة التى تنظف البقعة وتحتلها ، ولكن لدى الأدب قذائف موجهة تذهب بعيدا وتقلق وتزعج دون أن تكون هى الفاصلة فى الأمر · وأولها الصحيفة · والمؤلف الذى كان يكتب لعشرة آلاف قارىء ـ اذا أعطى صحيفة النقـد فى مجلة أسبوعية ـ أصبح له ثلاثمـائة الف قارىء ، حتى لو كـانت مقالاته لا تساوى شيئا · ثم يأتى بعد ذلك المذياع فقد منعت رقابة المسرح فى

---

(١) نفس المرجع ص ٦٢ ·
(٢) الأدب (ترجمة الدكتور محمد غنيمى هلال) ص ٧٤ ·

انجلترا تمثيل مسرحية من مسرحيات سارتر : « جلسة سرية » ولكنها اذيعت اربع مرات من دار هيئة الاذاعة البريطانية • وعلى المسرح اللندنى لم تكن لتحوز – حتى فى حال افتراض نجاح غير محتمل – اكثر من عشرين الى ثلاثين الف متفرج • فزودته الاذاعة المسرحية لهيئة الاذاعة البريطانية – عن طريق الى – بنصف مليون مستمع ، واخيرا دار الخيالة (السينما) اذ يتردد عليها فى الدور الفرنسية اربعة مليون شخص • واذا تذكرنا أن « بول سوداى » الناقد الدائم لجريدة الطامب Temps من سنة ١٩١٢ – ١٩٢٩ كان يلوم أندريه جيد فى مطلع القرن الحالى على نشره كتبه فى طبعات محدودة فان نجاح قصته « السيمفونية الريفية » فى دار الخيالة ، ييسر لنا أن نقيس الطريق الذى سادت فيه » •

ويذهب سارتر (١) كذلك الى ضرورة لجوء الكتاب والأدباء الى وسائل جديدة الى جانب الكتاب ، وهى موجودة سلفا ، وهى التى وسمها الأمريكيون باسم الوسائل الجماهيرية •• « وهى السبل الحقيقية لنحصل على الجمهور الامكانى : الصحيفة والمذياع ، ودار الخيالة • طبعا علينا أن نكبت وساوسنا : فمن المؤكد أن الكتاب أنبل اشكال الأدب وأقدمها ، ومن المؤكد أن علينا دائما أن نرجع اليه • ولكن يوجد فن أدبى للمذياع ولشريط الخيالة وللمقالات الرئيسية والاستطلاع الصحفى ولسنا فى حاجة مطلقا ، الى الهبوط بمستوى الأدب فى سبيل شعبيته ، فدار الخيالة تتحدث أصلا الى الجماهير ، وتحدثهم عن الجماهير ومصيرها ، والمذياع يفاجىء الناس على المائدة وفى أسرتهم ، فى اللحظة التى هم فيها أضعف مقاومة ، وفى حال الاستسلام للخلوة استسلاما يكاد يكون عضويا ، والمذياع اليوم يستفيد من ذلك فى خداعهم ، ولكن هذه هى اللحظات التى تمكن فيها الاهابة بحسن نيتهم ، فيما اذا كانوا لا يقومون – بعد – بدورهم ، كما تفرضه عليهم شخصيتهم ، أو قد كفوا عن القيام به • ولنا فى هذا الميدان قدم ، فعلينا أن نتعلم كيف نتحدث فى صور ، وكيف ننقل الأفكار من كتبنا الى هذه اللهجات الجديدة •

ولا يقصد سارتر أن يدع المبدعون كتبهم ليحورها غيرهم • ويعرضها على لوحة العرض فى دار الخيالة أو فى اذاعات الراديو ، بل يجب أن يكتب هؤلاء مباشرة للخيالة ولموجات الاذاعة • وفى ذلك ما يتيح لهم الايحاء للجمهور بمطالبه الخاصة ، والارتفاع به قليلا قليلا ، حتى تتكون لديه حاجة الى القراءة •

---

(١) نفس المرجع ص ٢٩٩ •

وقبل أن نتخلص من هذا العرض لما بين « الأجناس الاعلامية » والبلاغة الجديدة من وحدة نرى لزاما علينا أن نطرح سؤالا أمام الدارسين والنقاد ، وهذا السؤال هو : اذا كانت الأجناس الاعلامية تصدر عن لغة واحدة أو أصل لغوى واحد تنطقه الحواس الانسانية ، فهل من الممكن الآن ترجمة أثر أعلامى يصطنع وسيلة خاصة به الى أثر فنى آخر وبوضوح أكثر نتساءل : هل من الممكن أن نترجم تحقيقا صحفيا يتوسل بالوسيلة الصحفية الى الجماهير ، الى برنامج اذاعى صيغ من طبيعة الوسيلة الاذعية ؟

البلاغة هى الوسيلة :

وما نريد أن ندخل فى الاختلافات الكثيرة التى ظهرت فى المدارس الفنية المختلفة بل يكفينا أن نؤكد على ملاحظة واحدة تستحق الاهتمـام ، وهى تنبع من وحدة الاجناس ــ الاعلامية ، ذلك أن وسائل الاعلام الجديدة قد بعثت مرة أخرى الفلسفة البلاغية القديمة وبخاصة أن الاعلام انما يستهدف المخـاطبين أو المتلقين بالدرجة الاولى ، أى أن الأثر الاعلامى يقوم على مقومات الصناعة ، وهى تصميم العمل طبقا لمثال سابق ، وثانيا تنفيذ هذا العمل ، على أساس من قواعد محكمة ، تعنى أولا ، وأخيرا بعلاقة الجزء بالجزء ، ــ وعـلاقة الجزء بالكل ، وثالثا افتقار هذا العمل الى آلات وأجهزة لا يمكن أن يتحقق بدونها ٠

أن هناك جيلا جديدا يبرز ، يجمع تجارب الكتاب والجرامفون والسينما والراديو والتليفزيون فى صعيد واحد ، هذا الجيل يدرك أن ــ الكتابة ليست الا وسيلة لتحويل المسموع الى مرئى ، ثم اعـادته بالاصطلاح أو الرمز الى مرئى مرة أخرى ، وأن القلم والقرطـاس ليسـا وسيلة ابداع ولكنهما التين لمجرد التدوين والابداع ، يتم بهما وبدونهما على السواء ، وكذلك بقية أجهزة التسجيل وأدواته (١) ٠ وفطن هؤلاء الطامحون الى تحقيق البلاغة الجـديدة باسلوب مغـاير لاسـاليب الذين سبقوهم فهم يدركون أن الاثر الفنى كثيرا ما يتكامل فى النفس ، قبل المشروع فى ابرازه كلمة منطوقة ، أو حركة موقعة ، أو مادة مشكلة ٠ وعلى الرغم من ذلك فان الابداع يتم أيضا فى لحظات ابرازه الى العالم الخارجى ، أى أن الرسامين والمثالين والادباء من يفكرنا بأنامله أو فرشاته أو قلمه ٠ وما أكثر الادباء الذين تنتشر أفكارهم ومشاعرهم على

---

(١) دكتور عبد الحميد يونس : المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣ ٠

اطراف اقـلامهم والذين ينشئـون الصـور القلميـة والقصص ، وهم يدقون باصابعهم على الالة الكاتبة ، وكذلك يصنع الكثيرون من الرسامين والمثالين والموسيقيين · وهذه الحقيقة هى التى دفعت المفتشين عن البلاغة الجديدة ، المكافئة لعصر العلم والتكنولوجيا الى محـاولة جريئة هى أن يتوحد التاليف والاخراج والاداء ·· واذا تعذر توحيد هذه المراحل فى شخص واحد ، فمن اليسير توحيدها فى اطار زمانى مكانى واحد (١) ·

وقد اطلق ماكلوهان عبارة « المعرفة التطبيقية » على الثورة الطويلة التى حاول بها الانسان أن يترجم الطبيعة الى فن · و « تطبيقى » بمعنى أنه مترجم أو منقول من نوع الشكل المادى الى نـوع آخر ، ويذهب الى أن « مضمون » وسائل الاعلام لا يمكن النظر اليه مستقلا عن تكنولوجية الوسائل الاعلامية نفسها ·· فالكيفية التى تعرض بها المؤسسات الاعلامية الموضوعات والجمهور الذى توجه له كلامها يؤثر على ما تقوله تلك الوسائل · ولكن طبيعة وسـائل الاعلام التى يتصل بهـا الانسان تشكل المجتمعـات اكثر مما يشكلها مضمون الاتصال · ويعرض ماكلوهان أربع مراحل تعكس فى تصوره التطور الانسانى وهى : المرحلة الشفوية ، ماقبل القلم ، أى المرحلة القبلية ، ثم مرحلة الكتابة الخطية ، ثم عصر الطبـاعة ، فعصر وسائل الاعـلام الالكترونيه · وطبيعـة وسائل الاعلام المستخدمة فى كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع أكثر مما يساعد مضمون تلك ـالوسائل على هذا التشكيل · وهذا الاسلوب فى دراسة التطور الانسانى ، ليس اسلوبا مبتكراً ، فقد رأينا تقسيم ويلز وتصوره لعامل التطـور · على أن ماكلوهـان يذهب الى أن التغيير الاســاسى فى التطـور الحضـارى منذ تعلم الانسـان كيف يتصل ، كـان من المرحلة الشفوية الى السطرية ثم الى الشفوية مرة أخرى ·

ويرفض ماكلوهان رأى نقاد الاعلام الذين يدعون أن الوسائل الجديدة ليست فى حد ذاتها شرا أو خيرا ، ولكن الطريقة التى تستخدم بها هذه الوسائل هى التى تحدد ذلك · ويقترح كبديل أن نفكر فى طبيعة وشكل الوسائل الاعلامية الجديدة ، فمضمون التليفزيون الضعيف ليس له علاقة بالتغييرات الحقيقية التى يسببها التليفزيون · كما أن الكتاب قد يتضمن مـادة تافهة ، ولكن ذلك ليس له دخل فى عمليـة القراءة · فالرسـالة الاسـاسية فى التليفزيون هى التليفزيون نفسه · العملية نفسها ، كما أن الرسالة الاساسية فى الكتاب هى المطبوع · فـالرأى الذى يقول أن وسـائل الاعلام أدوات تستخدم فى الخير

---

(١) نفس المرجع ص ٦٣ ·

والشر ، لايتفق معه ماكلوهــان • فلايهم فى تصوره ما اذا عرض التليفزيون عشرين ساعة يوميا افلامها لرعاة البقر ، او برامج ثقافية راقية ، فالمضمون ليس مهمـا لديه ، ولكن التـاثير العميق ــ للتليفزيون هو الطريقة التى يعدل بمقتضـاها الناس الاســاليب التى يستخدمون بهـا حواسهم ويعبر عن ذلك بقوله المشهور « الوسيلة هى الرسالة The Medum is the Message ويريد بالاضافة الى مـا تقدم من تعبيره ان يؤكد على ان لكل وسيلة جمهوراً من النــاس يفوق حبهم لهذه الوسيلة اهتمـامهم بمضمونهـا • فالتليفزيون « كوسيلة » يمثل محور اهتمام كبير ، كما أن بعض الناس يفضلون القراءة من اجل الاستمتاع بممارسة تجربة المطبوع ، كذلك يفضل البعض التليفزيون بسبب الشاشة التى تتحرك عليها الصور والصوت •

كما ان « البلاغة » فى « الوسيلة » تمثل تاثير الأشكال التى تظهر بها فى المجتمع فوجدنا مفكرا كبيرا مثـل جورج دوهاميل (١) بعـد اختراع الراديو والسينما ، يناقش مشكلة الثقافة ، ويؤكد ان النظام الثقافى يقوم على الطبـاعة منذ خمسة قرون • فالكتاب لديه أحد محركات الفردية الخالقة Individualisme « تلك الفردية التى لاتزال حتى فى عصر الاضطراب الذى نعيش فيه ــ روح الخير القوامة على جماعاتنا البشرية » • ويعترف بانه فى الامكان أن نعود الى الكتاب بعد سماع الراديو أو بعد مشاهدة الفيلم ولكنه فى الحقيقة ضعيف الأمل فى هذا الاحتمال ، اذ أن فى طبيعة الراديو الجارفة ــ التى تشبه تدفق النهر ــ ما لا يساعد على التفكير ، أى على الثقافة الحقيقية ، فهو والســينما يقدمان أشياء مسرفة الكثرة لا نشعر معها برغبــة فى أن نحقق أو نختبر أو نكمل ، بل ولا فى أن نفهم ، وانما ناخذ منهما ما ناخذ خطفا وكيفما اتفق • وأما ما يفوتنا فليفت وليس هذا منهج الثقافة » •

ويذهب ماكلوهان الى ان بناء « الوسيلة » ذاتهـا مســئول عن نواحى القصور فيها وعن مقدرتها فى توصيل المضمون • فهنــاك وسيلة افضل من وسيلة اخرى فى اثارة تجربة معينة كما نجد بالنسبة لكرة القدم فى التليفزيون مثـلا لانها افضل من تقديمها عن طريق الراديو أو على أعمدة الجريدة • وعلى النقيض من ذلك ، تجد أن أغلب الماجريات البرلمانية اقل سأمة أو اثارة للملل فى الجريدة عنها فى التليفزيون ، ويبدو ان لكل وسيلة طبيعتها الخاصة التى تجعل تقديم بعض الموضوعات افضل من البعض الآخر •

---

(١) دفاع عن الأدب ــ ترجمة الدكتور محمد مندور ص ٤٦ •

ويؤكد ماكلوهان فكرة أن « الوسيلة هى الرسالة » ترجع الى أن الوسيلة هى التى تشكل وتتحكم فى مقياس نشاط الناس وعلاقاتهم ، ويذهب الى أن من مميزات الوســـائل أن مضمونها يخفى طبيعتها ، ولذلك لا ينظــر فقط فى دراساته الى « المضمون » بل الى الوسيلة ذاتها » . والى القالب الثقافى الذى تعمل بداخله . « ان معظم الآراء التقليدية تبين الى أى حــد كنـــا لا نعى فى الماضى الآثار الاجتماعية والنفسية للوسائل » .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فاننــا نطرح فى الصفحات التـــالية مجرد اختبارات بهدف دراسة هذه البلاغة الجديدة ؛ ونأمل أن يكون لهذه الاختبارات أثرها فى دفع الدراسات البلاغية الى أمام فى اطار من الأصالة والمعاصرة .. ونأمل أن نكون قد وفقنا الى ذلك .. فجل من لا يخطىء تحيزا أو قصورا فى عالم البشر .

المؤلفـــان

الباب الأول

علوم البلاغة العربية :

لماذا وضعت ؟



- ١ -

تاريخ الفكر البيانى :

كانت العرب امة مشهورة بالبيان والبلاغة وفصاحة القول ، وكانت صناعتها خطبة تحبرها ، أو قصيدة تجودها ، أو مقالة تنمقها ، وكذلك كان شانهم منذ العصر الجاهلى ، يرفعون مكانة الشاعر والخطيب ، وكان لكل قبيلة شاعر وخطيب ، أو شعراء وخطباء ، يذودون عن احساب القبيلة واعراضها ، وينطقون بماثرها ومفاخرها ومكارمها ، واخبار ايامها ، وسؤدد تاريخها ، وشرف ارومتها ، وكريم عزتها · وظلوا كذلك الى أن جاء الاسلام ، ونزل القران كتابا سماويا منيرا ، يعجز الخلق ببلاغته ، ويدل بأسلوبه على منزلته فى الفصاحة ومكانته ، ويهدى الناس الى ارفع درجات السلوك وأكرم آداب المثل العليا ، ويحضهم على الايمان بالله وتوحيده ، ويدعوهم الى أصول الفضائل والآداب والأخلاق ·

ولما كان القرآن معجزا فى فصاحته وأسلوبه وبلاغته ، فقد بهر الأدباء ، وأخرس الفصحاء ، وأسكت البلغاء ، وحاول العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا ثم جهدوا أن يأتوا بعشر سور مثل سوره ففشلوا فقالوا نأتى بسور ثلاث أو بسورتين أو بسورة فى مثل بيانه ، فأبوا بالعجز والهزيمة والاخفاق ·

وقد كان القرآن الكريم نموذجا أدبيا عاليا ، اقتدى به العرب فى بلاغته وبعثهم على تهذيب الأسلوب ، وتجويد الأداء ، وجعلهم يظلون محبين للأدب ، مستهامين بالفصاحة ، مأخوذين ببلاغة القول ، وفصاحة الأداء ، ومن ثم فقد بقى العرب بعد الاسلام على حالهم الذين كانوا عليه من حبهم للأدب ، وتذوقهم لأسرار البيان ، واهتزازهم لجيد الكلام ، وأخذت منزلة الخطيب فى عصر صدر الاسلام تقوى ، واحتلت الخطابة المكان الذى كان يحتله الشعر فى العصر الجاهلى ·

* * *

وكان العرب بفطرتهم واذواقهم المرهفة ، منذ العصر الجاهلى يسمعون الشعر وألوان الأدب المختلفة ، ويميزون بين أسلوب وأسلوب ، وعبارة وعبارة، ولفظة ولفظة ، وكان النابغة فى العصر الجاهلى حكم الشعراء ، وكانت تضرب

له فى سوق عكاظ قبة حمراء ، ويجتمع عليه الشعراء فينشدونه ويتحاكمون اليه

أتاه الأعشى يوما فانشده من شعره ، ثم اتاه حسان فانشده ، فقال لحسان : لولا أن ابا بصير الأعشى أنشدنى آنفا لقلت انك اشعر الجن والانس ، فقال حسان :

ـ والله لأنا أشعر منك ومن أبيك وجدك ٠٠ فقبض النابغة على يده ، وقال :

ـ يا ابن اخى أنت لا تحسن ان تقول :

فانت كالليل الذى هو مدركى

وان خلت ان المنتأى عنك واسع

ويروى أنه سمع من حسان :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى

واسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق

فاكرم بنا خالا ، واكرم بنا ابنما

فقال النابغة له : قللت جفانك ولو قلت الجفان لكانت اكثر ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك ، وقلت يلمعن فى الضحى ولو قلت يبرقن فى الدجى لكان ابلغ لأن الضيف بالليل اكثر طروقا ٠

وهذه الأخبار الأدبية على الرغم مما يذهب اليه البعض من أنها مختلقة، تشير الى ذوق العرب المرهف ، واحساسهم الدقيق بالأدب وبلاغته ٠

وقد ظلوا كذلك بعد الاسلام ، يسمعون الكلام ويميزون بين جيده ورديئه وينقدون الشعراء والخطباء ، ويحكمون على الشعر احكاما ادبية دقيقة ، فقالوا مثلا عن جرير : انه يغرف من بحر ، وعن الفرزدق أنه ينحت من صخر ، وعن الأخطل أنه أشعرهم فى وصف الخمر ، ومدح الملوك ، وعن ابن أبى ربيعة أن لشعره موقعا من القلب وعلوقا بالنفس ٠

وانشدت ليلى الاخيلية يوما الحجاج :

اذ ورد الحجاج ارضـــا مريضة
تتبع أقصى دائهـــــا فشـــفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها
غلام اذا هز القنـــاة ســـقاها

فقال لها : لا تقولى غلام ، ولكن قولى (همام) ٠٠ وانشد عبد الملك ابن مروان قتل نصيب :

اهيم بدعـــــو ما حييت فان امت
فواحزنا من ذا يهيم بهـــا بعدى ؟

فقال بعض البلغـاء : اساء القول ، ايحزن لمن يهيم بهـــا بعـده ؟ قال عبد الملك : لو كنت قائلا فماذا تقول ؟ قال :

اهيم بدعـــــد ما حييت فان امت
اوكل بدعد من يهيم بهـا بعـــدى

فقال عبد الملك : أنت أسوأ قولا ٠٠ ثم قال : الوجه أن يقال :

اهيم بدعـــــــد ما حييت فان امت
فلا صلحت دعد لذى خلة(١)بعدى

وكان كثير يعيب عمر بن ابى ربيعة فى قوله :

قالت لترب لهـــــــا تحدثها
لنفسـدن الطواف فى عمـــــر

قـــومى تصـــــدى له ليبصرنا
ثم اغمزيه يا أخت فى خفـــــر

قالت لهـــا : غمــــزته فابى
ثم اسـبطرت تشـــتد فى اثرى

ويقول : أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك ، والله لو وصفت بهـذا هرة منزلك كنت قد أسأت صفتها ، أهكذا يقال للمرأة ؟ انما توصف المرأة بالخفـــر

---

(١) الخلة : الصداقة ٠

وانها مطلوبة ممنعة ، كما قال الأحوص :

لقد منعت معروفها ام جعفـــــــر
وانى الى معروفها لفقيـــــــــر

وقد أنكروا عنـــد اعتراف زيارتى
وقد وغرت فيهـا على صـــــدور

أدور ولولا أن ارى أم جعفـــــــر
بأبيـــــاتكم ما درت حيـث أدور

★ ★ ★

ومن ذلك كله نقول : ان العوامل الأولى فى نشأة البلاغة العربية هى :

١ ـ ان العرب أمة مفطورة علىالبلاغة ، وقد رفع القرانالكريم منزلة البلاغة فوق منزلتها ، ومن ثم كان العرب فى بحثهم عن خصائص البلاغة العربية يبحثون عن أعز شيء لديهم ، وأظهر أمر لهم فيه الغلبة والتفوق ٠

٢ ـ أن العرب نشأوا كذلك على تذوق الأسلوبونقده ، والفطنة بجيده ورديئه فملكة النقد عندهم موفورة ، وقد نشأ عن ذلك ظهور آراء نقدية كانت هى الأساس الأول للنقد الأدبى عنى العرب ، وكان هذا النقد هو أساس علم البلاغة العربية ٠

٣ ـ وليس من شك فى أن فساد الأذواق ، وانحراف الملكات ، وتضاؤل الطبع فى نفوس العرب ، بعـد اتساع الفتوح الاسـلامية ، وامتزاج لعـرب بالشعوب المغلوبة ، وظهور أثر هـذا الامتزاج فى الألسنة والطبـاع ٠ ليس من شـك فى أن ذلك كان من البواعث على تدوين أصول البـــلاغة العربية لتكون ميزانا سليما توزن به بلاغة الكلام ، ولتعصم هذه الأصول الأدباء والمتادبين من الخطا فى الأسلوب والبيان ٠

٤ ـ ويضاف الى ذلك عامل آخر بعيد الأثر فى تدوين البلاغة هو الرغبة فى فهم أسرار اعجـــاز القرآن الكريم ، واقامة الأدلة العلمية على هـــذا الاعجاز ٠

- ٢ -

اهمية دراسة البـــلاغة ·

البلاغة هى أن يجعل الأديب لكل مقام مقالا ، ولكل حال مقتضاها ، فيوجز حيث يحسن الايجاز ، ويطنب حيث يجمل الاطناب ، ويؤكد فى موضع التوكيد ، ويقدم أو يؤخر اذا استدعى ذلك المقام ، وطلبـــه الحـــال ، ورأى ذلك أنسب لقوله ، وأوفى بغرضه ويخاطب الذكى بغير ما يخاطب به الغبى ، ويجعل لكل اعتبار ما يناسبه من القول ، فى عبارة فصيحة ، ومعنى مختار ·

ولدراسة علوم البلاغة أهمية كبيرة :

١ - فهى تقوم الملكات ، وترشد الذوق ، وتهدى الموهبة الأدبيـــة فى نفس الأديب الى الكمال ·

٢ - وهى تعلل ما نشعر به من أريحية وهزة واعجاب ، عنـدما نقرأ أسلوبا بليغا ، أو كلاما فصيحا ·

٣ - وهى تبين لنا سر اعجاز القرآن الكريم من الفصاحة والبلاغة ·

٤ - وكذلك هى تساعد الأديب أو رجل الاعلام على أن ينتج أدبا رائعا : من شعر بليغ ، أو رسائل جميلة ، أو قصص أنيقة ، أو مقـالات خصـبة ، الى غير ذلك من شتى ألوان الأدب وفنونه ·

٥ - وهى كذلك تحول بين الانسان وبين الخطأ فى الأسلوب أو الخيـال أو المعنى أو الغرض ، أو الفكرة ·

٦ - وبدراسة علوم البلاغة يستطيع الأديب أن يكون ناقدا متذوقا ، وكاتبـا موهوبا · الى ما سـوى ذلك من المـزايا التى تنشـــأ عن دراسة علوم البلاغة ·

التاليف فى البـــلاغة :

لم يؤلف العرب فى البلاغة فى العصر الاسلامى ، ولا فى أوائل عصر بنى العباس ، وانما بدأوا يؤلفون فى البلاغة فى أواخر القرن الرابع الهجرى وأوائل القرن الخامس الهجرى ، وليس معنى ذلك أنهم بدأوا فى هذا التاريخ ولأول مرة يؤلفون فى البلاغة ، كلا ، فقد أخـذوا منذ عهـد الدولة العباسية يخطون خطوة فخطوة فى سبيل ابتكار بحوث البلاغة والتاليف فيها ٠

وقد أخذ النقـاد والأدباء والكتاب يحاولون فهم أسرار بلاغة الكـلام ، ووضع أصول موجزة تحدد آراءهم فى جمال الأسلوب ، واشترك فى النهوض بهذا العبء منذ أول العصر العباسى كثيرون ، وفى مقدمتهم أئمة الشعر والخطابة وفحول الكتاب ، والرواة ، وعلماء الأدب من بصريين وكوفيين ، ورجال النقد٠

* * *

أوائل العلماء الذين الفوا فى البلاغة :

ومن أوائل العلماء الذين بحثوا وكتبوا أشياء تتعلق بالبلاغة العربية :

١ ـ الامام أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى (١١٢ ـ ٢٠٦ هـ) وكان من أئمة الأدباء والنقاد ، وكتابه « مجاز القرآن » مشهور ، وقـد ذكر فيـه الكثير من آيات القرآن الكريم ، وحلل بلاغتها ، ودافع عنها دفاع العالم الحجة المجود ٠

٢ ـ أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ (١٦٠ ـ ٢٥٦ هـ) ، وهو شيخ الأدب والعربية والنقد فى عصره ، وقد ألف كتـابا مشهورا سماه « البيـــان والتبيين » ، وجمع فيه الكثير من : بلاغات العرب ، وآرائهم فى النظم والشعر ، وتحديدهم لمعنى البلاغة والفصـاحة ، وفيه صحيفة بشر بن المعتمر ، وهى أول صحيفة فى البلاغة وعناصرها ٠ وكذلك الف الجاحظ كتابا فى اعجاز القرآن الكريم ، وألف كثيرون غيره فى الاعجاز ٠

٣ – أبو العباس عبد الله بن المعتز الخليفة العباسى الأديب الشاعر المشهور (٢٤٧ – ٢٩٦ هـ) ٠

وقد الف عام ٢٧٤ هـ كتابا سماه البديع ، وذكر فيه ثمانية عشر لونا من ألوان البديع ، منها الاستعارة والكناية والتشبيه ، ويقول ابن المعتز فى صدر كتابه : « وما جمع قبلى فنون البديع أحد » ٠

جهود النقاد فى وضع علوم البلاغة :

وقد نشأ منذ القرن الثالث طائفة كبيرة من النقاد ، منهم ابن سلام الجمحى المتوفى عام ٢٣١ هـ صاحب كتاب « طبقات الشعراء » وقدامة بن جعفر المتوفى عام ٣٣٧ هـ صاحب كتاب نقد النثر ، وكتاب نقد الشعر ، ثم أبو هلال العسكرى المتوفى عام ٣٩٥ هـ صاحب كتاب الصناعتين ، وأبو بكر الباقلانى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ صاحب كتاب « اعجاز القرآن » وابن سنان المتوفى عام ٤٦٦ هـ صاحب كتاب « سر الفصاحة » وابن رشيق المتوفى عام ٤٦٠ هـ صاحب كتاب العمدة ، وسواهم ٠

وهؤلاء النقاد أثاروا فى محاضراتهم وبحوثهم وكتبهم كثيرا من بحوث البلاغة بل ان كتاب الصناعتين وكتاب سر الفصاحة وكتاب العمدة أقرب ما يكون الى كتب البلاغة منها الى كتب النقد ٠

وفى القرن الرابع اتجه علماء الأدب فى أوله الى الكتابة فى الأدب والنقد ، ثم مزجوا بحوث النقد والأدب بالبيان ، ثم أفادوا من دراسات النقد فائدة جلى انتقلت بهم للب البحث فى مظاهر البيان ومشكلات البلاغة فاتجه تأليفهم فى آخر هذا القرن الى بحوث البلاغة نفسها ٠

★ ★ ★

أول مؤلف فى البلاغة :

وأول مؤلف فى البلاغة فى رأى العديدين هو الامام عبد القاهر الجرجانى المتوفى عام ٤٧١ هـ ، وصاحب كتاب : « أسرار البلاغة » ، وكتاب « دلائل الاعجاز » ٠

أما كتاب أسرار البلاغة ففيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع ٠

وأما كتاب دلائل الاعجاز ففيه بحوث كثيرة هى أصول علم المعانى ٠ كما أنه تحدث فيه عن الكناية وعن التمثيل والمجاز والاستعارة والسرقات وهـــذه البحوث كلها هى عنده علم البيان ، لا فرق عنده بين ما هو راجع الى الكلام من حيث مطابقته لمقتضى الحال ، وبين ما يرجع اليه من حيث ابراز المعنى المراد بطرق مختلفة فى وضوح الدلالة عليه ٠ كما أن عبد القاهر لم يكن يعرف هذا الاصطلاح « علم المعانى » ولم يشر اليه من قريب ٠

السكاكى وكتابه المفتـــاح :

وبعد عصر عبد القاهر بكثير ظهر الامـــام أبو يعقوب السكاكى المتوفى عام ٦٢٦ هـ الذى الف كتابه المفتاح وجعله اقساما ، وخص البـــلاغة بالقسم الثالث منه ، وقسمها الى ثلاثة أقسام : المعانى ـ البيان ـ البـــديع ـ وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علم منها بالتفصيل ٠

والفلسفة والمنطق تغلب على السكاكى الى حد كبير ، من حيث كان يغلب الذوق والطبع على عبد القاهر ٠

القزوينى ومدرسته فى البلاغة :

وجاء الخطيب القزوينى المتوفى عام ٧٣٩ هـ فالف فى البلاغة كتابيه : تلخيص المفتاح ، والايضاح ٠ وقـد الف الايضـــاح ليكون كالشرح لتلخيص المفتاح ، وجمع فيه كثيرا من البحوث البلاغية العميقة المفيدة ٠

وقد طارت شهرة هذين الكتابين ، وكثرت عليهما الشروح كثرة عجيبة ٠

الســـعد والســـيد :

وبعد السكاكى والقزوينى ظهر شيخا البلاغة : السعد (٧١٢ ـ ٧٩١ هـ)٠ والسيد المتوفى عام ٨١٦ هـ ، فكانا أظهر شراح السكاكى والخطيب القزوينى ، وللسعد كتابان على متن التلخيص الذى الفه الخطيب : فالكتـــاب الأول هو المطول ، والكتاب الثانى هو مختصر المعانى وهو كالمختصر للمطول ، أما السيد فله حاشية على المفتاح للسكاكى وحاشية على المطول كذلك ٠

وبعد السعد والسيد توقف الابتكار فى مسائل البلاغة ، وظهرت تآليف عديدة ليس فيها جديد ، وأغلبها شروح وحواش على متن التلخيص ٠

واضع علوم البـــلاغة :

فمن الواضع لعلوم البلاغة ، ومؤسس علم البيان حقا ؟

أهو الجاحظ الذى هو أول من اهتم بالبلاغة وأول مؤسس للبيان العربى حقا ، كما يقول الدكتور طه حسين (١) ؟

أم أن الواضع لها عبد القاهر كمـــا يذهب اليه جمهور العلمـــاء ، ومنهم صاحب الطراز ؟

أم أن الواضع لها السكاكى كما يذهب اليه ابن خلدون وبعض العلماء ؟

اختلفت الآراء فى ذلك ، ولا ضير من هذا الاختلاف فى شىء ، وهنـــاك من يرى، أن ابن المعتز يجب أن يعد أول مؤلف فى البلاغة بتاليفه كتابه البـــديع الذى هو أول عرض لموضوعات البلاغة أو لعلم البيان والبديع خاصة ، بشكل سهل جميل مع الشواهد والأمثلة ٠

---

(١) مقدمة نقد النثر ٠

تراجم لشيوخ البلاغة

عبد القاهر الجرجانى :

المتوفى عام ٤٧١ هـ

هو شيخ البلاغة العربية وامامها ، الشيخ ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى ، صاحب « أسرار البلاغة » ، و « دلائل الاعجاز » ٠

والشيخ عبد القاهر أديب متذوق ، وناقد فحل ، يتعمق فى فهم النصوص ويجيد تحليلها ودراستها والموازنة بينها وبين ما يشبهها من الآثار الأدبية ، وقد تكلم فى كتابيه عن كثير من مسائل البلاغة ، وعنى كثيرا بالتشبيه والاستعارة والمجاز والذكر والحذف ، وبكثير من بحوث البلاغة ٠

ويغلب على كتابته فى البلاغة والنقد الروح الأدبى الموهوب العميق ، النافذ الى الأسرار والخصائص والأسباب ٠

وهو بهذين الكتابين أول واضع لعلم البلاغة العربية ، وشارح لمسائلها ، ومبتكر لمسائلها ، ومن ثم فهو جدير منا بكل تقدير واجلال ٠

ويكثر فى الكتابين من عرض الشواهد والأمثلة وتحليلها والموازنة بينها ، وبين ما يشبهها ، فى دقة وذوق وفطنة بأسرار البيان ٠

السكاكى :

المتوفى عام ٦٢٦ هـ

هو أبو يعقوب يوسف بن أبى بكر محمد بن على السكاكى المتوفى عام ٦٢٦ هـ ، وقد درس المنطق كالفلسفة واللغة دراسة واسعة ، وألف كتابه المفتاح فى شتى علوم العربية ، وخص البلاغة بالقسم الثالث منه ، وتحدث فى الكتاب ـ مفتاح العلوم ـ عن خلاصات لعلوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق والعروض والقافية ٠

والسكاكى أول من قسم علم البلاغة الى ثلاثة علوم : علم المعانى ــ علم البيان ــ علم البديع :

وهو أكثر ميلاً الى المنطق ، وأظهر بعدا عن ميدان الأدب والنقد ، وقد استفاد من مجهود عبد القاهر وسواه من علماء البلاغة السابقين فائدة جلى ·

وقد كثرت بعد السكاكى المناقشات اللفظية والبحوث المنطقية فى البلاغة ، ولاتزال موجودة حتى اليوم ·

وعلى مفتاح العلوم شروح وحواش ليس لها نظير على أى كتاب آخر ·

الخطيب القزوينى :

٦٦٦ ــ ٧٣٩ هـ

هو قاضى القضاة الشيخ جلال الدين محمد بن عمر القزوينى الشافعى ·

نشأ من أسرة علمية ودينية كبيرة ، كان ولا شك لها أثرها فى حياته وتفكيره وروحه ·

ولد عام ٦٦٦ هـ ، وتعلم الفقه ، وتولى القضاء ، وانتقل الى دمشق ، وتولى الخطابة فى مسجدها ، ثم تولى القضاء بمصر ، وتمكن نفوذه فيها أيام الملك الناصر ، واكتسب مالا طائلا ، ثم جاء الى دمشق وتوفى فيها · وأشهر مؤلفاته تلخيص المفتاح ، والايضاح فى المعانى والبيان (١) وكانت وفاته عام ٧٣٩ هـ ·

وتدل مؤلفات الخطيب فى البلاغة على ثقافة بلاغية وأدبية واسعة وقراءة مستفيضة لأهم المؤلفات فى البلاغة وفى مقدمتها : « أسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر ، والمفتاح للسكاكى ·

ألف الخطيب مختصرا صغيرا للمفتاح فى البلاغة أو للقسم الثالث بعبارة أوضح وسماه « تلخيص المفتاح » · لخص فيه ذلك السفر العظيم ، وقدم فيه وأخر ، وحذف ، واختصر ، وفيه بعض آراء له لم يرتضها جهابذة هذه الفنون·

---

(١) ٤٤ ج ٣ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ، شذرات الذهب ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ·

على ان متن التلخيص ليس تلخيصا للأسرار او الدلائل او سر الفصاحة وحدها ، انما هو تلخيص للقسم الثالث من المفتاح اولا ، وقبل كل شيء ٠٠٠ وما فيه من روح التاثر بعبد القاهر فمرجعه الى المفتاح نفسه الذى اعتمد فيه السكاكى على عبد القاهر الى حد بعيد ٠

ثم الف الخطيب كتابه الايضاح فى البلاغة على ترتيب التلخيص ، وبسط القول فيه ، ليكون كالشرح له ، فاوضح مواضعه المشكلة ، وفصل معانيه المجملة ، واعتمد على المفتاح واتلأسرار والدلائل وغير هذه المؤلفات فى بحوثه ودراساته فيه ، كما يشير اليه الخطيب نفسه فى مقدمة الايضاح ٠

وكتاب الايضاح فيه أمهات مسائل هذه الفنون بعبارة واضحة فيها روح من أسلوب عبد القاهر الجامع بين التحقيق العلمى والرصانة الأدبية ٠

وعلى « تلخيص المفتاح للخطيب » كثير من الشروح والحواشى والتقارير، التى تروعك كثرتها ، مما يدل على مدى شهرة الكتاب العلمية عند الباحثين ٠ ولايزال منهج الخطيب فى البلاغة وفى متن التلخيص بالذات هو المنهج العلمى والدراسى فى علوم البلاغة الى عصرنا الراهن ٠

وكتاب الايضاح عمل جليل فى البلاغة ، سواء فى ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه ، أم فى استيعابه واستقصائه وتحليله ، أم فى جمعه واستمداده من شتى المصادر والمراجع ، أم فى أسلوبه الأدبى وروحه العلمية وكثرة تبويباته الأدبية ٠

وهو أهم كتاب دراسى فى البلاغة فى العصر الحاضر ٠ ويمتاز الايضاح للخطيب القزوينى بعدة ميزات ظاهرة :

(أ) فهو أوفى كتاب فى بحوث البلاغة ٠

(ب) وهو أوضح الكتب المؤلفة فى البلاغة نظاما وأسلوبا ٠

(ج) وهو كثير البحث والتعمق والاستنباط لأسرار البلاغة العربية ٠

(د) وهو كتاب تطبيقى جميل فى البلاغة ٠

(هـ) وينقد القزوينى فيه كثيرا من آراء السكاكى ٠

(و) ويعتمد الخطيب فيه على عبد القاهر والسكاكى كثيرا ٠

(ز) والخطيب يجمع فى كتابه خلاصات لبحوث علماء البلاغة فى شتى العصور حتى عصره ٠

(ح) والكتاب بعد ذلك غزير المادة كبير الفائدة فى الأدب والنقد والبلاغة والبيان ٠

سعد الدين التفتازانى

٧١٢ ـ ٧٩١ هـ

هو العلامة مسعود بن عمر ، ولد واخذ العلم عن اكابر العلماء فى عصره وتنقل بين البلاد ، ومن البلاد التى رحل اليها هراة ، وقد الف فيها كتابه المطول سنة ٧٤٨ ، ثم الف المختصر سنة ٧٥٦ هـ ٠

وعنى السعد بآراء عبد القاهر والسكاكى والخطيب عناية فائقة ، ويغلب على كتابته فى البلاغة صبغة المنطق والتقسيمات العقلية الجافة ، وله حاشية على المفتاح ومؤلفات أخرى تشهد له بالفضل والتفوق ٠

السيد الجرجانى

٧٤٠ ـ ٨١٦ هـ

ولد فى قرية « سراباذ » بين همدان وبغداد ، وتتلمذ على السعد ، وقدم القاهرة ودرس بها ، ثم خرج الى بلاد الروم ، ثم عين أستاذا فى شيراز ٠

والف فى البلاغة ٠

١ ـ شرحا على المفتاح ٠

٢ ـ شرحا اخر على القسم الثالث من المفتاح ٠

٣ ـ حاشية على المطول للسعد ٠٠٠ وقد ناظر أستاذه السعد مناظرة مشهورة ، وكان موضوعها « اجتماع الاستعارة التبعية والتمثلية فى كلام صاحب الكشاف ، فى قوله تعالى « **اولئك على هدى من ربهم** » ٠

العضد

٧٠١ ـ ٧٥٦ هـ

ولد عضد الدين الايجى فى قرية ايج من نواحى شيراز ، واخذ عن

مشايخ عصره ، وأخذ عنه السعد وسواه ، وعين مدرسا فى شيراز ٠ ثم حبسه حاكم كرمان ومات فى حبسه ٠

ومـن أهم مؤلفاته فى البـلاغة الفـوائد الغيائية ، وهو تلخيص للقسم الثالث من المفتاح ، وهو أقصر من تلخيص المفتـاح للخطيب القزوينى ٠٠ وله كتب أخرى مخطوطة ٠

اهم كتب البـلاغة فى مختلف العصـور

مجاز القرآن لابى عبيدة م ٢٠٨ هـ

البديع لابن المعتزم م ٢٩٦ هـ

الصناعتين لابى هلال العسكرى م ٣٩٥ هـ

اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر م ٤٧١ هـ

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى م ٤٦٦ هـ

العمدة لابن رشيق م ٤٦٠ هـ

نهاية الايجاز للرازى م ٦٠٦ هـ

المفتاح للسكاكى م ٦٢٦ هـ (١)

قوانين البلاغة لعبد اللطيف البغدادى م ٦٢٩ هـ

المثل السائر لابن لاثير ٦٣٧ هـ

التبيان لابن الزملكانى م ٦٥١ هـ

المعيار للزنجانى م ٦٥٤ هـ

---

(١) شرحـه : الشيرازى م ٧١٠ هـ ، والخلخالى م ٧٤٥ هـ ، والسـعد م ٧٩٢ هـ والسيد م ٨١٦ هـ ، وابن كمال باشا م ٩٤٠ هـ ٠

ولابن يعقوب م ١١٠٨ هـ ، وللدسوقى م ١٢٣٠ هـ شروح عليه ٠

ولزكريا الأنصارى م ٩٢٦ مختصر تلخيص المفتاح ، وللعباسى م ٩٦٣ شرح لشواهد التلخيص اسمه معاهد التنصيص ٠

المصباح لبدر الدين ابن ابن مالك م ٦٨٦ هـ

الاقصى القريب للتنوخى م ٦٩٨ هـ

بديع القرآن لابن ابى الاصبع م ٦٥٤ هـ

الايضاح للخطيب القزوينى م ٧٣٩ هـ

تلخيص المفتاح له ايضا

الفوائد الغياثية للعضد م ٧٥٦ هـ ، وشرحها الكرمانى م ٧٨٦ هـ

التبيان لشرف الدين الطيبى م ٧٤٣ هـ

الطراز ليحيى بن حمزة العلوى م ٧٤٩ هـ وقد طبع فى ثلاثة اجزاء

عروس الافراح للسبكى م ٧٧٣ هـ

المطول للسعد م ٧٩١ هـ

السمرقندية للسمرقندى وهى رسالة فى الاستعارات ، وتوفى السمرقندى عام ٨٨٠ هـ

عقود الجمان للسيوطى م ٩١١ هـ

الجوهر المكنون للاخضرى م ٩٠٥ هـ ، وشرحه الشيخ الدمنهورى ١١٩٢ هـ

تحفة الاخوان فى علم البيان للدردير م ١٢٠١ هـ

الرسالة البيانية للصبان م ١٢٠٦ هـ

التجريد للبنأنى م ١٢١١ هـ

حسن الصنيع للشيخ البسيونى م ١٢١٣ هـ

زهر الربيع للحملاوى م ١٣٥٢ هـ

البلاغة الواضحة للجارم م ١٩٤٩ هـ

كتب أخرى تدور حول البلاغة

من أهم هذه الكتب :

نقد الشعر ، لقدامة م ٣٣٧ هـ

سر الفصاحة لابن سنان ٤٦٦ هـ

الوساطة للجرجانى ٣٩٢ هـ

الوساطة للجرجانى ٣٩٢ هـ

الموازنة للامدى م ٣٧١ هـ

العمدة لابن رشيق م ٤٦٠ هـ

تفسير الكشاف للزمخشرى ، وله كتاب اساس البلاغة ٠

المجازات النبوية ، ومجاز القرآن ـ للشريف الرضى المتوفى ٤٠٦ هـ

الباب الثانى

الفصاحة ـ البلاغة

نحو بلاغة جديدة

الفصــاحة :

الفصاحة فى اللغة تبيء عن الظهور والابانة ، يقال : فصح الاعجمى فى كلامه وافصح : اذا انطلق لسانه ، وخلصت لغته من اللكنة ، وجــادت ملكتــه فلم يلحن ٠

وهى عنــد البــلاغيين يوصف بها اللفظ المفـــرد ، والكلام ، والمتكلم ، فالفصاحة عندهم هى كون اللفظ جاريا على القوانين المستنبطة من استقراء كلام العرب ، كثير الاستعمال على السنة العرب الموثوق بعربيتهم ٠

١ ـ فصاحة المفرد

هى خلوصه من :

١ ـ تنــافر الحروف ٠

٢ ـ الغــرابة ٠

٣ ـ مخــالفة القياس ٠

التنـــافر

هو وصف فى الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها ٠

والتنافر قسمان :

(أ) فمنه ما تكون الكلمة بسببه متناهية فى الثقل على اللســان وعسر النطق بها كما روى ان اعرابيا سئل عن ناقته فقال : تركتها ترعى الهعخع وهو اسم شجر من شجر الصحراء ٠

(ب) ومنه ما هو دون ذلك ، كلفظ مستشزر فى بيت امرىء القيس :

غدائره مستشزرات الى العـــــلا

تضل العقاص فى مثنى ومرسل (١)

والحكم فى ذلك هو الذوق ٠

الغـرابة

وهى ان تكون الكلمة وحشية (٢) لا يظهر معناها ، فيحتاج فى معرفته :

(أ) الى أن يفتش عنها فى كتب اللغة المبسوطة ، كما روى عن عيسى ابن عمر النحوى انه سقط عن حماره ، فاجتمع عليه الناس ، فقال : « مالكم تكاكأتم على تكاكؤكم على ذى جنة ؟ افرنقعوا عنى » أى مالكم اجتمعتم تنحوا ٠

(ب) أو الى أن يخرج لها وجه بعيد ، كما فى قول العجاج :

ومقـــلة وحـــاجبا مزججـــا

وفاحمـــا ومرســــــنا مسرجا (٣)

---

(١) الغدائر : الذوائب جمع غديرة ، والضمير فيها عائد الى الفرع فى البيت قبـله ٠ مستشزرات أى مرتفعـات ان كان بكسر الزاى على لفظ اسم الفاعل ، أو مرفوعات ان كان بالفتـح على لفظ اسم المفعول ، استشزره أى رفعه متعديا ، واستشزر اى ارتفع لازما ٠ تضل : تغيب وتختفى ٠ العقاص : جمع عقيصة وهى الخصلة المجموعة من الشعر ٠ المثنى المفتول ٠ المرسل : خلاف المثنى ٠

والمعنى : ان ذوائبه مشدودة على الرأس وان شعره مقسم الى عقاص ومثنى ومرسل ، والأول يغيب فى الاخيرين ، والمراد وصف الشعر بالكثافة والكثرة والطول ٠

والشاهد هنا قوله مستشزرات فهو لفظ متنافر ثقيل على اللسان ، ولكنه اقل ثقلا من « الهعخع » ٠

(٢) أى ليست مأنوسة الاســتعمال عند العــرب الخلص ، من ســكان البادية ٠

(٣) المقلة : العين ٠ مزججا : مدققا مطولا ٠ فاحما : أى شعرا أســـود كالفحم المرسن : الانف ٠

والشاهد فى البيت فى قوله مسرجا فانه غير ظاهر المعنى ، لأن العلماء قد اختلفوا فى معناه ٠ وليس هذا اللفظ مما يسهل البحث عن معناه فى المعاجم اللغوية ٠

فانه لم يعرف ما أراد بقوله « مسرجا » حتى اختلف فى تخريجه : فقيل هو من قولهم للسيوف : سريجية ، أى منسوبة الى صانع يقال له « سريج يريد انه فى الاستواء والدقة كالسيف السريجى ، وقيل : من السراج ، يريد انه فى البريق كالسراج ٠ وهذا قريب من قولهم : سرج وجهه أى حسن ، وسرج الله وجهــه وحسنه ٠

مخالفة القيــاس :

هى ان تكون الكلمة على خلاف مفردات الألفــاظ الموضوعة أى عــلى خلاف ما ثبت عن الواضع ، أما الموافقة للقياس فهى ان تكون الكلمة على وفق ما ثبت عن الواضع سواء وافقت القانون التصريفى أم خالفته ولكن ثبتت عن الواضع كذلك ، والمخالفة ان تكون الكلمة على خلاف ما ثبت عن الواضع سواء خالفت القانون الصرفى ايضا أم لا ، فنحو آل وماء وأبى يأبى وعور يعــور فصيح ٠ لانه ثبت عن الواضع كذلك وان خالف قواعد الصرف ٠

ومثال مخالفة القياس قول الشاعر :

الحمـــــد لله العـــلى الاجلل

انت مليــك النــاس ربا فاقبــل

فان القياس الاجل بالادغام ، ومثله قول الشاعر :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى

انى اجود لاقــوام وان ضننوا

علامة فصاحة الكلمة :

هذا وفصاحة الكلمة علامتها أحد أمرين :

١ ـ ان تكون هذه الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب الموثوق بعربيتهم اذا لم يكن لها مرادف ٠

٢ ـ اوان تكون هــذه الكلمة اكثر اســتعمالا عندهم من الكلمات الأخــرى المرادفة لها المشتركة معها فى المعنى اذا كان للكلمة مرادف ٠

فعلامة فصاحة الكلمة التى ليس لها مرادف كثرة استعمالها ، والتى لها مرادف أن تكون أكثر استعمالا من مرادفها ٠

٢ ـ فصاحة الكلام

فصاحة الكلام : هى خلوصه من : ضعف التأليف ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد ٠٠ مع فصاحة كل كلمة منه ٠

ضعف التأليف :

هو أن يكون تأليف الكلام على خلاف القانون النحوى المشهور بين الجمهور : كالاضمار قبل الذكر لفظا ومعنى وحكما ٠ مثل زار صديقه محمدا ٠

فان رجوع الضمير الى المفعول المتأخر لفظا ممتنع عند الجمهور ، لئلا يلزم رجوعه الى ما هو متأخر لفظا ورتبة ، فلو تقدم المرجع لفظا أو معنى أو حكما جاز ، وصح الأسلوب ، ولم يكن هناك ضعف تأليف ، فتقدم المرجع لفظا ٠ مثل أكرم محمد صديقه ٠

وتقدمه فى المعنى مثل : توارت بالحجاب ، أى الشمس ٠

وتقدمه فى الحكم مثل : هو الله أحد ، ربه رجلا ٠

ومن شواهد ضعف التأليف قول الشاعر :

فلو ان مجدا خلد الدهر واحـــدا
من الناس أبقى مجده الدهر مطعما

تنافر الكلمـــات :

هو أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان ، وان كان كل منها فصيحة وهو قسمان :

(١) فمنه ما تكون الكلمات بسببه متناهية فى الثقل على اللسان وعسر النطق بها متتابعة ، كما فى البيت الذى أنشده الجاحظ :

وقبـــر حرب بمكان قفـــــــر
وليس قرب قبر حرب قبـــــــر

(ب) ومنه ما هو دون ذلك كما فى قول ابى تمام :

كريم متى امدحه امدحه والورى معى
واذا ما لمتــــه لمتــــه وحــــدى

فان فى تكرار قوله « امدحه امدحه » ثقلا لما بين الحـــاء والهـــاء من التنافر ·

التعقيـــــد :

أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به ، وله سببان :

أحدهما : ما يرجع الى اللفظ وهـــو أن يختل نظم الكـــلام ، ولا يدرى السامع كيف يتوصل منــه الى معنــاه ، ويسمى تعقيدا لفظيــا ، وذلك كقول الفرزدق :

وما مثله فى النــاس الا مملكا
أبو أمه حى أبوه يقـــــــاربه

كان حقه أن يقول : وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملك ابو أمه ابوه ، فانه مدح ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومى خال هشام بن عبد الملك ، فقال : وما مثله – يعنى ابراهيم الممدوح – فى الناس حى يقاربه ، أى أحـــد يشبهه فى الفضائل ، الا مملكا ، يعنى هشاما ، ابو ام هشام ابو الممدوح ، فالضمير فى أمه للملك ، وفى أبوه للممدوح ، ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وهو جده بحى ، وهو أجنبى ، وكذلك فصل بين حى ويقاربه ، وهو نعت حى بأبوه ، وهو أجنبى ، وقدم المستثنى عـلى المستثنى منه ، فهو كمـــا تراه فى غاية التعقيد ، فالكلام الخالى من التعقيد اللفظى ما سلم نظمه من الخلل ، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم او تأخير او اضمار أو حذف أو غير ذلك الا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة ، لفظية أو معنوية ·

والثانى : ما يرجع الى المعنى ، وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول الى المعنى الثانى الذى هو لازمه ، والمـراد به ظاهرا ، كقول العبـــاس ابن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنـــكم لتقربوا
وتسكب عيناى الدموع لتجمـــدا

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن ، وأصاب ، لأن من شأن البكاء أن يكون كناية منه ، كقولهم : أبكانى وأضحكنى ، أى ساءنى وسرنى ، وكما قال الحماسى :

أبكانى الدهـــر ويا ربمـــــــا
أضحكنى الدهر بمـــــا يرضى

ثم طرد ذلك فى نقيضه ، فأراد أن يكنى عمـا يوجبه دوام التـــلاقى من السرور بالجمود ، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر ٠٠

وأخطأ لأن الجمود خلو العين من البكاء فى حال أراد البكاء منهـــا ، فلا يكون كناية عن المسرة ، وإنما يكون كناية عن البخل كما قال الشاعر :

ألا ان عينا لم تجـد يوم (واسط)
عليك بجارى دمعهـــا لجمــــود

لو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء فى حال المسرة لجاز أن يدعى به للرجل ، فيقال لازالت عينك جامدة ، كما يقال لا أبكى الله عينك ٠ وذلك مما لا شك فى بطلانه ٠

فالكلام الخالى عن التعقيد المعنوى ما كان الانتقال من معناه الأول الى معناه الثانى ــ الذى هو المراد به ــ ظاهرا ، حتى يخيل الى السامع أنه فهمه من سياق اللفظ ٠

٣ ــ فصاحة المتكلم

هى ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح ٠

معنى البــــلاغة

اذا عرض لك موضوع فعرفت ما يقتضيه المقام من المقال ، وقلت فيه من الكلام ما يحسن أن يقال فى مثله ، واخترت للمعـــانى من الألفـاظ والجمل والأساليب ما يتناسب وعقول القارئين والسامعين وشعورهم وذوقهم ، فتلك هى البلاغة ٠

فالبلاغة هى ان تجعل لكل مقام مقال ، فتوجز حيث يحسن الايجاز ، وتطنب حيث يجمل الاطناب ، وتوكد فى موضع التوكيد ، وتقدم أو تؤخر اذا رأيت ذلك أنسب لقولك ، وأوفى بغرضك ، وتخاطب الذكى بغير ما تخاطب بة الغبى ، وتجعل لكل حال ما يناسبها من القول ، فى عبارة فصيحة ومعنى مختار .

- ٢ -

ويجب مراعاة ثلاث مطابقات حتى يكون الأسلوب تاما وافيا بالغرض

١ - مطابقة الأسلوب للموضوع الذى يتكلم فيه ، فالموضوعات تختلف ضعة ورقيا ، والأفكار تختلف سذاجة وتعقيدا ، وسهولة ، وصعوبة ، فيجب أن يكون الأسلوب مسايرا لهذه الموضوعات والمعانى ، فيكون سهلا فى الموضوعات والمعانى السهلة ، جزلا فيما يناسب الجزالة من الموضوعات والمعانى ، كما أن بعض الموضوعات يناسب الاطناب ، وبعضها يناسب الايجاز ، وبعضها يحتاج الى أسلوب خطابى ، وبعضها الى أسلوب منطقى ، وهكذا .

والوسيلة الى ذلك تربية الذوق الأدبى عند الكاتب ، حتى يدرك أوفق الأساليب للموضوع الذى يتكلم فيه . وهذا الذوق جزء منه غريزى لا دخل للانسان فيه ، وجزء مكتسب يكتسبه الكاتب بمخالطته للأدباء المجيدين ، وبالمطالعة فى الكتب الأدبية الراقية ، وبالمران على الكتابة الجيدة . فهو بهذا كله يستطيع أن يدرك الألفاظ والأساليب التى تناسب الموضوعات ، ويعلم أيها يحتاج الى قوة ، وأيها لا يحتاج ، وأى الكلام يناسب المقام وأيه لا يناسب . وهذا الذوق الراقى هو غاية ما يصبو اليه الأديب .

يروى أنه لما فرغ الخليفة المعتصم من بناء قصره ، جلس فيه وجمع الناس من أهله وأصحابه ، وجلس على سريره المرصع بالجواهر ، وكلما دخل رجل اجلس فى المكان اللائق به ، فما رأى الناس أحسن من هذا اليوم ، ثم اذن للشعراء أن يقولوا ، فقال اسحاق بن ابراهيم ، فكان أول بيت فى قصيدته تشبيبا بالديار القديمة ، والآثار الدارسة ، على عادة شعراء العرب فى الجاهلية فقال :

يا دار غيرك البلى فمحاك

ياليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير الخليفة وتطير الناس من قوله ، وانقبضت صدورهم ، وعمهم الأسف · وسبب هذا كله قلة ذوق الشاعر ، وعدم التوفيق فى الكلام والأسلوب الذى يناسب الموضوع ·

٢ ـ مطابقة الأسلوب لعقلية القارئين والسامعين ، فيجب الا يكون الأسلوب عاليا جدا يصعب فهمه ، بل يجب أن يكون فى متناول عقولهم ، يستطيعون أن يدركوه فى سهولة ويسر ·

وخير وسيلة لمرعاة هذه المطابقة أن يكون الخطيب أو الكاتب على علم تام بعقلية الناس وطباعهم · والكتاب أو الرواية الجيدة التى تصادف نجاحا ويستحسنها الجمهور ، ليست هى الجيدة فى افكارها وموضوعها ولغتها فحسب ، بل هى التى درس كاتبها ـ فوق ذلك ـ عقلية القارىء ، وكتب كتابه أو روايته على النمط الذى يفهمه ، وشعر بالصعوبات التى قد يجدها القارىء فذللها ·

قال قائل لابى تمام ، وكان شعره غامضا ، وخياله بعيد المنال : « لم لا تقول ما يفهم ؟ » فقال ابو تمام : « لم لا تفهم ما يقال ؟ » ، والحق مع القائل لا مع ابى تمام ، فعلى الشاعر أولا ان يراعى عقلية جمهور السامعين لا الخاصة وحدهم ·

٣ ـ مطابقة الاسلوب لنفس المتكلم أو الكاتب ، فكثيرا ما يتكلف فى كتابته ، ويقلد غير شخصيته فيعرج كلامه سمجا ثقيل الظل ، فترى بعض الناس يتحدث فيحسن حديثه ، فاذا كتب سمجت كتابته ، لأنه فى الأولى طابق نفسه ، وفى الثانية تابع غيره ، فخرج الكلام ، من روح غير روحه فسمج ·

فتهذيب الذوق الأدبى حتى يعرف به ما يناسب الموضوع وما لا يناسب ومعرفة طبائع الناس وعقلياتهم ، وقدرة الكاتب على تصوير مشاعره واستمداده كلامه من روحه الى كل ما يلزم الاديب ليكون اسولبه بليغا ·

وننتقل من ذلك الاجمال الى التفصيل ، فنقول :

البلاغة يوصف بها الكلام والمتكلم ، ولا يوصف بها المفرد ، فنقول :

كلام بليغ ، ومتكلم بليغ ، ولا تقول : لفظ بليغ ·

وكلمة **اتصال** Communication تمتاز بالتعبير عن **الغرضية والتفاعل** معا ، بمعنى انها تنطوى على معنى القصد أو التدبير ، وكذلك تعنى **التفاعل**

أو **المشاركة** ٠ واللفظ الاوربى مشتق من الأصل اللاتينى للفعل Communicare بمعنى : **يذيع او يشيع وهـذا هو الاتصـال الشخصى** ، أو بين شخص وعـدة اشـخاص ، أو جمـاعة ، وهـو **الاتصال الجمعى المبـاشر** ، وقد يجرى بين شخص أو مؤسسة وعدة جماعات متفرقة لا تتصل ببعضها البعض ولا ترى مصدر الاتصال وجها لوجه ، وهذا هو **الاتصال الجماهيرى** (١) ، الذى يعتبر **التحرير الاعلامى** صلبه ومنطلقه ، اذ يتوسل هذا النوع بوسائل جمـاهيرية هى وسائل الاعـلام ٠

وتشير دائرة المعارف البريطانية (٢) الى معنى الاشـاعة ، أو مشاركة شىء ما بين شخصين أو عدة أشخاص أو عدة جماعات من الناس (٣) ٠ ويؤكد خاصـية التفاعل التى تميز **التحرير الاعلامى** من أنواع التحرير الأخـرى ، كما يؤكد على نتائج تلك الاتصـالات أو آثارها ، اذ لا يمكن تمييز الرسالة الاعلاميـة عن رسـالة أخـرى ـ مفهومة ومرفوضـة ـ الا عن طـريق هـذه النتـائج أو ردود الأفعـال التى يمكن تقـديرها ٠ وهناك الكثير من تعريفات الاتصال ، منها التعريف الذى قدمه ليلاند براون Leland Brown وهو « **أن الاتصال عبـارة عن عملية نقـل وتلقى الحقـائق والآراء والشعور والاتجاهات والاحساس وطرق الاداء والتفكير بواسطة رموز من شخص الى آخـر** » ٠

ونلاحظ تقاربا شديد الصلة بين هذا التعريف للاتصال ، وغيره ، وبين المفهوم العربى **للبلاغة** التى تنبىء لغة عن « **الوصول والانتهاء** » (٤) ٠ يقال : **بلغ فلان مراده اذا وصل اليه** ، وبلغ الركب المدينـة اذا انتهى اليها ، وأبلغه هو ابلاغا ، وبلغه تبليغا ، ومنه قول أبى قيس بن الأسلت السلمى :

قالت ولم تقصد لقيل الخنى   مهـلا فقد أبلغت أسـماعى

أى قد انتهيت فيه وأنعمت ، وتبلغ بالشىء ٠ وصل الى مراده ، وبلغ مبلغ فلان ومبلغته ٠ وفى حديث الاستسقاء : « واجعل ما أنزلت لنا قوة **وبلاغا** الى حين » ٠ **والبلاغ** ما يتبلغ به ويتوصل به الى الشىء المطلوب ، والبلاغ ما بلغك ، والبلاغ : الكتابة ٠

---

(١) دكتور ابراهيم امام الاعلام والاتصال بالجماهير ص ٢٤ ٠
(٢) طبـة ١٩٦٥ ٠
(٣) مجلة الفن الاذاعى ٤٦٤ م ١٣ يناير ١٩٦٩ ٠
(٤) شروح التلخيص ج ١ ص ٧٣ ٠

وتقول له : فى هذا بلاغ وبلغة وتبلغ · أى كتـابة ، **وبلغت الرسـالة** ، والبلاغ الابلاغ وفى التنزيل « **الا بلاغا من الله ورسالاته** » أى لا أجـد منجى الا أن ابلغ عن الله ما أرسلت به ، **والابلاغ** : الايصال ، وكذلك التبليغ ، والاسم منه البلاغ ··· وفى الحديث « **كل رافعة رفعت عنا من البلاغ فليبلغ عنـا** » يروى بفتح الباء وكسرها ، وقيل من أراد من المبلغين ·· وبلغت المكان بلاغا · وصلت اليه ، وكذلك اذا شارفت عليه ، ومنه قوله تعالى : « **فاذا بلغن أجلهن** » أى قاربنه ، وبلغت النخلة وغيرها من الشجر : حان ادراك ثمرها ، وشىء بالغ أى جيد ، وقد بلغ فى الجودة مبلغـا · ويقال : **أمر الله بلغ بالفتح اى بالغ** من قوله تعالى : « **ان الله بالغ أمره** » وأمر بالغ وبلغ : نافـذ يبلغ أين أريد به ، والبلاغة ، الفصاحة ، والبلغ : البليغ من الرجـال ، ورجـل بليغ ، وبلغ من الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما فى قلبه ، والجمع بلغاء وقد بلغ بضم اللام بلاغة أى صار بليغا ، وقول بليغ : بالغ ، والبلغن ، التمام والبلغن ، الذى يبلغ للناس بعضهم حديث بعض (١) ·

والرأى عندنا أن الدلالة اللغوية العربية للبلاغة هى المقابل الصحيح لمـا نسميه اليوم بعلم الاتصال Communication ، فان فن البيان ، أو فن النقد ، او فن البلاغة مما نشأ فى العصر العباسى الثانى ، ومعنى ذلك أن العرب كانوا اذا أطلقوا لفظ البيان ، أو البلاغة ، لم تنصرف الى علم خاص ، أو اصطلاح محدد ، وانما كانت تنصرف الى معانيها اللغوية (٢) ، ونعنى بتأكيد أن الدلالة اللغوية للبلاغة أقرب لظاهرة الاتصال ، لأن الباحثين عن حياة البلاغة لايلبثون أن يتعجلوا ظهور أقسام البلاغة الثلاثة ، من المعانى ، والبيان ، والبـديع ، على ما استقر عليه الأمر فى ذلك أخيرا (٣) ·· والنظر فيما عداه من أوليات الفنون الثلاثة يكشف بجلاء أنها ليست كذلك · فما كتبه الجاحظ ، ومعاصروه فى القرن الثالث ليست الا نظرات عامة ، مرسلة ، لا تلتحق بفن من الفنون الثلاثة ، بل تصبح نثرات من كل واحد منها ، وشذرات ، متفرقة ، ساذجة ، فليست من علم المعانى بمعنـاه الأخير ، ولا تعـد أولية له · وليس فى ذلك التأكيد اى غض من قيمة البلاغة العربية ، وانمـا على النقيض **لأن دلالتهـا اللغوية اعمق بكثير حين تقابل المقصود من علم الاتصال وهو علم اشمل من دراسة الجزئيات البيانية أو البديعية** ، هو علم أقرب حقيقة الى ما يسـميه الاستاذ أمين الخولى رحمه الله بفن « القول » كيف وبم يكون ، ولو أن فى ذلك تحديدا لجانب من جوانب الاتصال او البلاغة العربية ، ونعنى به « **التحـرير الاتصالى** » · ولذلك لم يهتموا بالتفريق بين البلاغة والفصاحة أولا ، كما يظهر

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة بلغ ·

(٣،٢) أمين الخولى : مناهج تجديد ص ١٠٩ ، ١٢٢ ·

من استعمال الجاحظ فى البيان والتبيين ، وكما يقول أبو هلال العسكرى — الصناعتين : ص ٧ ط الآستانة سنة ١٣٢٠ هـ — : « **واذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد ، وان اختلف اصلاهما ، فان كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له** » ٠

ولقد كان اختلاف فى الأصل اللغوى سبب تفريق بينهما ، على حد تعبير الشيخ أمين الخولى ، ظل ينمو مع الزمن حتى استقر الاصطلاح التعليمى الغالب ، على أن الفصاحة توصف بها الكلمة والكلام والمتكلم ، وأنها تكون بدون البلاغة ، وأن البلاغة يوصف بها الكلام والمتكلم دون الكلمة المفردة ، ولا تكون بدون فصاحة ؛ وظلت الكتب المتأخرة تشير الى امكان التسوية بين الكلمتين ، وان كنا نذهب الى أن هذه التسوية انما تندرج تحت اطار الظاهرة العامة التى **يقابل فيها المدلول اللغوى العربى لكلمة « البلاغة » مفهوم « الاتصال » بمعناه المتعارف عليه** ٠

وعلى ذلك فان الارتباط الوثيق بين اللغة والاتصال ، واعتبار اللغة أهم وسيلة فى عملية التحرير ، لا يعنى أن « اللغة والاتصال مترادفان » ، ذلك أننا اذا استمعنا الى حوار أو مناقشة قصيرة بين اثنين أو أكثر ، فاننا سنستمع الى عبارات متبادلة مثل : « الآن ، ماذا تحاول أن تقول كذا ٠٠ » و « ذلك ليس قصدى » ، و « فى الواقع ٠٠ يعنى ، أريد أن أقول ٠٠٠ الخ » ، الأمر الذى يبين لنا كيف أن قدرة البشر على استعمال اللغة — اللسانية — للتعبير عن ذواتهم ، لا يعنى بالضرورة القدرة على تمكنهم من الاتصال بالآخرين ، وتحقيق أهداف هذا الاتصال ٠ فاللغة اللسانية ليست فى كل الأحوال مرادفة للاتصال ، لأن هناك الاشارات والعلامات وغيرها مما يقوم بوظيفة اللغة اللسانية (١) ٠

نحو بلاغة جديدة

ان موضوع العلاقة بين البلاغة والأجناس الاعلامية يتطلب نوعا من الاتفاق حول المصطلحات الأساسية ، وربما يعن لنا أن نصطنع هنا المنهج الذى يصطنعه علماء اللغة اللسانية عندما يفترضون وجود أصول مشتركة لجميع أو معظم اللغات اللسانية التى يتوسل بها الناس فى الابانة عن أنفسهم والاتصال بغيرهم وهم يتصورون أن هناك سلالات لغوية وأن كل سلالة انما انحدرت عن أصل أطلقوا عليه مصطلح **اللغة الأم** ٠ وعلى هذا النهج يستطيع الدارس لعلاقة

(١) News. Colin : Communication, p. 67, 1

اللغة بهذه الأجناس الاعلامية ، أن يفترض أيضا وجود لغة يمكن أن تعد بمثابة **الأم** لجميع الفنون التى استوعبتها حضارة الانسان ٠

واذا كنا قد ذهبنا الى أن الوظائف الاعلامية **هى** التى خلقت **الوسائل أو الأجناس** الاعلامية ، فاننا نستطيع أن نطرح هنا قانونا اعلاميا ، **يذهب الى أن البلاغة الجديدة ترتبط بكل جنس اعلامى** ، ذلك ان كل جنس أو وسيلة من وسائل الاعلام أثار كل منها أملا وأثار سخطا ، وأصبح كل منها وسيلة للتأثير ذات قوة وسيطرة على عقول الناس ٠ ولكن هذه القوة واحدة بينها جميعا ؛ ذلك انها ليست كامنة فى الوسيلة ذاتها وانما فى النزعات المغمورة فى أعماق الناس ، والتى يعبر عنها باللغة الانسانية ، جاءت وسائل الاعلام فأظهرت تلك النزعات لكنها لم تخلقها كما أن مصدر هذه القوة نفسه متاح لهذه الوسائل جميعا ٠ واذا كان المصدر واحدا فان الأساليب مختلفة ، لأن لكل جنس اعلامى أسلوبه وخصائصه الأمر الذى يجعل **«الرسالة»** الاعلامية ليست مضمونا فحسب وانما ٠٠ « **فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع وللحالة وللوسيلة الاعلامية على حالة المستقبل** » ٠٠ **فاللغة فى كل** وسيلة من وسائل الأعلام تتميز بطبيعة جنسها الاعلامى الذى ينحو نحو اختيار اللغة والأسلوب والبلاغة ، ولذلك فان لغة الجنس الصحفى **لها خصائص** تتميز بها عن لغة الجنس الاذاعى المسموع مثلا ، **وليس ثمة تعارض بين** الأجناس الاعلامية ، فالجنس الاذاعى المسموع **لم يقض على الجنس الصحفى** المقروء ، وقد أثبتت دراسات عديدة أن الاستمتاع الى الراديو **لا يتنافس** بالضرورة مع قراءة المادة المطبوعة ، وان كان يتكامل معها ؛ **فاللغة فى كل** وسيلة أو جنس اعلامى تختلف باختلاف المقدرة الاقناعية لهذه الوسيلة أو ذاك الجنس الذى له امكانات وخصائص ومميزات ٠٠

ولقد تنبه علماء البلاغة العربية الى ما نذهب اليه من ان اللغة **هى** الجنس الاعلامى ، نذكر من ذلك ما كتبه « **أبو الحسين الكاتب** » فى كتاب « **البرهان فى وجوه البيان** » ، والذى نسب خطأ لقدامة بن جعفر بعنوان « **نقد النثر** » يقول ان « **البيان على أربعة أوجه فمنه بيان الأشياء بذواتها** » وان لم تبن بلغاتها ومنه **البيان الذى يحصل فى القلب** عند اعمال الفكر واللب ومنه **البيان باللسان** ومنه **البيان بالكتاب** وهو الذى يبلغ من بعد وغاب (١) » ٠

---

(١) أبو الحسين الكاتب : (تحقيق د٠ أحمد مطلوب و د٠ خديجة الحديثى) **البرهان فى وجوه البيان** ــ بغداد ص ٦٠ وما بعدها ٠

وفى تقديرنا ان هذا العالم العربى الذى الف كتابه بعد عام ٣٣٦ هـ ٠ قد وضع لعلماء الاتصال تصنيفا علميا قبل أن يضع رويش Ruesch وبتسون Bateson تصنيفهما الرباعى للاتصال (١) والذى يتفق الى حد كبير مع تصنيف صاحب « البرهان » ، وحيث يذهبان الى تقسيم الأتصال الى أربعة أقسام :

الأول : وهو الاتصال الذاتى Intrapersonal أى الاتصال بين الفرد وذاته ، وهو يتمثل فى الشعور والوعى والفكر والوجدان والعمليات النفسية الداخلية ٠ وفى هذا الاتصال الذاتى يقع الوجهان الأولان عند صاحب « البرهان » يقول :

والأشياء تبين للناظر المتوسم والعاقل المتبين بذواتها وبعجيب تركيب الله فيها ، وآثار صنعته فى ظاهرها كما قال تعالى : « ان فى ذلك لآيات للمتوسمين » (سورة الحجر / ٧٥) وقال : « **ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون** » (سورة العنكبوت / ٣٥) ٠

« ولذلك قال بعضهم : قل للأرض : من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك ؟ فان أجابتك حوارا والا أجابتك اعتبارا « فهى وان كانت صامتة فى أنفسها فهى ناطقة بظاهر أحوالها ٠ وعلى هذا النحو استنطقت العرب الربع وخاطبت الطلل ونطقت عنه بالجواب على سبيل الاستعارة فى الخطاب ٠ وقد قال الله عز وجل فى هذا المعنى : « **أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم** » (سورة الروم / ٩) وقال الشاعر (من الكامل) :

يا ربع عبلة بالجناب تكلم

وأبن لنا خبرا ولا تستعجم

مالى رأيتك بعد اهلك موحشا

خلقا كحوض الباقر المتهشم

فاستنطق ما لا ينطق بلسانه ، لأن أحواله مظهره لبيانه ، وقال آخر فأجاب عن صامت غير مجيب ، لما ظهر من حاله للقلوب (من الطويل) :

---

(١) Ruesch J. and Bateson G. Communication (N.V.)

فاجهشت للتوبـاد حـين رأيتـه
وكبر للرحمـــن حــين رانى

فقلت لـه : أيـن الذين عهـدتهم
حواليـك فى عيش وخـير زمـان

فقال : مضوا واستودعونى ديارهم
ومن ذا الذى يبقى على الحـدثان ؟

« وانما تعبر هذه الأشياء لمن اعتبر بها ، وتبين لمن طلب البيان منهـا · ولذلك جعل الله عز وجل الآية فيها لمن توسم وتفكر وعقل وتذكر ، فقال : « **ان فى ذلك لآيات للمتوسمين** » و « **ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » (سورة الرعد ٣) و « **ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** » (الرعد / ٤) و « **ان فى ذلك لآية لقـوم يذكرون** » (النحل : ١٣) · فهذا وجه بيان الأشياء بذواتها لمن اعتبر بهـا ، وطلب البيان منها ، فاذا حصل هذا البيان للمتفكر صار عالما بمعانى الأشياء وكان ما يعتقد من ذلك بيانا ثانيا غير ذلك البيان وخص باسم الأعتقاد » ·

ومن ذلك يبين أن البلاغى العربى يقسم الاتصال الذاتى الى قسمين ، يحدثان داخل الفرد · وفى هذه الحالة فان المرسل والمستقبل شخص واحـد ، وهو ـ من هنا ـ يتفق مع النظرة الحديثة (١) التى تذهب الى أن الاتصـال الذاتى يتضمن الأنماط التى يطورها الفرد فى عملية الادراك ، أى الأسـلوب الذى ييسر له الملاحظة والتقويم واضفاء معنى على الأفكار والأشياء المحيطة بـه ·

فالاتصال الذاتى اذن يضم وجهين من وجوه البيان عند البلاغى العربى هما : الاعتبـار والاعتقاد ، وهو يشرح الوجه الأول فيقول (٢) :

« ان الظاهر من ذلك ما أدرك بالحسى كتبيننا حرارة النار وبرودة الثلج على الملاقاة لهما ، أو ما أدرك بنظرة العقل التى تتساوى العقول فيهـا مثـل تبيننا أن الزوج خلاف الفرد ، وان الكل أكثر من الجزء · والباطن ما غـاب

---

1) Ronald L. Applbaum, et al, Fundamental Concepts in Human communication C.N.Y. : Harper and Raw 1973). pp. 12—13.
و د· جيهان رشتى الأسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٨٢ ·

(٢) البرهان فى وجوه البيان ·· مرجع سبق ص ٧٣ ·

عن الحسى ، واختلفت العقول فى اثباته ، فالظاهر مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه والاحتجاج له ، لأنه لا خلاف فيه ، والباطن هو المحتاج الى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال ، ويعتبر بوجوه المقاييس والأشكال ، والطريق الى علم باطن الأشياء فى ذواتهـا والوقوف على أحكامها ومعانيها من جهتين ، وهما : **القياس والخبر** » ٠

والبلاغى العربى يذهب الى ما ذهب اليه العلماء المحدثون من أمثال بركرو ويزمان » (١) من أن الكائن الحى يتأثر بمنبهات داخلية سيكولوجية وفسيولوجية ومنبهات خارجية موجودة فى محيطه يتلقاها الفرد فى شكل نبضات عصبية تنتقل الى العقل الذى ينتقى منها ويفكر فيها ، ويتخذ قراره وفقا لعملية تمييز ، تليها عملية اعادة تجميع للمنبهات التى تم اختيارها فى مرحلة التمييز ، ثم يتم ترتيب تلك المنبهات فى شكل خاص له معنى عند الفرد القائم بالاتصال الذى يحولها الى رموز فكرية ، قبل أن يبعث بها فى رموز مادية ملموسة يتلقاها مستقبل آخر ، أى قبل أن يتحول الاتصال الذاتى الى نمط آخر من أنماط الاتصال ٠

ويذهب البلاغى العربى الى أن هذه العملية التى تحدث عنها « بركر وويزمان » من بعد ، تتم عن طريقين هما : **القياس والخبر** ، وحجته فى القياس « أن الله ـ عز وجل قال : « **فاعتبروا يا أولى الابصار** » (الحشر : ٢) وكذلك الأمثال التى جاءت فى كتابه) « مثل كذا وكذا » فى مواضع كثيرة ، وذلك كله تشبيه وقياس ، وأيضا فقد قاس فى كتابه ، فقال لمن حرم وحلل وهو جاحد للرسل الذين يأتون بالتحليل والتحريم : « **ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا** » (الانعام / ١٤٤) وقال :« **قل الله اذن لكم ، أم على الله تفترون** » (يونس / ٥٩) ٠ فلما لم يمكنهم ان دعوا ان الله سبحانه شافههم بذلك ، وكان من قولهم واعتقادهم ابطال الرسل الذين يؤدون عن الله ـ عز وجل أمره ، تبين لهم أن الذى شرعوه لأنفسهم ضلال وبهتان من غير حجة ولا سلطان ، فقال لهم بعد أن تبين ذلك منهم : « **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين** » ٠ (الأنعام ١٤٤) ٠

« ومن الحديث ما حدث به زبيد الايامى برفعه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كل قوم على زينة من أمرهم ، ومفلحة عند

---

1) G. Wiseman and L. Barker, Speech-International Comm.

انفسهم يردون على من سواهم » ٠ والحق فى ذلك يعرف **بالمقايسة** عند ذوى الألبـــاب (١) » ٠

وإذا كانت أوجه النشاط فى الاتصال الذاتى تتفاعل وتتأثر بنظرة **القائم بالاتصـــال** فى الحيـــاة ، وبكل الاعتبـــارات الشخصـــية والموروثة والثقافية والاجتماعية ، كما تتأثر بتجاربه (٢) فانها تتوسل بالخبر كما تتوسل بالقياس وحجة ابن وهب (٣) فى ذلك قول الله عز وجل : « **فاسألوا أهــل الذكر ان كنتم لا تعلمون** » (الأنبياء / ٧) ٠ **فاســأل الذين يقــرأون الكتــاب مــن قبلــك** » (يونس / ٩٤) ٠ ولم يكن ليأمر بمسألتهم اذا لم نعلم الا واخبارهم تفيـدنا علمـــا ، وتزيل عنا شكا ٠ ومن الأثـــر قول رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم : « **نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها وأداها** » وقوله : « **ليبلغ الشـــاهد منكم الغائب** » ولم يأمر بذلك الا وابلاغ الشاهد الغائب يوجب الحجـــة ، واستماع الغائب من الشاهد يكسب علما وفائدة » (٤) ٠

وعلى ذلك يمكننا أن نقــول ان نمـــوذج البـــلاغى العربى فى الاتصـــال يختلف عن كثير من النماذج التى وصفت عملية الاتصال ، وكأنها تسير فى اتجاه واحد ، وهو أقرب الى نموذج « بارنلند » (٥) من حيث ان الاتصال عنده ذو طبيعة دائرية أى يسير فى اتجاهين من المرسل الى المستقبل ، ومن المستقبل الى المرسل ، ولم يقتصر هذا النموذج على الخصائص البنائية للاتصـــال ، اى على المكونات مثل المصدر والرسالة والوسيلة والمستقبل ، بل يهتم أيضـــا بالعـــلاقة الوظيفية التى تحـــكم الجوانب التكوينية وهـــو يؤكد أن الاتصـــال عملية ، كما يركز على العلاقات الفعلية التى تدخل فى ظاهرة الاتصال ٠ وقد أكد « بارنلند » فى النموذج الذى قدمه عن الاتصال أهمية الدلالات المتنوعة التى تصنع التأثيرات الداخلية والخارجية (٥) ٠ أو « **الاعتقاد** » و « **الاعتبار** » ، كما يذهب الى ذلك « ابن وهب » ٠ وقد رأينا أنه يذهب الى أن الاعتبـــار يتوسل **بالقياس والخبر** ٠ والخبر منـــه يقين ومنـــه تصـــديق ، **فاليقين** ينقسم ثـــلاثة

---

(١) البرهان فى وجوه البيان نفس المرجع ص ٧٤ وما بعدها ٠

(٢) د٠ جيهان رشتى نفس المرجع ص ٩ ٠

(٣) البرهان فى وجوه البيان نفس المرجع ص ٧٥ ٠

(٤) البرهان فى وجوه البيان : نفس المرجع ص ٧٥ ٠

(٥) د ٠ جيهان رشتى نفس المرجع ص ٨ ٩٠

3) Dean Barnlund, Interpersonal Comm : Survey and Studies (Baston : Haughton Mifflin (1968) pp. 26—27.

أقسام (١) ٠ أحدهما : خبر الاستفاضة والتواتر الذى يأتى على السن الجماعة المتباينة هممهم وارادتهم وبلدانهم ، ولا يجوز أن يتلاقوا فيه ويتوا طأوا عليه ، فذلك يقين يلزم العقل الاقرار بصحته ٠ وبهذا النوع من الأخبار الزمنا الله – عز وجل حجج الأنبياء عليهم السلام ونحن لم نشاهدهم ولم نرآياتهم ٠ والثانى : خبر الرسل عليهم السلام – ومن جرى مجراهم من الأئمة الذين قد قامت البراهين والحجج من العقل عند ذوى العقول على صدقهم وعصمتهم ، وظهور المعجزات التى لا يجوز أن تكون نوع من الحيل ٠ والثالث : ما تواترت أخبار الخاصة مما لم تشهده العامة فأن تواترهم فى ذلك نظير تواتر العامة (٢) ٠

وأما خبر التصديق فهو الذى يأتى به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل الى معرفته من القياس والتواتر ، ولا أخبار المعصومين ولا يعلم الا من جهة الآحاد ، وذلك مثل الفتيا فى حوادث الدين التى ابتلى بها قوم دون آخرين ٠ وقد يستنبط علم باطن الأشياء بوجه ثالث وهو **الظن والتخمين** وذلك فيما لا يوصل اليه مقياس ولا يأتى فيه خبر ٠ وفى الظن حق وباطل (٣) ٠

وهكذا يذهب ابن وهب الى أن ما تبين عنه الأشياء بذواتها فى الاتصال الذاتى يقوم على « **اليقين** » ، وهو ما تعترف العقول بصحته ويلزمها الاقرار به ٠ و « **تصديق** » وهو تقنع النفوس به ، وان كان فى الممكن أن يقع أو غيره أوكد من موقعه ٠ و « **ظن** » قد احتيط فيه حتى وقع موقع اليقين عند مستعملة (٣) ٠

أما بيان « **الاعتقاد** » فانه يشكل مع بيان « **الاعتبار** » ما يحدث فى عقل المرسل والمستقبل ، الأمر الذى يوضح أهمية الاطار الذى يحدث فيه الاتصال ، والقالب الاجتماعى الذى يحدث فيه التفاعل ، ذلك ان الأشياء اذا بينت بذواتها للعقول وترجمت عن معانيها وبواطنها للقلوب ، صار ما ينكشف للمتبين من حقيقتها معرفة وعلما مركوزين فى نفسه ٠ وهذا البيان على ثلاثة أضرب فمنه : حق لا شبهه فيه ، ومنه علم مشتبه يحتاج الى تقويته بالاحتجاج فيه ، ومنه باطل لا شك فيه (٤) ٠

ويذهب ٠٠ « بارنلند » الى أن نقل المعنى فى الاتصال الشخصى أمر شديد التعقيد ، دينامى ومستمر ودائرى لا يتكرر ولا يرتد ٠ وان المعنى « **يخلقه** » أى

---

(١) البرهان – نفس المرجع ص ٩٠ ٠

(٢ ، ٣ ، ٤) البرهان – المرجع ص ص ٩٠ – ١٠١ ٠

« **يصنعه** » القائمون بالاتصال حينما يستجيبون للدلالات المادية والسيكولوجية عند القائمين الآخرين بالاتصال ، وذلك مع دلالات أخرى موجودة فى الظروف المحيطة · ولعلنا نستطيع الافادة من نموذج « بارنلند » فى فهم الاتصال الذاتى عند البلاغى العـــربى ·

فى هذا الشكل يتضح أن الفرد نظام اتصـــالى يفك الرمز ويعطى لرموز عديدة متوافرة فى مجال ادراكه عن طريق تحويل الأشياء التى يميزها حسيا الى دلالات أو رموز لغوية تظهر للآخرين · وهناك على الأقل ثلاثة أنواع من العلاقات أو الدلالات الادراكية التى يعطيها الفـــرد معنى فى هـــذا الظرف هى (١) :

ما يسميه ابن وهب (٢) : « **الحق الذى لا شبهة فيه أو** « **علم اليقين** » » ، واليقين ما ظهر من مقدمات قطعية لظهور الحرارة للمتطبب عنــد توقــد اللون وسرعة النبض واحمرار البول ، أو عن مقدمات ظاهرة فى العقل كظهور تساوى الأشياء اذا كانت مساوية لشىء واحد ، وكظهور زيادة الكل على الجزء ·· أو عن مقدمات خلقية مسلمة بين جميع الناس كظهور قبح الظلم ، وكل خبر أتى على التواتر من العـــامة أوالتواتر من الخـــاصة أو سمع من الأنبيـــاء وكـــل هذا يوجب العلم · ومن شك فى شىء منه كان اثما ، ولذلك صار من شك فى البارى ــ عز وجل كافرا ، لأن نتيجة المعرفة به عن مقدمات ظـــاهرة للعقل · وكذلك من شك فيما تواترت به الرواية أو تضمنه الكتاب الذى نقله من تجب بنقله الحجة » (٣) ·

وهذه الدلالات قد تتكون من المشتبه الذى يحتاج الى التثبت فيه ، واقامة الحجة على صحته ، فكل نتيجة ظهرت عن مقدمات غير قطعيـــة ، ولا ظاهرة للعقل بانفسها ولا مسلمة عند جميع الناس ، بل قد تكون مسلمة عند أكثرهم ، أو يظهر للعقل تغيرها ، وتغير الفحص عنها ، والاستدلال عليها ، وذلك كرأى كل قوم فى مذاهبهم ، وما يحتجون به لتصحيح اعتقاداتهم ، ونحلهم · وكـــل خبر أتى به الآحاد والجماعات التى لا يبلغ خبرهم أن يكون متواترا بل يجوز على مثلهم فى العادة الاجتماع على الكذب والاتفاق عليه اذا كانوا عدولا ولم يخالف قولهم ما جرى به العرف والعادة ، وذلك مثل روايات كل قوم فيمـــا اعتقدوه واخبارهم عن أهل العدالة عنـــدهم فيمـــا اجتلبوه ، وكل ظن قويت شواهده وكان الاحتيـــاط فى الرأى والدين تغليبه ، وكل هـــذه الأمور التى

---

(١) د· جيهان رشتى : نفس المرجع ص ١٠١ ·
(٣،٢) البرهان ص ١٠١ ·

عددناها فانما يأتى العلم بهـا على التصـــديق لا على اليقين ، والحجة على معنى الاقناع لا البرهان ، وهى توجب العمل ولا توجب العلم » (١) ٠

ومن ذلك يتضح أن الدلالات قد تكون عامة ، وقـد تكون خاصة ، قـد تكون لفظية وقد تكون غير لفظية فى شكلها ، وأن وجهى البيان اللذين ذكرهما ابن وهب : **الاعتبار والاعتقاد** ، انما هما وجهان **للاتصـال الذاتى** ، بالمصطلح الحديث ٠ والاعتبار والاعتقاد كما تحدث عنهما البلاغى العربى يكشفان لنـا عن الطريقة التى يتصل بها الانسان مع نفسه و « **ينفرد بها وحده** » على حـد تعبير ابن وهب (٢) ٠

والنوع الثـانى من الاتصـال فى تقسيم « رويش » و « بيتسون » هـو **الاتصال الشخصى** ، أى بين فرد وفرد آخر ، وهنا يعانى الاتصال من فقد بعض المعلومات ٠ ويقابل هـذا الاتصال الشـخصى ، فى تصنيف ابن وهب (٣) : **البيان باللسان** ، ذلك أن ما يعتقده الانسان من بيان الاعتقاد ويحصل منه غير متعد له الى غيره قد أراد الله عز وجل أن يتم منه فضيلة الانسان ولذلك خلق له اللسان وأنطقه بالبيان ، فخبـر به عما فى نفسه من الحـكمة التى أفادها ، والمعرفة التى اكتسبها ، فصار ذلك بيانا ثالثـا ، أوضح ممـا تقدمه ، وأعم نفعا ٠ لأن الانسان يشترك فيه مع غيره ، والذى قبله انما ينفرد به وحده الا أن البيانين الأوليين بالطبع ، فهما لا يتغيران ٠ وهنا البيان ، والبيان الآتى بعده بالوضع فهما يتغيران بتغير اللغات ، ويتباينان تباين الاصطلاحات ٠ الا ترى أن الشمس واحدة فى ذاتها ، وكذلك هى فى اعتقاد العربى والعجمى ، فاذا صرت الى اسمها وجدته فى كل لسان من الألسن بخلاف ما هو فى غيره ٠ وكذلك الكتاب فان الصور والحروف تتغير فيه بتغير لغات أصحابه وان كانت الأشياء غيـر متغيرة بتغير الألسن المترجمة عنها ٠ ولشرف البيـان وفضيلة اللسان قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **المرء مخبوء تحت لسـانه فاذا تكلم ظهر** » ٠٠ وهذا من أشرف الكـلام وأحسنه وأكثـره معنى وأخصره ، لأنك لا تعرف الرجل حق معرفته ، الا اذا خاطبته وسمعت منطقه ، ولذلك قال بعضهم وقد سئل : فى كم تعرف الرجل ؟

قال : « ان سكت ففى يوم ، وان نطق ففى ساعة ، وقال بعض الحكماء : « ان الله ـ سـبحانه ـ أعلى درجة اللســان على ســائر الجوارح فأنطقه بتوحيده » ٠

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٢ ٠

(٣،٢) البرهان ص ٦٠ ٠

واذا كان الاتصال الذاتى يحدث داخل الفرد ، فان الاتصـال الشخصى يحدث بين فردين ، بحيث نجد نفس عناصر الاتصال الذاتى فى عملية الاتصال الشخصى . ومن النماذج اللفظية المصورة الأولى النموذج الذى قدمه « كلود شانون » سنة ١٩٤٨ ، على أساس من المفاهيم الرياضية بحيث يشمل مصدرا يختار رسالة يتم وضعها فى رموز بواسطة جهاز ارسال يحول الرسالة الى اشارات ، ثم يقوم جهاز الاستقبال بفك الرموز ، ويحولها الى رسالة يستطيع الهـدف استقبالها . والتغيرات التى تطرأ على الرسالة فى جهـاز الارسال وجهاز الأستقبال ترجع الى حدوث التشويش . وقد قال « شانون » ان الاتصال يمكن دراسته من الناحية الفنية « بتاكيد المشاكل الفنية فى ارسال الاشارة » أو من الناحية الدلالية (بتاكيد مشـاكل المعنى) أو من ناحيـة التاثير بتاكيد النتائج السلوكية) (١) .

وقال الشاعر العربى ملخصا هذا النموذج :

وهذا اللسان بريد الفؤا　　　د ، يدل الرجال على عقله

وقال آخر :

وكائن ترى من صامت لك معجب　　زيادته أو نقصه فى التـــكلم

فاللسان ترجمـــان اللب وبريد القلب ، والمبين عن الاعتقاد بالصـــحة والفساد ، كما قال الشاعر (من الكامل) (٢) :

ان الكلام لفى الفؤاد وانمـــا　　جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وفيه الجمال كما قال الله عز وجل ـ « ولتعرفنهم فى لحن القول » (محمد ٣٠) وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم وقد سأله العباس فقال : فيم الجمال يا رسول الله ؟ فقال : فى اللسان . الا أنه لما كان النقص للناس شاملا والجهل فى أكثرهم فاشيا وكان كثير منهم .

أما الرابع فهو الاتصال الثقافى Cultural حيث تتفاعل البيئة الثقافية فى شكل عمليات اجتماعية ، تتنوع فيهـا المعلومات والمؤثرات والمنظمـــات ،

---

(١) د. جيهان رشتى ، نفس المرجع ص ١١١ ،

Claude Shannon and Warren Weaver, The Mathematical Theory of Comm. (Urbans, 1969).

(٢) البرهان فى وجوه البيان ص ٦٣ .

وتلعب الجماعات المواجهية والكلمات والأساطير ووسائل الاعلام ادوارها المعقدة للغاية ٠ وقد ذهب « رويش وبيتسون » الى أن الاتصال الانسانى نوع من الاتصال الألكترونى ، غير أن البحوث التى أتت فيما بعد أخذت توضح أن التعرض للمعلومات ليس تعرضا سلبيا ، لأن الجمهور المستقبل يلعب دورا ايجابيا فى استقبال الرسالة ، ولا تقوم الرسالة فى واقع الأمر الا باعادة تنظيم العناصر النفسية عن طريقة الرمز أو الاشارة أو الموضوع ، وكثيرا ما يرفض المستقبل الرسالة ولا تؤثر فيه اذا كان ذلك يتعارض مع قيمه ومبادئه وافكاره (١) ٠

وتأسيسا على هذا الفهم ، فان البلاغى العربى حين يتحدث عن **البيان بالكتاب** ، انما يتحدث عن نوع من الاتصال مختلف عن الاتصال الذاتى ، والاتصال الشخصى ، ذلك أن البيان بالكتاب كما يقول « ابن وهب » (٢) : هو « **الذى يبلغ من بعد وغاب** » ٠٠ ذلك أن الله عز وجل أراد أن يعم بالنفع فى البيان جميع أصناف العباد وسائر آفاق البلاد ، وأن يساوى فيه بين الماضين من خلقه والآتين ، والأولين والآخرين ، ألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطلحوا عليها ، فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم وعبروا به عن ألفاظهم ، ونالوا به ما بعد عنهم ، وكملت بذلك نعمة الله عليهم ، وبلغوا به الغاية التى قصدها عز وجل فى افهامهم وايجاب الحجة عليهم ، ولولا الكتاب الذى قيد على الناس أخبار الماضين لم تجب حجة الأنبياء على من أتى بعدهم ، ولا كان النقل يصح عنهم ، ولذلك صارت الأمم التى ليس لها كتاب قليلة العلوم والآداب، وقد امتدح الله عز وجل تعليم الكتاب فى كتابه ، وبين احتجاجه على الناس به فقال : « **اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم** » (العلق ٣ ، ٤ ، ٥) وقال عز وجل : « **أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى** » (طه ١٣٣) وقال : « **ائتونى بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم ان كنتم صادقين** » (الأحقاف ٤) ٠

فالاتصال بالجماهير اذن يتم من جانب واحد لكى يبلغ من « **بعد وغاب** » على حد تعبير البلاغى العربى ، فلا تتاح للقارىء أو المستمع أو المشاهد طريقة سهلة لكى يوجه الأسئلة ، أو يعقب أو يستوضح ما عرض عليه ، واذا كان الاتصال الشخصى يمتاز بتعديل الرسائل المتبادلة على ضوء رجع الصدى Feedback من المستقبل الى المرسل ، فان وسائل الاعلام تفقد هذه الميزة

---

(١) د٠ ابراهيم امام : الاعلام والاتصال بالجماهير ، مرجع سابق ص ٦ ٤٠

(٢) البرهان فى وجوه البيان : نفس المرجع ص ٦٦ وما بعدها ٠

الكبيرة ، ولكنها تحـاول التعويض عنها بدراسات تجريبيـا على الجمـاهير وميولها واتجاهاتها (١) ٠

فيختلف الاتصال بالجماهير عن الاتصال الشخصى ، من حيث انعـدام الطابع المواجهى ، وفقدان صفة التخاطب مع فرد بعينه ، ولذلك قيل : « **الكتاب احد اللسانين** » ، باعتبار الكتاب وسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير ، وقيل : « **القلم ابقى اثرا واللسان اكثر هذرا** » وقالوا : « **اللسان مقصور على الشاهد** » (أى الاتصال الشخصى) **والقلم** (الاتصال الجماهيرى) **ينطق فى الشـاهد والغـائب** » ٠ وقال بعضهم : « استعمال القلم أجـدر أن يحضر الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام » (٢) ذلك أن المرسل فى الاتصال الجماهيرى يختار الفئة التى يوجه اليها رسالته ٠

وقد أصبح الاتصال بالجماهير بعد التقدم التكنولوجى فى المجتمع ، قادرا على الوصول الى عدد ضخم من الناس ، ولهذا السبب لا يتطلب الأمر وجود عدد كبير من وسائل الاتصال كما كان فى الماضى ٠ فالرسالة فى الاتصال الجماهيرى « **تقرأ بكل مكان وتدرس فى كل زمان** » و « **اللسان لا يعدو سامعه ولا يتجـاوز الى من بعده** » (٣) ٠ وهـذا يشبه تماما ما يحدث فى أنظمـة المجتمع الاقتصادية والأجتماعية حيث يؤدى الانتاج الضخم للسلع بقليل من المصانع الى انتاج كميات هائلة من سلعة معينة (٤) ٠

ولقد تبين مما سبق عناية نموذج الاتصال بالمرسل والرسالة ، وسنحاول هنا أن نتناول عنصرى المستقبل والوسيلة ، فوفقـا لنموذج « ويلبور شرام » تتكون عملية الاتصـال الجماهيرى من **فكرة أو باعث** Idea or impulse فى عقل المرسل ، وقد تكون الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر صالحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون كـذلك ٠ والعنصر الثـانى **هو التعبير الشكلى** أو تحرير الرسالة Formal Expression ، وقـد عنيت **البـلاغة** العربية بهذين العنصرين عناية كبيرة ، وأقدم الآثار التى عرفها تاريخ البـلاغة هو تلك الصحيفة التى كتبها « بشر بن المعتمر » (ت ٢١٠ هـ) ٠ ولكن **البـلاغة** العربية عنيت كذلك بالعنصر الثالث فى عمليـة الاتصال الجمـاهيرى ونعنى **تفسير المستقبل** للرسالة Receiver Interpretation ، وهو ما عبـر عنه **بمطابقة الكلام لمقتضى الحال** ٠ ويقول بشرين المعتمـر فى ذلك ان مدار

---

(١) د٠ ابراهيم امام : نفس المرجع ص ٢٨ ٠

(٢،٣) البرهان فى وجوه البيان ، نفس المرجع ص ٣١٤ ٠

(٤) د٠ ابراهيم امام : نفس المرجع ص ٢٩ ٠

الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال (١) ٠

وينبغى للمتكلم (المرسل) أن يعرف أقدار المعانى ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين (المستقبل) وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ٠٠ ولكل حال من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات (٢) ٠ ومعلوم أن هذه المطابقة ترتبط بالعنصر الرابع فى عملية الاتصال الجماهيرى وهو : **استجابة المستقبل** Receiver Response للرسالة ، وردود الأفعال التى قد تصل أو لا تصل الى انتباه المرسل للرسالة الأصلية ، ولعله من أجل ذلك انتهى البلاغيون فى حد البلاغة الى تلك الكلمة الموجزة « **مطابقة الكلام لمقتضى الحال** » ٠

فاذا وصلت ردود الأفعال هذه فانها تكون عنصرا خامسا ، وهو رجع الصدى وتفسير المستقبل للرسالة ، أو عملية فك رموز رد الفعل بالنسبة للرسالة ، وفى « **الأغانى** » ان العرب كانت تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولا وما ردوه منها كان مردودا ، فقدم عليهم علقمة بن عبدة التميمى فانشدهم قصيدته : (هل ما علمت وما استودعت مكتوم) ٠ فقالوا : هذا سمط الدهر ، ثم عاد اليهم العام القابل ، فأنشدهم قصيدته : (طحابك قلب فى الحسان طرب) ٠ فقالوا : هاتان سمطا الدهر (٣) ٠

ويبدو أن من الشعراء النابهين من كان يقوم فى سوق عكاظ مقام (المستقبل) فى عملية الاتصال الذى يفك الرموز ويفسر معناها ، ثم يستجيب لها معبرا عن رده أو انطباعه برسالة جديدة يصوغها فى رموز ويبعث بها الى المرسل الأول الذى يستقبلها ويحل رموزها ويستجيب لها ، ويدرك رسالته التالية على أساسها ٠ ففى أخبار النابغة الذبيانى أن الشعراء الناشئين كانوا يحتكمون فيها اليه وكان فى أثناء ذلك يبدى بعض الملاحظات على معانى الشعراء وأساليبهم ، ويقال انه فضل الأعشى على حسان بن ثابت وفضل الخنساء على بنات جنسها ، وثار حسان عليه وقال له : أنا والله أشعر منك ومنها ، فقال له النابغة حيث تقول ماذا ؟ قال حيث أقول :

(١،٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/١٣٦ ، ١/١٣٩ ـ د٠ خفاجى : الايضاح فى البلاغة ص ٧٩ ٠

(٣) الاغانى ط ساسى ٢١/١١٢ ٠

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجـــدة دما

ولدنا بنى العنقاء وابنى محـــرق
فاكرم بنا خالا واكرم بنا ابنما (١)

فقال له النابغة : « انك لشاعر لولا انك قللت عـدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » · وفى رواية أخرى : « فقال له : انك قلت الجفنات فقللت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر · وقلت : يلمعن فى الضحى ، ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ فى المديح ، لأن السيف بالليل اكثر طروقا · وقلت يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتل ، ولو قلت : يجرين لكان اكثر لانصباب الدم ، وفخـــرت بمن ولدت ولم تفخـر بمن ولدك فقـــام حســـان منكسرا منقطعا » (٢) ·

ويقول الجاحظ عن النبى عليه الصلاة والسلام « انه لم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة · وهو الكلام الذى ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام ، وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعـا ولا أقصد لفظـا ولا أعدل وزنا ولا اجمل مذهبا ولا اكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح معنى ولا أبين فى فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم » (٣) ·

وتأسيسا على هذا الفهم يذهب الجاحظ الى أنه « ان كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين ، كما أنه ان عبر عن شىء من صناعة الكلام واصفا أو محيبا أو سائلا كان أولى الألفاظ ؛ ألفاظ المتكلمين ، اذ كانوا لتلك العبـارات افهم والى تلك الألفاظ أميل ، واليها أحن ، وبها أشغف ولأن كبـــار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء ، وأبلغ من كثير من البلغاء وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعـــانى ، وهم استقوا لهـــا من كلام العرب تلك

(٢،١) العنقاء : ثعلبة بن عمر ومزيقياء أحد الأجداد الأزد القدماء فى اليمن ، ومعروف أن الخزرج قبيلة حسان ازدية · ويريد بالمحــرق جبلة بن الحارث أمير الغساسنة فى الشام لأوائل القرن السادس وهم ايضا من الأزد · (الأغـانى ط دار الكتب ٩/٣٤٠ د· شوقى ضيف : البـــلاغة تطور وتاريخ ص ١١) ·

(٣) البيان والتبيين ١/١٧ ·

الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له فى لغة العرب اسم ، فصاروا فى ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع ، ولذلك قالوا : العرض والجوهر وايس وليس ، وفرقوا بين البطلان والتلاشى وذكروا الهزيمة والهوية والماهية وأشباه ذلك ٠٠ وانما طارت هذه الألفاظ فى صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعانى ٠

ولعل دراسة صاحب البرهان ؛ كانت أول دراسة علمية للاتصال وألوانه وفنون تحريره ففيه دراسة للمنظوم والمنثور والخطابة والترسل وأدب الجدل وأدب الحديث ، وفيه دراسة لخصائص الرسالة الاتصالية ، كالتشبيه ، واللحن ، والرموز ، والوحى ، والاستعارة ، والتقديم ، والتأخير ، وقلة التكلف ، والمشاكلة فى المطابقة ٠ ولقد تميز البرهان بدراسة الوسيلة « أو » قناة الاتصال « من حيث ارتباطها بالرسالة حين تحدث عن « **البيان باللسان** » و « **البيان بالكتاب** » ، وبذلك يكون قد أجمل الحديث عن الاتصال الذى لخصه « لازويل » فى قوله المأثور : **من ـ قال ـ ماذا ـ فى أية قناة ـ لمن ـ ما كانت النتيجة والأثر** ؟ ذلك أن الاتصال كما يقول « شرام » ـ يحاول اقامة مشاركة مع المستقبل ، فالمرسل يحاول توصيل معلوماته أو مشاعره التى يحولها الى كلمات مسموعة : (**البيان باللسان**) أو مكتوبة (**البيان بالكتاب**) على حد تعبير ابن وهب ٠ فالوسيلة هى المنهج الذى تنقل به الرسالة من المرسل الى المستقبل ، فكما يتطلب انتقال الصوت من مصدره الى أذن المستمع وسيطا تنتقل فيه الموجات الصوتية ، كذلك يتطلب انتقال الرسالة من المرسل الى المستقبل أو بالعكس ، وسيلة ما تسمى أحيانا قناة ٠ ومن هذه الوسائل أو القنوات اللغة اللسانية والاشارات والرسم والتمثيل ٠٠٠ الخ ٠ وتستخدم الاختراعات الحديثة مثل السينما والراديو والتليفزيون فى توصيل الرسالة الى عدد كبير من الناس ٠

فاللغة وهى الرموز اللفظية المسموعة (البيان باللسان) والمكتوبة (البيان بالكتاب) من أهم وسائل الاتصال استخداما وأكثرها شيوعا ٠ ولذلك ذهبنا الى أن **البلاغة هى الوسيلة أو الجنس الاعلامى** ٠ ذلك أننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نفصل بين اللغة والوعاء الذى يحملها الى المستقبل ، وقد تعرفنا على الارتباط الوثيق بين الرسالة والجمهور ، وضرورة التناغم والمشاركة بينهما ، وهذا الجمهور هو الذى يستقبل الرموز البلاغية ويعمل على ترجمتها الى آراء وأفكار ٠

ونستعير هنا تعبير « **الاجناس الاعــلامية** » من دراسات الأدب وبحوثه « **فالأجنــاس الأدبية** » بالفرنســية Genres Litteraires وبالألمانيـــة Literarischen gattenigs وبالأسبانية Génerox Literaries أما فى الانجليزية فلم يستقر التعبير Literary genres الا أخيرا فى أوائل القرن العشرين ، وكان النقاد الانجليــز يستخدمون أحيــانا كلمة Species kinds أى أنواع أو أصناف ، وكذلك الحــال فى بحوث النقــاد فى أمريكا ولايزال بعضهم يستخدم مع الكلمة المستعارة من الفرنسية الكلمات الأخرى السابقة (١) ٠

وهذا التعبير فى تصورنا من أكثر التعبيرات تصويرا للبلاغة الجديدة التى ترتبط بالوسائل الاعلامية المختلفة ارتباطا لا انفصام له بحيث تغدو « البــلاغة هى الوسيلة » ٠

واذا كان هذا التعبير يصدق على الأدب فهو يصدق على الاعلام بالدرجة الأولى ولقد كان نقاد الأدب اليونانى ، وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو ، ولايزال النقــاد ، فى الآداب المختلفة ينظـــرون الى الأدب بوصفه أجناسا أدبيـــة ، ونحن هنا ننظر لفنون الاعلام ، على أنها **أجناس اعلامية** ، أى قوالب عـــامة فنية تختلف فيما بينها ــ لا على حسب محرريها أو عصورها ، أو مكانهـا أو لغاتها فحسب ٠٠ ولكن كذلك على حسب بيئتها الفنية وما تستلزمه من طـابع علم يشتق أساسا من طابع الوسيلة الاعــلامية ، ومقوماتها المميزة لهـــا عن غيرها من الوسائل ٠ وهو الطابع الذى يفرض نمطا من التعبير مميزا من حيث الصياغة التعبيرية الجزئية ٠ والتحرير الاعلامى العام الذى ينبغى الا يقوم الا فى ظل الوحدة الفنية للجنس الاعلامى ، وهذا واضح كل الوضوح فى الفن الاذاعى والفن الصــحفى والفن المــرئى فى التليفزيون والسينما ، بوصفهـا أجناس اعلامية يتوحد كل جنس منها على حسب خصائصه مهمـــا اختلفت اللغات والأشكال التى ينتمى اليها ٠

فالبـــلاغة الجديدة اذن صــيغ أو قوالب فنيــة عامة ترتبط بوســـائل الاعلام ، وتقوم على أساس من هذا الارتباط مميزاتها وقوانينهـا الخاصة ٠ وهى تحتوى على فصول أو مجموعات ينتظم خلالها الانتاج الفنى الاعلامى ، على ما فيها من اختلاف وتعقيد ٠ فالفن الصـــحفى يحتوى على فصـــول من التحرير مثل : فن الخبـــر الصحفى وفن الحديث الصحفى وفن المقـــال وفن التحقيق الخ من فنون التحرير وقوالبه فى الصــحافة ٠ كمـــا نجـد أن الفن

---

(١) د٠ غنيمى هلال : الأدب المقارن ص ١٢٩ ٠

الاذاعى يحتوى على مجموعات اخرى مثل : فن الخبـــر الاذاعى ـ الحديث الاذاعى ـ التعليق ـ التمثيلية الاذاعية ـ البرامج الخاصة الثقافية ... الخ . من الفنون التى تمثل فى مجموعها جوهر « الجنس الاذاعى » فى أجناس الاعلام ، وهى الفنون التى ينطبق عليها بوصفها « رسائل » قانون « البلاغة هى الرسالة ، وفى الأدب يحدث نفس الشيء تقريبا حيث يختلف مســتوى التعبير اللغوى بين الأجناس الأدبية على نحو ما نجد فى الشعر من : ملحمة ومأســاة وشعر تعليمى (١) .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فعلينا أن نميز فى قانون :«البلاغة هى الوسيلة» بين الجنس الصـــحفى ، والجنس الاذاعى ، والجنس المرئى فى الأجنـــاس الاعلامية على وجه الاجمال . وسنجد أن الجنس الاذاعى المسموع يمثل فيه الصوت مكان الرمز المدون فى الجنس الصــحفى ، ويفتقـد العنصر المرئى فى الجنس التليفزيونى أو السينمائى ولكننا فى البلاغة الجديدة نجد « مجمعـا » للفنون ان صح هذا التعبير ، فهى تضم فى أعطافها حضارة بأسرها بما فى ذلك العادات والتقاليد ، ومقومات الكيان الاجتماعى العام . ولكل جنس اعــلامى مقوماته الخاصة وقوانينه واستعدادات يتطلبها وفقا لطبيعة وسيلة الاعــلام التى ينتسب اليها ، وطبيعة الفن الذى يتوسل به ، وعلى هذا تشبه الأجنــاس الاعلامية الى حد ما الكائنات والأجناس ، والأسر ... الخ . على نحو ما هو معروف فى التاريخ الطبيعى بأنها مجموعة من الأفــراد تتفق فى الصــفات ، بحيث يمكن وضع كل مجموعة تحت اسم خاص ، وفى نفس الوقت تنفصل عن المجموعات الأخرى لما لها من صفات لا تتفق مع صفاتها الخاصة . وهكذا نجد أن الجنس الاذاعى مثلا يتميز بمجموعة من الفنون الخيالية والواقعية الاعلامية والتعبيرية التى تتفق فى الصفات العامة رغم ما بينها من فوارق لا تؤثر على طبيعتها العامة .

واذا كان بوالو Boileau وغيره من النقاد فى القرنين السابع والثامن عشر قد ذهبوا الى اعتبار الأجناس الأدبية قوالب جامدة وصورا ثابتــة غيــر متحركة ، تتكون فى زمن ما من أجزاء متعــددة ، ولا تخضع فى المستقبل لأى تغيير .. فان ثورة الاعــلام والدراســات المرتبطة بوسائله وفنونه وتأثيــره دحضت هذا الاتجاه ، ذلك أن الأجناس الاعلامية توحى دائما بقبولها للتطور والرقى شأنها شأن الأجناس الحيوية ، أو بعبارة أخرى فان اللغة فى كل جنس اعلامى تتميز بخصائص كل وسيلة ، فاللغة فى مستواها الصحفى مثلا تسمح

---

(١) نظرية الأنواع الأدبية لمؤلفه M.L. AGBE CI-VINCENT
ترجمة : د. حسن عون ص ص ٢٧ .

للقارىء بالسيطرة على ظروف التعرض الاعلامى ، وقراءة الرسالة اكثر من مرة ، فضلا عن أن لديه فرصة تطوير الموضوع فى مساحة اكبر ، وفقا لأهميته ، وتشير التجارب الى أن المواد المعقدة من الأفضل تقديمها مطبوعة عن تقديمها شفهيا ، ولو أن نفس المزية لا تسرى على المواد البسيطة السهلة ٠ ومن الأفضل استخدام التحرير الصحفى فى مخاطبة الجماهير المتخصصة ، والجماهير صغيرة الحجم ، لأنه يقتضى من القارىء جهدا اكبر من ذلك الذى يقتضيه التحرير فى الأجناس الاعلامية الأخرى ٠

فالقارىء لا يحس بأنه شخصيا جزء من عملية التحرير الاعلامى ، كما يشعر مستمع الراديو أو المشاهد للسينما ، لأنه لا يشعر بأن الحديث موجه اليه شخصيا ، ولكنه فى نفس الوقت جزء من العملية أو مشترك فيها اكثر لأنه مضطر الى المساهمة الخلاقة فى نوع من أنواع الاتصال غير الشخصى ، ويفترض بعض الباحثين أن مثل هذه المساهمة الخلاقة لها مزايا اقناعية (١) ٠

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن القول أن البلاغة الجديدة عن طريق الوسيلة تعنى أن المستوى اللغوى لا يستقل عن تكنولوجية وسائل الاعلام ذاتها ، فالكيفية التى يتم بها التحرير اللغوى فى كل جنس على حدة تؤثر وتتأثر بمضمون تلك الوسائل وهذه الوسائل التى هى امتداد لحواسنا ـ كما يقول ماكلوهان ، هى اجناس اعلامية لكل جنس منها مستواه اللغوى فى التحرير ، ويقتضينا ذلك أن نعرف طبيعة كل جنس حتى نتمكن من السيطرة عليه واستخدامه الاستخدام الأمثل فى تطبيقات البلاغة الجديدة ٠

لقد ظل الاعلام طوال تاريخه كله فعالا فى محاربة التمييز ، على حد تعبير « شرام » ، الذى يقول أن دلالة تنمية الطباعة فى القرن الخامس عشر ليست فى أنها حولت الثقل الذى ظل قرونا طويلة على الاتصال المنطوق المباشر، حولته الى الاتصال البصرى المنسوخ على نطاق واسع ، لم تفعل ذلك فحسب ، بل مدت ، وهو الأهم نطاق المعرفة ، فلم تعد مقصورة على حفنة من المحظوظين ، واصبحت اداة الطباعة ما بين يوم وليلة اداة للتعبير السياسى والاجتماعى ٠ الثورات التى اندلعت فى أوروبا وشمال أمريكا ، لولا الطباعة ، لربما ظلت فى طى العدم ٠ والمدارس العامة كان من غير المحتمل ، ان لم يكن مستحيلا أن تقوم لها قائمة لولا الطباعة ٠ وظهرت فى القرن التاسع عشر تطورات جديدة فى الاتصال الجماهيرى ، لتقدم الاعلام والمعرفة لجماهير الناس فوق رءوس المحظوظين والخاصة من المتعلمين ، الديمقراطية السياسية والفرص

---

(١) د٠ جيهان رشتى : نفس المرجع ص ٣٤٢ ٠

الاقتصادية والتعليم العام المجانى والثورة الصناعية ، والاتصال الجماهيرى تشابكت جميعها فى نسيج واحـد لتحدث تغييرا عظيمـــا فى حيــاة البشر ومجتمعاتهم فى قارات عدة · والآن يتحول الثقل مرة أخرى بفعل المستحدثات الالكترونية فى الاتصال نحو الاتصال الذى يستطيع المرء أن يرى فيه ويسمع الموصل ·

ولأن لوسائل الاتصال هذه القدرة الفائقة على التبليغ والاعلام · فاننا نستطيع أن نقول عن يقين أن فى تصورها أن تؤدى خدمات جوهرية للغة التى تعكس بطبيعة الحال حضارة الانسان · فالحضارة كما يقول الدكتور أحمـد أبو زيد ، لا تنعكس فى شىء مثلما تنعكس فى الكلام ، واللغة بحيث يذهب بعض الكتاب الى القول بان كل ما يظهر فى لغة مجتمع من المجتمعات ، من نقص أو قصور هو دليل قاطع على مدى تخلف ذلك المجتمع فى ركب الحضارة ، فالخبرة الانسانية المتراكمة على مدى الزمن تنعكس فى اللغة وتجد تعبيرا لها فيها ، سواء اتخذ ذلك التعبير شكل الكلام العـادى أو الكفارة المعـروفة أو الرسوم والنقوش التصويرية التى تركها الانسان المبكر على جدران الكهوف . أو حتى فى الانجـــازات الفنية المختلفة من معمارية أو موسيقية أو حركيـة كالرقص والتمثيل الصامت ، مادامت كلها مترجمة فى آخر الأمر الى ألفاظ وتصورات ومفهومات ، ومادامت تعبر عن مشـاعرنا وأفكارنا ، وتنقلهـــا الى الآخرين فاللغة حتى فى معناها الضيق الرقيق الذى يقتصر على الكلام · والكتابة عنصر أساسى فى حياة البشر ، اذ بدونها يصعب قيـام الحيـاة الاجتماعية المتماسكة المتكاملة · وبالتالى يستحيل قيام الحضارة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من نظم اجتماعية وأنماط ثقـافية وقيم أخلاقية ومبـــادىء ومثل ، بل وحيـــاة مادية ومخترعات ، لأنها هى أداة التفاهم والاعلام ، الذى هو أساس التعـــاون بين أفراد الجماعة (١) ، فكثيرون ممن يعيشون فى مجتمع تقليـدى يرون صـفة سحرية فى وسائل الاعلام الحديثة عند لقائهم بها لأول مرة ، وهم على حق فهى سحر كما قال أفريقى حكيم « لولبور شرام » لأنها تستطيع أن تأخذ الانسان الى تل أعلى مما يمكن أن نرى عنى الأفق ثم تجعله ينظر فيما وراءه » · وهذا يعنى افتراض وجود علاقة قوية بين الاعلام واللغة والحضارة ·· ولقد درج الكتاب على الكلام عن لغة الحضارة وكيف أن حضارة معينة بالذات تجد لها تعبيرا واضحا ، وصادقا فى ألفاظ ومصطلحات اللغة السائدة فى المجتمع الذى توجد فيه . فمفردات اللغة والأساليب والتصورات وبناء الجملة ، والتراكيب اللغوية، والتشبيهات والاستعارات ، وما الى ذلك فى المجتمع الصناعى الحديث الـذى

---

(١) د· أحمد أبو زيد « حضارة اللغة فى عالم الفكر » الكويت ــ أبريل (١٧) ·

يتميز بتعقد نظمه الاجتماعية والاقتصادية ، وبشعور اعضائه بفرديتهم الذاتية تختلف اختلافا جذريا من مفردات اللغة وبنائها واساليبها فى المجتمع البدوى القبلى ، الذى يعيش على الرعى والترحال والذى يرتبط الفرد ارتباطا وثيقا بالجماعة القبلية التى ينتمى اليها بحيث تكاد شخصيته تفنى وتذوب تماما فى تلك الجماعة ٠ ويذهب الدكتور أبو زيد (١) الى دراسة فكرة تتصل بموضوعنا من قريب وهى فكرة حضارة اللغة التى يشير الى أنهـا مستعارة من عبارة عارضة ، وردت فى محاضرة للفيلسوف الرياضى الشهير الفرد نورث وايتهد ونشرها فى كتاب بعنوان أنماط الفكر (٢) ويذهب الدكتور ابو زيد الى أن ثمة حضارة معينة هى حضارتنا الانسانية يرتبط وجودها ارتباطا قويا باللغـة بحيث يمكن القول انه لولا وجود هذه اللغة لما قامت هذه الحضارة أو لظهرت حضارة أخرى من نوع مختلف عن حضارتنا المعروفة ، فالجنس البشرى يمتاز على بقية الكائنات العضوية الحية ، بما فيها القردة العليا التى تعتبر أقرب هذه الكائنات العضوية الينا بالفكر واللغة ، وعلى الرغم من أن القردة العليا بالذات تعيش فى تجمعات يتميز بعضها بكبر الحجم ، وعلى الرغم من قدرتها على تعلم بعض الحركات ومحاكاة بعضها ، فانهـا تفتقر الى اللغـة والى الحضارة بالمعنى الذى نفهمه من هاتين الكلمتين ٠

وتاسيسا على هـذا الفهم فان دراسة البـلاغة الجـديدة تنظر الى اللغة أساسا على أنها عامل من عوامل هذه الحضارة ، بل ان هذه الحضارة ، كما يذهب الى ذلك الدكتور ابو زيد ، لم تكن لتقوم أصلا لولا وجود اللغة التى تعتبر ايضا من أهم خصائص الانسان بل وعاملا فاصلا فى التمييز بينـه وبين غيره من الكائنات ، فاللغة أداة هامة من أدوات الحضارة وعامل أساسى فى نشأتها واستمرارها وتطورها ٠

واذا كان الاكتفاء بدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافى لا يعنى شيئا اكثر من أن اللغة لها أساس ثقافى أو حضارى ، كما يفعل علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع ، فان هناك الآن بعض العلماء يحاولون اثبات أن الشعوب التى تتكلم لغات مختلفة تعيش فى « عالم من الواقع » مختلفة ، وان اللغـات التى يتكلمونها تؤثر بدرجة كبيـرة فى مدركاتهم الحسية وفى أنماط تقليدهم ، وانها بذلك ، وحسب تعبير « سابير » تكون هى العامل الأساسى فى توجيه الحقيقة الاجتمـاعية أو الواقع الاجتماعى Social Reality الـذى يعيش فيه الناس الذين يتكلمون تلك اللغات ، فالناس لا يعيشون فى العـالم

---

(١) نفس المرجع ٠

(٢) د٠ أحمد أبو زيد : نفس المرجع ٠

الموضوعي الخارجي وحده ، كما انهم لا يعيشون فى عالم النشاط الاجتماعى فقط كما يظن الكثيرون من العلماء ، وانما هم خاضعون لرحمة اللغة التى يتخذونها اداة وواسطة للتعبير ، فعالم الواقع او الحقيقة يرتكز الى حد كبير بطريقة لا شعورية على العادات اللغوية للجماعة ولا توجد لغتان متشابهتان تشابها كاملا بحيث تعتبران ممثلتين لنفس الحقيقة ٠ او الواقع الاجتماعى ، فالعوالم التى تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم متمايزة اذن وليست عالما واحدا الصقت عليه أسماء وعناوين مختلفة (١) ٠

وعلى ذلك ففى البلدان التى تعم فيها وسائل الاتصال لدى المرشح السياسى فرصة كبيرة ، ما لم يعرفه الناس عن طريق هذه الوسائل ، ومن دراسة عمليات السياسة دراسة دقيقة ، انتهى الراى الى ان وسائل الاتصال لا تعبر تعبيرا مباشرا فى قرار نسبة كبيرة من الناخبين عمن تمنحه صوتها ، ولكنها ذات تاثير كبير فيما يتحدث عنه الناس فى اثناء الحملة من شتى الوسائل فهى بتركيزها الانتباه على مسائل معينة دون غيرها تستطيع أن تجعل لهذه المسائل دورا اكبر تؤديه فى الحملات الاعلانية كذلك يهدف الكثير منها الى تركيز الانتباه على صنف معين أو سلعة ما ٠ يصدق هذا بنوع خاص فى الحالات التى لا يوجد فارق كبير فيها بين السلع المتنافسة اللهم الا فى الاسم ٠ فى مثل هذه الحالات اثبت الاعلان قدرة الوسائل الاعلامية على تركيز انتباه الجميع على اسم معين دون أسماء أخرى ٠

وهنا يتفق الاتجاهان : الاعلامى واللغوى الحديث ، بحيث يمكن أن يوضح اتجاه « بنيامين فورف » (١) ما يعنيه الاتجاه الاعلامى القائل بأن وسائل الاتصال الجماهيرية هى التى تحدد صورة البيئات فى أذهاننا ، وانها لذلك تستطيع أن تركز الانتباه ، وهنا يقول « فورف » اننا نقوم بتقسيم الطبيعة حسب خطوط معينة رسمتها لنا لغانا ٠ وهذه الفئات والأنماط التى نفصلها من عالم الظواهر لا يتم العثور عليها ، لأنها تواجهنا ، أو لأنها أمور واضحة أمام أعيننا، وانما الأمر على العكس من ذلك تماما ، بمعنى أن العالم الخارجى أو الواقعى هو مزيج من العناصر والعلاقات والظواهر المختلفة المتباينة الى ابعد حدود التباين ، وان العقول الانسانية هى التى تتدخل لتكشف عما فيه من تنظيم ، ووسيلتنا الى ذلك هى الأنساق اللغوية التى توجد فى تلك العقول الانسانية ذاتها ، فنحن الذين نقوم بتقسيم الطبيعة وتجزئتها وتنظيمها فى شكل مفهومات

---

1) Sapir, E.; Language, Harcourt Brace, N.Y. 1921, pp. 21—3.

(٢) د٠ أحمد أبو زيد ، المرجع السابق ذكره ص ٢٦ ٠

(١) د٠ أبو زيد : مرجع سبق ذكره ص ٢٦ وما بعده ٠

وتصورات ، ونعطيها بذلك أو أثناء ذلك معانى محددة تحديدا دقيقا ويعطينـا « فورف » امثلة عديدة تبين لنـا بدقة كيف أن اللغة تتـــدخل لتقسيم الواقع الاجتماعى بعدة طرق وأساليب مختلفة ، ويظهر ذلك على وجه الخصوص حين نقارن نسقا معينا بالذات من الأنساق الاجتماعية لنرى الدور الذى تقوم به اللغة فى تقسيم الطبيعة ، وكيف تنظر الجماعات التى تتكلم لغات مختلفة الى الشىء الواحد نظرات مختلفة وتتصوره أيضا بطرق وأساليب مختلفة (١) ٠

وقد ذهبت البحوث الحديثـة الى أن لكل وسيلة من وسائل الاعـــلام خصائصها ومزاياها الفريدة ويقوم بعض هذه الخصائص على مجرد التأمل النظرى ، بينما يقوم البعض الآخر على أساس تجريبى ومن ذلك (٢) :

١ ـ ان الوسائل المطبوعة تسمح بأن يتحكم القارىء فى وقت قراءتها ، وفى فرص هذه القراءة . كما تمكنه من اعادة الاطـلاع على مضمونها وتسمح بالتأنى فى هذا الاطلاع الى حد كبير ٠

٢ ـ يصل الراديو الى الجمهور بطريقـة مختلفة ـ غالبا ـ عن الطرق التى تصله بها الوسائل الأخرى ، وهو وسيلة تتميز بفقر فى الثقافة اذا مـا قورنت بالوسائل الأخرى ٠ ويقدم الراديو للمستمع درجة ما من المشاركة فى الأحداث الفعلية المذاعة ، وذلك بحكم كونه أكثر اقترابا من الاتصال الشخصى أو اتصال الوجه للوجه ، ويتميز الراديو بقدرات عالية فى الاقناع والتـأثير لأنه عادة ما يكون الوسيلة الأولى فى تقديم المواد للجمهور الا أنه ليس هنـاك من البحوث ما يدعم هذا الحديث عن الراديو أو يرفضه ٠

٣ ـ من المعتقد أن الشاشة تتمتع باقناع فريد ومميزات شعبية حيث انها تقدم المادة مرئية وبطريقة ملموسة غير مجردة ٠ ومن المعتقد أن هذه الأوضاع الملموسة بالاضـافة الى عوامل أخـرى تجعـل الفيلم قادرا على السـيطرة الوجدانية ، وبخاصة على الأطفال ، كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ٠ فبينما ظهر من البحوث أن الأطفال يقبلون المواد المقدمة فى الفيلم دون مناقشة ، تجد أن آثار السينما على الجماهير العادية مازالت بحاجة الى دراسة ومازال هناك تساؤل أيضا ـ حول الفعالية المتباينة لوسائل الاتصال الأخرى بالنسبة لهـذا الجمهور ٠

---

(١) د٠ أحمد أبو زيد ص ٢٦ ،

Whorf, B.L.; «Science and Linguistics», The Technology Review, Vol. 42, 1940, p. 231.

(٢) د٠ محمود عودة : أساليب الاتصال والتغير الاجتماعى ص ٨٧ ٠

٤ – ينظر الى الاتصال الشخصى او اتصـــال الوجه للوجه – عموما – بوصفه اكثر الأدوات فعالية بالنسبة للناس ، وفيما يتعلق بعملية الاقنـــاع او التاثير لما يتميز به من قدرات ومرونة وعرض آنى للجزاء والعقاب ، بالاضافة الى الخصائص الأخرى النابعة من العلاقة الشخصية المتضمنة فى عمليـــة الاتصال الشخصى ٠

٥ – ان استخدام وسيلة من وسائل الاتصال الجمعى مدعمة ومعضـدة بالاتصال الشخصى يحقق نجاحا باهرا ، وهو من أهم مميزات الحملات الناجحة وخصائصها ويعتقد بعض الباحثين أن هـذه الطريقة تعتبـر تدبيرا اتصاليا متفوقا من حيث التاثير والاقناع ٠

على أن هناك وجهة نظر اعلامية متممة يحددها شرام فى قوله ان الصورة التى لدينا عن البيئات البعيدة فى المجتمع العصرى تجيئنا فى معظمها عن طريق وسائل الاتصال بالجماهير ، ونتيجة ذلك أن حصة كبيرة من الآراء فيما يتعلق بالأشخاص وذوى الأهمية أو ذوى الخطورة ، وكذلك بالأشياء المهم منها وغير المهم تجىء بالضرورة عن طريق وسائل الاتصال ٠

فالصـحيفة والراديو والمجلة ، هى كمـا يقول شرام : : تقـوم بدور « **الديدبان على التل** » ويتعين عليها أن تقرر ما تبلغ عنه عملية الاختيار هذه ؛ أى اختيار من تكتب عنه أو من تسلط عليه الكاميرا أو من تقتطف من أقواله أو من تسجل لهم من حوادث ، هذه العملية تتحكم بدرجة كبيرة فى وسائل الاعلام٠ ويقول الدكتور ابو زيد : أن طرائق وأساليب التفكير فى المجتمعـات المختلفة تختلف من حيث أنواع الرموز التى يستخدمها النـاس فى هـذه المجتمعات ، وأنواع الأشياء التى يعتقدون بأهميتها ، بالنسبة لهم ، وكذلك فى الطرق التى يمثلون بها لأنفسهم العالم الفيزيقى والاجتماعى والأخلاقى الذى يعيشون فيه من البديهيات الايستولوجية كما يقول « جون بيتى John Beattie ان الناس يرون ما يتوقعون رؤيته ، وان أنواع مدركاتهم تتحدد بدرجة كبيرة ان لم يكن كلية – بالنسبة الى الأوضاع الاجتماعية والثقافية التى يعيشون فيها ٠ على أن ذلك يؤكد أن اللغة لا تعرف التحجر ، وهى قادرة على العمل من خلال قدرة كامنة ، وهى لا تفتأ تتغير شكلا ومبنى ٠ تتغير حروفها وأصواتها أو صيغها وبناؤها ٠ أو من ناحية معناها ٠ فقد تنتقل الكلمة من معنى الى آخر وتضيف الى معناها معنى آخر جديدا دون أن تترك الأول ٠

---

(١) مرجع سبق ذكره ٠

وان تطور لغة ما مرتبط بتطور الاقوام التى تنطق بها ، واللغة والتطور عنصران متلازمان وهما سمة المجتمعات منذ اقدم العصور ولا سبيل لتفضيل لغة على اخرى ، وانما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغات واثراء تراثها التعبيرى ·

فالأمة البدائية حتما لغتها بدائية وغير مصقولة ، ومفتقرة الى عديد من العبارات والألفاظ التى تؤدى المعانى الحسية والمجردة · فهى لذلك تقتصر على التعبير عن تفكير هذه الأمة ووسائلها الثقافية المحدودة ، وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعا ، وثقافته نموا تطورت لغته وازدادت قدرتها على التعبير ، واعطاء كل سمة لفظا مناسبا (١) ·

ان اللغة تمنح الانسان بالاضافة الى وراثته « البيولوجية » خطا آخر للاستمرار يجعل الثقافة وتراكم المعركة أمرا ممكنا ·

وقد اتاح العلم الحديث للغة ممكنات ووسائل متعددة للتعبير عن دقائق الأحكام العقلية ، فى صورها النظرية والتطبيقية · كما اتاح للألفاظ المعنوية انطلاقات جديدة مالت بها نحو وضوح اكثر وتخصيص أدق ، واصبحت الكلمات بفضل تقدم الآداب وفنون الاعلام والاتصال بالجماهير غنية بالمدلولات التى تعمقت أغوار النفس البشرية وحاجات الانسان ، حتى صار عدد من ألفاظ اللغة عالما من الاشارات والرموز المعبرة عن أدق المعانى المجردة وأعمقها (٢)·

وكان من الطبيعى ان يشتد الاحساس بالحاجة الى لغة اعلامية ذات بلاغة جديدة لتقوم بحاجات الوسائل الجماهيرية فى الاتصال باعداد الناس الغفيرة ولتناسب التنوع فى هذه الوسائل الى وسائل مكانية ووسائل زمانية واخرى مكانية زمانية ·

وكنتيجة للسباق العلمى الرائع الذى يتجاوز الممكن الى المستحيل بقهر المعوقات الطبيعية فى عالمنا ، بحيث اصبح فى الامكان ارسال التقارير الاعلامية وبثها عبر الفضاء واستقبالها بواسطة أجهزة الاذاعة المرئية والمسموعة ، كما اصبح فى مقدور الأقمار الصناعية أن تستخدم فى ارسال البرامج التليفزيونية وغيرها ·

---

(١) مجلة اللسان العربى : العدد السادس ص ١٩ ــ المغرب ١٣٨٨ هـ ·

(٢) مجلة اللسان العربى : العدد الأول ص ٢٨ ــ ١٣٨١ هـ ·

وترتبط هذه اللغة فى بلاغتها الجديدة ارتباطا مباشرا بمفهوم الوسائل الجماهيرية مقروءة ومسموعة ومرئية وبوظائف هذه الوسائل من اعلام وتثقيف واقناع وترويج ومشاركة ذهنية وقلبية ، كما ترتبط بنظرية التحرير الجماهيرى حيث أصبح من المتعذر نقل المعلومات عن طريق الاتصال الشخصى المباشر كما كانت الحال فى عهود سابقة من تاريخ الانسانية ، وأصبح الاتصال الجماعى أمرا حكميا لتدفق المعلومات الى جماهير الناس الغفيرة ٠

ومن الطبيعى أن تختلف اللغة فى سياقها الجماهيرى الجديد عن لغة الاتصال المباشر ، اختلاف البلاغة الجديدة عن البلاغة القديمة التى تتطلب بنية وخصائص تختلف عن ذى قبل ٠ فالخطيب الذى كان فى مقدوره تلقى ردود افعال جمهوره المحدود ، ومواجهة هذه الأرجاع بمنهج بلاغى مقنع ، لم يعد فى امكانه ــ فى الوسائل الجماهيرية أن يتعرف مباشرة على جمهوره ، الأمر الذى يحتم على لغته أن تبنى صلة جديدة افتقدت بينه وبين جمهوره ، بمحاولة التعرف على مستويات جمهور المستقبلين ، ومواجهة هذه المستويات المختلفة بلغة مفهومة مقنعة يتوفر فيها عنصر المشاركة والتشابه فى الخبرات بينه كمرسل وبين جمهوره كمستقبل ٠

وتتطلب هذه البلاغة الجديدة من خلال الاتصال الجماهيرى بذل جهود تهدف الى تحقيق أمرين :

أولا : معرفة الهدف من الاتصال ٠

ثانيا : كيفية استعمال اللغة فى بناء الرسالة لتحقيق المشاركة والفهم ٠

وتأسيسا على هذا الفهم فان اللغة فى نظرية الاعلام ليست عنصرا منفصلا او منعزلا عن بقية العناصر الأخرى ، فهى ترتبط بالمضمون ارتباطا وثيقا ، لأن رسالة بلا مضمون ٠٠ هى رسالة عاجزة عن الوصول الى الناس٠

كما أن التعرف على جميع الاحتمالات الذهنية والظروف الطبيعية لكل مستقبل على حدة ، رغم صعوبتها أمر أساسى يقتضى محاولة الوصول الى الكمال فى تطوير الأسس الفنية لاستخدامات اللغة ، حتى يتسنى للرسالة الاعلامية تحقيق التأثير المنشود ٠

ويرتكز هذا التطوير على دراسة علم الاتصال الجماهيرى وخصائص

وسائله جميعا (١) انطلاقا من الأسس التقليدية لفنون التحرير الصحفى والكتابة للأجهزة الجديدة كالاذاعة والتليفزيون والسينما ٠

وعلى ذلك فان بناء الرسالة الاعلامية لغويا ينبغى أن ينشأ عن المقتضيات الاسلوبية والبلاغية لكل وسيلة من وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير ، ووفق الخبرات والمفاهيم المشتركة بين المرسل والمستقبل والتغلب على الحواجز والقيود والمعوقات التى تحول دون ذلك ٠

ولقد أدرك « جون ديوى » أهمية **الوسيلة** فى الابداع الفنى والاحساس الجمالى ، فاللوحات مثلا ـ حينما ينظر اليها على أنها مجرد وسائل توضيحية لبعض المشاهد التاريخية ، أو لأى انتاج أدبى أو لبعض المناظر المألوفة فانها عندئذ لا تدرك بالاستناد الى وسائلها الخاصة وحينما ينظر اليها بالاقتصار على الرجوع الى الصنعة أو التكنيك المستخدم فى صناعتها أو تكوينها ، فانها عندئذ لا تدرك ادراكا جماليا ، وذلك لأن الوسائل أيضا انما هى منفصلة عن الغايات ، وبالتالى فان تحليل الوسائل قد حل محل الاستمتاع بالغايات (٢) ٠ والوسيلة فى صميمها « وسيط » فهى تتوسط بين المرسل والمستقبل (المتذوق أو المدرك) ٠

فعندما يأخذ الفنان المرسل على عاتقه عملية الخلق لا يكون العمل من خليط من المناظر والأصوات مأخوذا اعتباطا بل ان أحجار بناء العمل تكون قد نظمت بالفعل فى نمط ثابت هو الوسيط الفنى (٣) أو وسيلة الاعلام ٠

وعلى ذلك فان « **الرسالة** » الاعلامية تتألف من العناصر الحسية التى قد تكون بصرية أو سمعية والتى اختيرت من « **الوسيلة** » ويتميز « **المرسل** » بحساسيته لوسيط معين (٤) فلديه وعى زائد بطبائع الأصوات أو الألوان أو الألفاظ ٠ ونظرا الى أن المادة الاعلامية ليست جامدة بل هى نابضة حية وظيفية ٠ فانها تعمل على توجيه مجرى النشاط الاعلامى ٠ انك لا تستطيع أن

---

(١) انظر الدكتور ابراهيم امام : العلاقات العامة والمجتمع ص ٩٩ وما بعدها فى دراسته القيمة لخصائص الوسائل المكانية والزمانية والمكانيةالزمانية ومميزات كل منها ٠

(٢) جون ديوى : (ترجمة د٠ زكريا ابراهيم) الفن خبرة ص ٣٣٦ ٠

(٣) جيروم ستولنتيز : (ترجمة د٠ فؤاد د٠ زكريا) النقد الفنى دراسة جمالية وفلسفية ص ٣٢٦ ـ ص ٣٢٨ ٠

(٤) نفس المرجع ٠

تصنع من الفخار نفس ما يمكنك ان تصنعه من الحديد الخام الا اذا كان ذلك غصبا وافتعالا ٠ فالاحساس الذى يبعثه العمل يكون مختلفا كل الاختلاف ، ذلك لأن المعدن يتحداك ويستحثك ٠٠ على أن تصنع منه شيئا معينا ، حيثما احسست بتماسكه ومرونته (١) وكذلك الحال فى تعامل اللغة مع الأجناس الاعلامية سواء كانت مكانية او زمانية او مكانية زمانية ، ويقصد بالأجناس المكانية تلك التى تشغل حيزا فى مكان كالمطبوعات والصور ، والفنون التشكيلية ، وهى جميعا وسائل بصرية أو منظورة ، اما الأجناس الزمانيةفهى التى تتسلسل فى وقت زمنى كالاذاعة والتليفزيون والأحاديث المسموعة ، وهى وسائل شفوية أو سمعية وتعتبر الأفلام الناطقة والتليفزيونية والمحادثات الشخصية المباشرة أجناسا مكانية زمانية لأنها تشغل حيزا مكانيا ووقتا زمانيا فى نفس الوقت وهى وسائل بصرية وسمعية ٠

ويتفق هذا التصنيف للأجناس الاعلامية مع تصنيف الفنون بالاستناد الى أعضاء الحس وقد تعرض بعض الباحثين المحدثين للجهد الذى قام به « كانت » فى سبيل قصر مادة الفنون على الحاستين العاقلتين الراقيتين الا وهما العين والأذن ٠ ولكن حسبنا أن نقول مع « ديوى » (٢) « انه مهما كان من اتساع نطاق بعض الحواس ، فان من الحق مع ذلك ان اى حس جزئى انما هو مجرد نقطة أمامية أو مركز طليعة لنشاط عضوى شامل ، تشترك فيه كل الأعضاء بما فيها وظائف الجهاز العصبى المستقل (أو السمبتاوى) ، حقا ان العين والأذن واللمس قد تأخذ مركز الصدارة فى مهمة عضوية خاصة ولكنها ليست دائما العامل الأوحد أو الأهم ، اللهم اذا كان الحارس جيشا بأسره »٠

وتقسيم الأجناس الاعلامية الى أجناس زمانية وأخرى مكانية تقسيم يجىء بعد حدوث العمل الاعلامى فضلا عن أنه خارجى صرف ، فهو لا يلقى أى ضوء على المضمون الجمالى لأى عمل فنى (٣) وكذلك (المضمون الاعلامى) وهكذا يقوم هذا التقسيم على أساس اعتبار سمات الآثار الاعلامية كائنات مادية خارجية ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢٨ برنارد بوزانكيت : ثلاث محاضرات فى علم الجمال ، ص ٦٩ ـ ٦٠ ٠
(٣،٢) نفس المرجع ، ص ٣٦٧ ٠

الباب الثالث

البلاغة فى نظرية الاعلام



البلاغة فى نظرية الاعلام

يقول الفيلسوف الانجليزى « هوبز » Hobbes : مثل الكلمات بالنسبة للعقلاء كمثل محل دفع النقود فانهم لا يفعلون اكثر من تقديرها وعدها ـ ولكنها بالنسبة للبلهاء النقود نفسها » ٠

ذلك أن اللغة نسق من الاشارات موجود فى أى مجتمع ومن أجل هذا المجتمع فهى من أهم وسائل الاتصال والتفاهم بين الأفراد والجماعات وهى ظاهرة متشعبة النواحى « أثارت ألوانا شتى من البحث والدراسة واذا تركنا جانبا ما يتصل بها من دراسات أدبية ونحوية وصرفية فانها وجهت الى بحوث أخرى متعددة فعرضها علماء وظائف الأعضاء ليعرفوا كيف تؤدى وبينوا أعضاء النطق والصوت ورسموا فى اختصار الجهاز العضوى للغة وعالجها علماء النفس لما رأوا من صلة وثيقة بين العمل الذهنى والدلالات اللغوية وعنى بها علماء الاجتماع مبينين نشأتها وتطورها ، ومقارنين بين اللغات البدائية واللغات المتحضرة ومعلنين أن اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل ومؤثرات ونظر الى اللغة أخيرا على أنها جزء من التاريخ يسجل الماضى ويحكى الأحداث بل هى نفسها قطعة تاريخية متحركة يجب درسها وبحث معالمها » (١) ٠

واذا كان مفهوم البلاغة قد ظل زمنا طويلا مفهوما غير محدد فان نظرية ظهرت فى الأعوام الأخيرة تسمح لنا بأن نقوم موضوعيا كمية المعلومات التى تتضمنها أى رسالة سواء كانت الرسالة مذكرة عن موضوع ما أو قصيدة للعقاد أو حديثا هاتفيا أو مقطوعة موسيقية لعبد الوهاب ٠٠٠ الخ ٠ وتسمى هذه النظرية باسم نظرية الاعلام التى انبثقت من مشكلات عملية خالصة فوضع العالم الأمريكى « كلود شانون » فى عام ١٩٤٨ (٢) أساس نظرية الاحتمالات فى الاعلام وبعده بدأ عديد من الباحثين تطبيقها فى مجالات واسعة من العلوم كالأحياء واللغة والفلسفة والوراثة والفنون والرياضيات وعلم النفس ٠٠ الخ ٠

---

(١) د٠ ابراهيم بيومى مدكور : فى اللغة والأدب سلسلة اقرأ ـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١ ٠

(٢) ٠٩ كندراتوف : (ترجمة شوقى جلال) الأصوات والاشارات ، القاهرة ١٩٧١ ٠

ذلك أنه لم يسبق من قبل أن استطاعت الكلمة المنطوقة أو المكتوبة فى تاريخها الطويل أن تبلغ كل هذه الأعداد البشرية التى تقرؤها أو تسمعها فى وقت واحد · أن عصرنا وهو عصر الثورة العلمية والتكنولوجية هو كذلك عصر الوسائل الجماهيرية الحديثة ، لقد بلغ التواصل بين الناس أقصى مداه واضخم ابعاده فقراء الصحف والكتب والمجلات يتزايد عددهم كل يوم وأجهزة الاذاعة والبث (أو الاذاعة والتليفزيون) تدخل الكلمة المنطوقة فى كل بيت وتؤثر فى نفس الوقت على تفكير مئات الألوف من الناس بل ملايينهم كما تؤثر على شعورهم وارادتهم وسلوكهم ومديرو الاعلانات فى الشركات العالمية الكبرى ويستغلون الكلمة فى الترويج ويلجاون الى كل الوسائل اللغوية الممكنة لاقناع القراء أو المستمعين بالاقبال على شرائها والسياسيون فى مختلف انحاء العالم ينبهون يوما بعد يوم الى قوة تاثير الكلمة وسلطانها على النفوس (١) ·

وتاسيسا على هذا الفهم تنظر البلاغة فى نظرية الاعلام الى اللغة على اعتبار أنها نظام من العلامات الصوتية ينشأ ويتطور مرتبطا بتاريخ الناطقين بهذه اللغة ويستخدم وسيلة للتواصل ووسطا للتفكير ومجالا للتعبير عن الأفكار والعواطف والمشاعر والمقصود باستخدام اللغة فى التواصل هو « عملية تبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات ويظهر هذا التواصل اللغوى على شكل عبارات أو تعبيرات شفهية أو كتابية تتبادلها الأطراف فى موقف معين لغرض معين عن واقعة معينة (٢) ·

وفى البداية يحتاج الاصطلاحان : « **اتصال واتصالات** » الى ايضاح ·· فالاتصال ببساطة هو عملية الاتصال فكلمة اتصال Communication تمتاز بالتعبير عن الغرضية والتفاعل معا بمعنى أنها تنطوى على معنى القصد أو التدبير وكذلك تعنى التفاعل أو المشاركة فاللفظ الأوروبى مشتق من الأصل اللاتينى للفعل Communicare بمعنى : يذيع أو يشيع عن طريق المشاركة التى قد تكون بين شخص وآخر فى الاتصال الشخصى أو بين شخص وجماعة فى الاتصال الجمعى المباشر أو بين مؤسسة وعدة جماعات متفرقة لا ترى مصدر الاتصال فى الاتصال الجماهيرى (٣) ·

---

(١) د· جنتر هينزه (تقديم د· عبد الغفار مكاوى) سلطان الكلمة فى مجلة الفكر المعاصر ، القاهرة يونيو ١٩٧٠ ·

(٢) نفس المرجع ص ٣ ·

(٣) د· ابراهيم امام : الاعلام والاتصال بالجماهير ص ٢٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ ·

وتؤكد دائرة المعارف البريطانية على خاصية التفاعل التى تميز الاعلام عن غيره من حيث النتائج والآثار وردود الأفعال التى يمكن تقديرها ففى (عملية الاتصال تهدف الى احداث تجاوب مع المستقبل وبعبارة اخرى نحاول أن نشاركه فى استيعاب المعلومات أو فى نقل فكرة واتجاه) ٠

ولعلنا لا نتجاوز الاطار العلمى حين نذهب الى ان المفهوم العربى لكلمة « بلاغة » يقترب من هذا المفهوم الحديث فالبلاغة لغة تنبىء عن « الوصول والانتهاء » على نحو ما ذهبنا اليه فيما تقدم ٠

عملية الاتصال بالجماهير :

ويعد نموذج شرام Schramm من أشهر النماذج التى تصور البلاغة فى عملية الاتصال بالجماهير وتحللها الى عناصرها وتبين المواقف المتصلة بها وهناك خمسة عناصر أساسية فى عملية الاتصال هى المصدر المباشر أو المرسل والعنصر الثانى هو صياغة الفكرة فى رموز معينة encoding والعنصر الثالث تفسير هذه الرموز وفهمها وعلى هذا الأساس يأتى العنصر الرابع وهو استجابة المستقبل أما العنصر الخامس فهو يتمثل فى الردود أو الأصداء الراجعة من المستقبل الى المرسل والذى يستطيع عن طريقها أن يكيف عملية الاتصال ويعد لها كما يفعل الترموستات لضبط درجات الحرارة وجعلها متمشية دائما مع الدرجة المطلوبة ٠

فالمرسل على حد تعبير « شرام » يحاول توصيل معلوماته ومشاعره فى كلمات مسموعة أو مكتوبة وفى الاعلام الاسلامى كان يقال : « رسول الرجل مكان رأيه ، وكتابه مكان عقله » وكذلك جعل الله عز وجل ـ رسله أفضل خلقه وأخبر انه اصطفاهم على العالمين فقال تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (سورة الأنعام : ١٢٤) ٠

وفى ذلك يقول ابن وهب (١) : وانما وجب أن يختار العاقل رسوله لأنه قد أقامه فيما يؤديه عند مقامه فعليه أن يجعله أفضل من بحضرته وعلى الرسول أن يؤدى ما حمل كما قال عز وجل : « فانما عليه ما حمل » (النور : ٥٤) وكما

---

(١) ابن وهب (تحقيق : د٠ أحمد مطلوب و د٠ خديجة الحديثى) البرهان فى وجه البيان ص ٢١٨ ، بغداد ١٩٦٧ ٠

قال : فهل على الرسل الا البلاغ المبين (النحل : ٣٥) وانما وجب عليه البلاغ لأن الرسالة امانة فعليه تاديتها لأن الله عز وجل يقول ان الله يامركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها (النساء : ٥٨) وليس للرسول أن يزيد فى الرسالة ولا أن ينتقص منها لأن ذلك خيانة امانة الا أن يكون المرسل فوض اليه أن يتكلم عنه بما يرى فقد قال الشاعر (من المتقارب) :

اذا كنت فى حاجة مرسلا فارسل حكيما ولا توصه

وانما أمر بذلك لأن الحكيم اذا وصيته لم يتجاوز وصيتك وان كان الرأى عنده خلافها فربما ضرك بترك الأصوب عنده واتباع امرك ولا لوم عليه فى ذلك واذا فوضت اليه عمل بحكمته ورايه وقد روى فى هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه بأمير المؤمنين (على بن ابى طالب فى بعض أموره فقال له : « اكون يا رسول الله فى الأمر اذا وجهتنى اليه كالسكينة المحماة اذا وضعت للموسم أو يرى الشاهد وما لا يرى الغائب » فقال : (بل يرى الشاهد ما لا يرى الغائب » ففوض اليه لما وثق برأيه وقال لغيره من الناس : نصر الله امرؤا سمع مقالتى فاداها ولم يفرض اليهم لقلة ثقته بهم » ٠

ومن ذلك يتضح أن القائم بالاتصال لا يقل أهمية عن مضمون الرسالة ولذلك عنيت الدراسات الاعلامية بدراسة هذا العنصر الاتصالى ونذكر منها دراسة « كرت لوين » عالم النفس النمساوى الأصل الأمريكى الجنسية والتى أسفرت عن تطوير نظرية « الحاجب الاعلامى The gatekeeper والتى تذهب الى أنه على طول الرحلة التى تقطعها المادة الاعلامية حتى تصل الى الجمهور توجد نقاط أو « بوابات » يتم فيها اتخاذ قرارات بما يدخل وما يخرج ولذلك عنيت دراسات الحاجب الاعلامى « بسلوك القائمين بالاتصال دراسة تجريبية ومنتظمة تتناول تاثير الظروف المحيطة بهم وتاثير النواحى المهنية عليهم والجوانب المادية والفنية لعملهم ٠

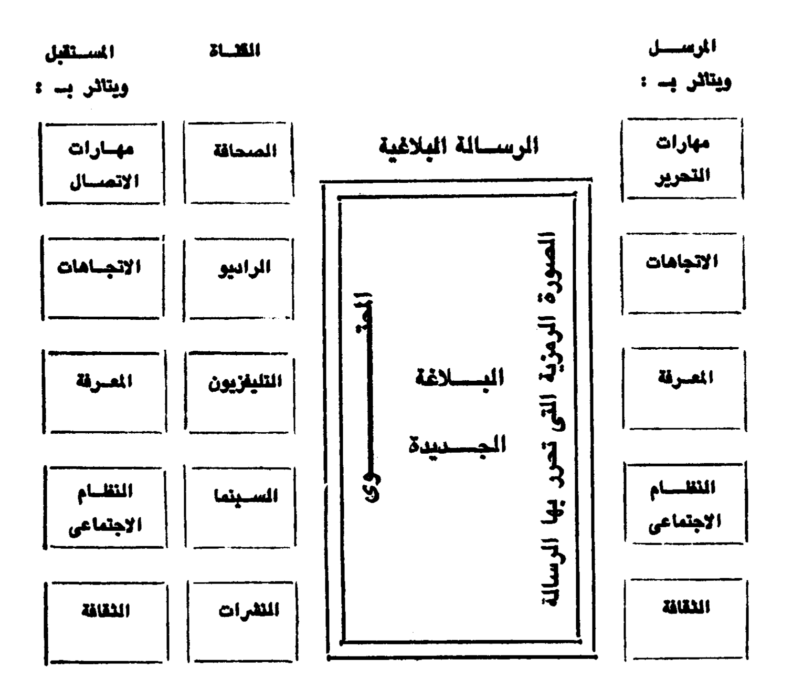
ويتوقف نجاح البلاغة فى عملية الاتصال على اختيار المحتوى المناسب للرسالة موضوع الاتصال ، وكذلك على اختيار القناة والوسيلة المناسبة لنقلها ، والواقع أن قيمة أية رسالة تتوقف على مدى فعالية هذه الرسالة وتاثيرها ٠ ولا يمكن التاكد من ذلك الا اذا عرفنا أثر الرسالة على الشخص المستقبل لها ٠

وقد ركز عالم السياسة « هارولد لازويل » هذه العملية فى الاجابة على الاسئلة التالية :

« من ــ يقول ماذا ــ بأى وسيلة ــ لمن ــ وبأى تاثير »

وحين نتفق على ان البلاغة فى عملية الاتصال ليست الا عملية ترامز ، حيث يوجد دائما مصدر يرسل الرموز بوسيلة من الوسائل ليستقبلها اخر فيحل رموزها ويفسرها — يصبح فى امكاننا الاتفاق على مكان — اللغة من عملية الاتصال ٠ ذلك ان اللغة هى العامل المشترك الاعظم بين كل عناصر العملية من مرسل ومستقبل ورسالة اتصال ، وغنى عن البيان ان هذه العناصر جميعا « حلقات متصلة متكاملة » ٠

لا بد للمرسل ان يضع رسالته فى شكل معين او صيغة محددة من الرموز او الكلمات ، ومن الطبيعى أن تحتاج هذه الكلمات الى أجهزة نقل أو وسائل اعلام — كالصحف والاذاعة والتليفزيون وغيرها لكى تنتشر بسرعة فى اماكن عديدة ، بحيث يمكن أن نتصور موقع « البلاغة » فى عملية الاتصال بالجماهير على النحو الذى يتضح من النموذج التالى :



ففى البلاغة الجديدة تصبح طبيعة « الرسالة » التى يهدف « المرسل » الى توصيلها الى المستقبل ، هى محور الدراسة البلاغية ، ولذلك تعنى هذه

الدراسة بطبيعة الرسالة من حيث الأغراض والوظائف والاستعمالات المختلفة للغة · ويمكن القول ان اللغة ـ او البلاغة بوجه عام ـ تؤدى ثلاث وظائف هى :

١ ـ **الوظيفة الاعلامية** : من حيث ان الغرض البلاغى هو توصيل المعلومات وابلاغ الحقائق ، كما يحدث فى الاتصال الاعلامى بوسائله المختلفة ·

٢ ـ **الوظيفة التعبيرية** : ذلك ان البلاغة قد تتخذ طابعا تعبيريا فى الفن والأدب بوجه عام بهدف « التعبير عن المشاعر » او « التحريك » لمشاعر او اتجاهات الشخص المتلقى ·

٣ ـ **الوظيفة الاقناعية** : حين يستهدف الاتصال اقناع المتلقى او جمهور المستقبلين بفلسفة محددة ، او رأى معين او وجهة نظر ما ، او دفعه لعمل شىء ما ، وهو ما يحدث فى الاتصال الاقناعى بوجه عام ·

واذا كان هذا التقسيم لأهداف البلاغة الجديدة يلقى بعض المعارضة سيما من جانب علماء النفس اذ يرون ان فصل هذه الأهداف عن بعضها البعض لا يتحقق فى الواقع العملى ، فالاتصال البلاغى الذى يهدف الى توصيل قدر من المعلومات والخبرات لا يمكن ان يحقق اهدافه ما لم تصحبه بعض الجوانب الاقناعية ·

وعلى ذلك فان الفهم الدقيق لتصنيف اهداف البلاغة يرتكز على اساس ان الكلمة المكتوبة والمنطوقة تحقق هذه الأهداف على نسق لا تنفصل فيه عن بعضها البعض بحيث تغدو فئات مستقلة ، وانما تتداخل جميعا بحيث يشمل الهدف منها اجزاء من الهدفين الآخرين ·

على ان التمييز بين هذه الوظائف الثلاث انما نلجأ اليه فى الدراسة الوظيفية ، وليس الأمر كذلك فى مضمون الاتصال ولغته المستعملة ·

فالكلمة المنطوقة او المكتوبة تغدو اعلامية من حيث الدراسة الوظيفية اذا كان الهدف السائد فيها يضيف الى الجمهور معرفة مبسطة حول الموضوع؛ واذا كان المضمون والشكل مرتبطين بالهدف نفسه ·

اما الهدف التعبيرى للاتصال فهو يظهر فى النموذج المتقدم على نحو واضح يتداخل فيه مع الهدفين الاعلامى والاقناعى ، ليحقق المشاركة وجذب الاهتمام الانسانى واثارة الخيال لدى الجمهور ·

بينما يتضح من النموذج كذلك ان الهدف الاقناعى للاتصال ؛ قد يتضمن كلا من الهدفين الاعلامى والتعبيرى ؛ لكنه يستخدمهما لاقناع الجمهور بوجهة نظر محددة ، ذلك ان المضمون فى الغالب قد يكون مشكلة غير محلولة يذهب فيها مذهبا معينا بهدف علاجها ، وهو لذلك يسعى الى اقناع الجمهور بوجهة نظر الكاتب حول مشكلة المضمون المطروح ٠

ومن ذلك يتبين ان اهداف الاتصال متداخل بعضها فى بعض ، وانما يميز الهدف عن الأهداف الأخرى بسيادته المحورية لمضمون ولغة الاتصال ولا يمكن أن ننظر اليها كذرات منفصلة لا رابط بينها ٠

فمثلا لا يمكن أن يوصل المعلم قدرا مناسبا من المعلومات الى الطالب ما لم يقنعه بقيمة المادة التى يدرسها او المعلومات التى تقدم اليه ، كما ان الاتصال الذى يهدف الترويح عادة ما يتضمن بعض جوانب المعرفة وجوانب الاقناع ٠ فالفرد عندما يشاهد فيلما معينا قد يكون الهدف الظاهر هو الترويح ولكن هذا الترويح عادة ما يكون مقترنا بالاقناع وقد يضيف المشاهد الى معلوماته الشىء الكثير عن طريق مشاهدته لهذا الفيلم ، فالاتصال فى هذه الحالة قد حقق اهدافه الثلاثة فى وقت واحد ٠

وأيا كان أمر الهدف من عملية الاتصال فاننا لكى نصل الى اتصال فعال لابد أن تحدد بوضوح هذا الهدف ، وأن يكون واضحا فى الأذهان نوع ومدى الاستجابة Response التى نامل الحصول عليها من وراء عملية الاتصال ٠ سيما أن اهم نقد لهذا التقسيم هو النقد الموجه لطبيعة اللغة ؛ فهناك من الأسباب ما يجعلنا نذهب الى أن أى استخدام للغة يتضمن جانبا اقناعيا ، ذلك ان الانسان لا يستطيع أن يتكلم دون أن يحاول اقناع المتلقى بطريقة او بأخرى ، ولكننا نذهب مع « روبى » (١) الى أن اكثر الأشكال التى ترمز الى عوائق الاتصال هو معاملة كل استعمال للغة ، كما لو كان يقصد به الى الاعلام أو البلاغ ، فمثلا كثير من الناس يقرأون القصيدة الشعرية كما لو كانت رسالة علمية ولكن معايير الحق والباطل غير متعلقة بالهدف الذى يرمى اليه الشاعر بالقياس الى عبارته الحقيقية ٠ فقد حاول الشاعر استحضار حالة شعورية معينة أو التعبير عن احساس (٢) ٠ وعندما وصف الشاعر م ٠ ع الهمشرى انوار النارنج اذا ما تفتحت فى بياض الثلج متحدثا عن الزرزور :

(٢،١) ليونيل روبى (ترجمة د٠ محمد على العريان) : فن الاقناع ص ٨٥ وما بعدها ٠

« فمتى يؤوب هتافه ؟ ومتى أرى
نوارك الثـــــلجى يا نارنجتى

ومتى أطير اليك ترقص مهجتى
فرحا وآخـذ مجلسى من شرفتى »

فان الهمشرى لم يكن يقصد حقا أن النوار ثلجى ، لأن لغته هنا لغة تأثر انفعالى وليست لغة علمية فى هدفها • على أن الشعراء كما يقول « روبى » (١) أيضا لا ينفردون وحدهم باستعمال اللغة بهذه الطريقة • فثمة كتاب أو رسالة علمية يقصد بها البلاغ والاعلام عينا ، ولكنها تكون فى نفس الوقت تعبيرا عن الانفعال كما تكون تعبيرا عن الفكرة فى الوقت نفسه ، وقد تغلب عليها الصبغة الانفعالية والطابع العاطفى •

وعلى ذلك فاننا لن نستطيع أن نفهم حقيقة اللغة عندما نعتبرها مجـرد وسيلة للتفاهم ونقل الأفكار ، اذ أن هذا الاعتبار ـ كما يقول «أوتوجسبرسن» ـ ليس الا تقريرا لجانب واحد من جوانب اللغة الانسانية : « ولا شك أنه من ضيق النظر أن ندخل فى حسباننا عاملا واحدا ، وأن نغفل بقية العوامل فى فهم حقيقة من الحقائق ، ولقد كان هذا مع الأسف عيبا سائدا فى انتـاج كثير من اللغويين » •

فلقد قال « هرمان بول » فى خطاب له فى « ميونيخ سنة ١٩١٠ عن وظيفة اللغة أن الوظيفة الأساسية للغة أن تكون أولا وقبل كل شىء وسيلة لنقل العواطف والمعلومات أو سواهما من الأمور » •

ويذهب جسبرسن Jespersen الى أن ذلك ليس فقط وظيفـة اللغـة فى الأصل ، أو فى العصر الذى نعيش فيه : « فاللغة كانت على وجه العمـوم أمرا وسطا بين الغناء والكلام أو بين مجرد التنغيم الصوتى الذى لا يقصد من وراء كلماته ومقاطعه غير الجرس والموسيقى ، وهما ان صح أن لهما جانبـا تعبيريا فلن يكون غير تعبير عام عن حالة شعورية تدفع لاصدار الكلام ، كما يقول جسبرسن أمر وسط بين هذا النوع من التنغيم وبين كونها وسيلة لنقــل الأفكار والمعلومات بين فرد وآخر • » ولو صح أن هذا هو الوضع المبكر للغة

---

(١) نفس المرجع •

Sapir, E. ; Language, Harcourt Brace. N.Y. 1921 P. 23.

و د• أحمد أبو زيد فى مجلة عالم الفكر ، الكويت ٢٢ ع ١ مايو ١٩٧١ •

فليس هنالك ما يمنع أن تكون اللغة البشرية قد تطورت فى العصور اللاحقة تطورا جعل منها وسيلة دقيقة للتفاهم ونقل الأفكار » ٠

وأيا كان الأمر فان الفهم الحق للغة يكمن فى وظيفتها الاتصالية التى تكاد جميع الآراء أن تجمع عليها ، فيذهب بعضها الى أن اللغة مرآة تعكس الفكر أو أنها وسيلة للتعبير عن الأفكار وتوصيلها أو تبادلها ٠ ويعرف « هنرى سويت » اللغة فى كتاب « مدخل تاريخ اللغة » بأنها « التعبير عن الفكر عن طريق الأصوات اللغوية » كما يعرفها العالم الأمريكى « سابير » فى كتابه « اللغة » (١) بأنها وسيلة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام رموز يستخدمها الفرد باختياره وقد حدد « جيفونز » أغراض اللغة فى أمور ثلاثة :

أولا : كونها وسيلة للتفاهم ٠ وكونها

ثانيا : أداة صناعية تساعد على التفكير وكونها

ثالثا : أداة لتسجيل الأفكار والرجوع اليها ٠

وعلى الرغم من ارتباط الفكر واللغة معا بقوة ، واعتبار اللغة أهم وسيلة يمكن بها التعبير بدقة وبطريقة منهجية مطردة عن الفكرة ٠ وعلى الرغم من أنه بدون اللغة سيكون من الصعب الاحتفاظ بالفكر واستعادته ونقله للآخرين (١) فان هذا لا يصل على ما يقول « وايتهيد A.N. Whithead فى كتابه Modes of thought ان اللغة هى جوهر الفكر وماهيته ، فكثيرا ما تقصر اللغة عن التعبير عن الأفكار من ناحية ، وعن العواطف والانفعالات من الناحية الأخرى ، ومن هنا لم تكن اللغة بالمعنى الدقيق للكلمة أو لغة الكلام هى اللغة الوحيدة التى يعرفها الانسان ، وانما هناك الى جانبها لغات « أخرى غير كلامية تستخدم هى أيضا للتعبير والتوصيل » ٠ ومع التسليم بأن الألفاظ والكلمات تستطيع أن تبلور التفكير وأن تضفى على الصور الذهنية المجردة (التى كثيرا ما تكون باهتة ومبهمة وغامضة) كثيرا من الدقة والوضوح والتحديد ؛ فان هذا لا يعنى استحالة التفكير بغير اللغة الكلامية ٠ فثمة موضوعات كثيرة يمكن معالجتها بدون استخدام الكلمات والألفاظ كما هو الحال حين يفكر المرء مثلا فى حل مشكلة رياضية معقدة ٠ ومن الواضح أن ما نسميه بالتفكير الكلامى أو التفكير عن طريق الألفاظ لا يلعب الا دورا ثانويا عند علماء الرياضيات على الأقل فى المرحلة الحاسمة من عملية الابداع (٢)٠

(١،٢) د٠ أحمد أبو زيد ، نفس المرجع ص ٨ ٠

البلاغة ولغة الاتصـــال :

ومادامت اللغة هى الرابطة الكبرى بين البلاغة والمجتمع ، فينبغى أن ننظر اليها نظرا علميا صحيحا فاللغة ليست مجمـوعة القواعد التى نحصلها ونسميها بالنحو المتواضع عليه ، وهى لا يمكن ان تكون وسيلة « افادة » فحسب بل لا يمكن أن تخضع لقواعد المنطق الصورى أو المنطق الأرسططاليسى الـذى قسم الكلام الى مخارج محددة جعلها أسماء وأفعالا وأدوات ٠ واللغة ليست هذا كله ، ذلك لأنها بمفهومها الاجتماعى سلوك فردى وجماعى ، وهى عندما ينظر اليها فى الطفل الذى لما يبن عن نفسه بالمخارج أو الانبعاثات الصوتية ، نرى أنه لا يريد ان ينبه غيره اليه فقط ولكنه ينزع فى الواقع نزوعا سلوكيا ٠٠ واللغة فى الجماعات البدائية نزوع سلوكى كذلك ، وهى تنتظم الحركة الموقعة والاشارة ، كما تنتظم تغيرات تقوم على الاستجابة المنعكسة لوقع الحيـاة على نفوس الناس ، وقد تكون اللغة حركات أخرى كالنقـــر والتلوين والصياغة ، واستغلال الضوء والصوت ٠ وهكذا نرى أن اللغة تنتظم هذه الظواهر كلهـا بمفهومها الاجتماعى فهى سلوك وليست مجرد افادة عقلية أو مجرد انبعـاث صوتى منتظم ٠

الوظائف البلاغية ومستويات التعبير :

وتاسيسا على الفهم الوظيفى للاتصال ؛ فان هناك ثلاثة مستويات للتعبير البلاغى :

اولها ـ المستوى التعبيرى : وهو تذوقى فنى جمالى يستعمل فى الأدب والفن ٠

والثانى ـ هو المستوى الاقناعى : ويستعمل فى الدعاية والعلاقات العامة وما الى ذلك ٠

والثالث ـ هو المستوى الاعلامى : وهى مستوى عملى اجتماعى عادى يستخدم فى وسائل الاعلام ٠

والمستوى التعبيرى ، نجده أوضـــح ما يكون فى لغة الشعراء كما هــو الحال فى هذه الأبيات للشاعر محمود حسن اسماعيل :

فقلت لنارى اذن الفجر فارتمى
وشدى على الأصفاد شد المقاتل

وما مر عمر الطيف حتى ترنحت

وذابت قيودى من عميق المفاصل

فكبرت جـل الله عادت حقيقتى

ورنت أناشيدى ، وغنت بلابلى

هذه الأبيات تعبر عما يعتمل فى صدر الشاعر من تحـــاور بين الموت والحرية ضد الرق الانسانى · وربما شعر المتلقى بنفس شعور الشاعر بالفعل الروحى التلقائى المنبعث من أعماق ذاته ·

اما المستوى الاقناعى : فاننا نجده فى الكلام التوجيهى أو الحاث على العمل ، وقد اصبح الانسان المعاصر محاصرا بكل أنواع الالتماسات الخاصة ، فهو يطالب باتخاذ قرارات متعددة ، ورأيه فى السياسة مهم · ذلك أن زيادة السكان والتوسع فى الحقوق السياسية ومنح المرأة حق الانتخاب ، قد ادت الى زيادة عدد الناخبين كما أن التعليم الشعبى قد أعطى للغالبية العظمى من المواطنين فرصة تعرف قضايا الحكومة ومشكلاتها وملاحظة الهوة بين ما هو عملى وما هو مثالى فى المجتمع ، كما أن تعقـد الحياة فى القـرن العشرين والتقدم فى المواصلات الذى أدى الى تقلص العالم وتطور وسائل الاعلام الذى وسع آفاق الشخص العادى ـ كل ذلك قد أفسح مجال الرأى ·

ومادام الانسان المعاصر مطالبا باتخاذ عدد متزايد من القرارات · فقد اتخذ الاتصال الاقناعى سمة معاونة هذا الانسان المعاصر على اتخاذ القرار الصحيح من وجهة نظر « المرسل » الذى قد يتخذ ثوب المصلح أو كاتب المقال أو الداعية · وهم يطلبون جميعا مشاركة « المستقبل » فى الرأى · ورجـال الاعلان وخبراء العلاقات العامة يريدون منه مجاملة زبائنهم ، والسياسيون يطلبون صوته وكل واحد منهم يطلب قرارا لصالحه ·

وتحتوى وسائل الاعلام على ثلاثة أنواع رئيسية من الاتصال الاقناعى :

أولها ـ الاعلان : Advertising .

وثانيها ـ الدعوة المقصودة : كالمقالات الافتتاحية والرسوم الكاريكاتورية والأعمدة والمقالات التفسيرية التى تؤدى بالقارىء الى الوصول الى استنتاج·

وثالثها ـ ذلك المضمون الذى يراد به أساسا الترفيه أو الاعلام بحيث يكون الاقناع منتجا فرعيا ·

والمستوى الاعلامى : هو الذى يتوسل باللغــة لتوصيل المعلومات فحسب واللغة الاعلامية لذلك هى النوع الذى « نجده على الأرجح فى شكل نقى نسبيا ، ٠٠ بل ان كتابة العلمــاء تميل الى أن تكون اعلامية صرفه ، وخصــوصا فى العلوم الطبيعية ولذلك وجدنا البلاغة العربية تنبىء عن الوصول والانتهاء ٠ وفى التنزيل : « **الا بلاغا من الله ورسالاته** » أى لا أجد منجى الا أن أبلغ عن الله تعالى ما أرسلت به ، **والابلاغ : الايصال** ٠ والاسم : البلاغ ٠

وقال تعالى : « **لقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون** » (القصص : ٥١) توصيل القول لهم اتباع بعضه بعضا فى التنزيل ٠

ويقدم « هودلى كانتريل » فى كتابه « قياس الرأى العــام » قاعدة عامة تقول : **ان الرأى يتحدد عموما بالأحداث اكثر مما يتحدد بالكلمات** ، ما لم تفسر هذه الكلمات ذاتها على أنها حدث ٠٠ وبالاضافة الى ذلك تنزع الأحداث الى ترسيخ تغيرات الرأى العام الناتجة عن الكلمات ٠

فالمستوى الاعلامى ـ اذن ـ يخاطب العقول لا الغرائز ، ويقدم اكبر قدر من المعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة التى تنساب الى عقول الناس ٠ ولذلك كان الاعلام فى اللغة العربية نقيض « **الجهل** » لأنه من مادة « **علم** » ، فهو يرفع من مستوى الجماهير وينشد تعاونهم من أجل المصلحة العامة ، **علمه العلم** فى اللغة تعنى : **أعلمه اياه فتعلمه** ٠ وفرق سيبويه بينهما فقال : **علمت** كأذنت **وأعلمت** كآذنت ، **وعلمته** الشىء فتعلم ، وليس التشديد هنا للتكثير ٠ وقال عمرو بن معد يكرب مستخدما كلمة **تعلم** بمعنى « **أعلم** » :

تعلم ان خيــــر النـــــاس طرا
قتيل بين أحجــــار الكــــلاب

يقال : **استعلم لى خبر فلان وأعلمنيه** حتى أعلمــه ، واستعلمنى الخبــر فأعلمته اياه ، وعلى الرغم من أن الرسالة الاعــلامية هى جوهر التحــــرير الاعلامى نجد أن الرمز ذاته جزء من الموقف الاتصالى الاعلامى العام بأبعاده النفسية والاجتمــاعية والثقافية ، فهى مواقف سلوكية تقـــدم فرصا مطردة ومتزايدة للمشاركة فى الخبرة ، وتحقيق الاعلام ، وكسب المعرفة والفهم ، من خلال استخدام الرموز ٠

وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل مجتمع انســــانى ، والفــرق بين المجتمع المتكامل السليم ، والمجتمع المنحل المريض ، هو تقــارب المســتويات اللغوية فى الأول وتباعدها فى الآخر ٠ فتقارب مستويات التعبير اللغوى دليل

على تجانس المجتمع وتوازن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم الى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت أن العصور التى يسود فيها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية ، هى غالبا أزهى العصور وأرقاها ٠ أما اذا كان كل مستوى لغوى بعيدا كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانفصام العقلى فى المجتمع ، وهـذا يؤدى الى التدهور والانحطاط والشيخوخة والانحلال (١) ٠

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقال ٠ والأكثر من هذا كله فانها هى ذلك الجزء من الثقافة أو الحضارة ؛ الذى يساعد أكثر من غيره على التعلم ، وزيادة الخبرة والمشاركة فى خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية أو الحالية ، أى أنها العامل الأساسى فى عملية التراكم التى هى أهم عنصر فى الحضارة الانسانية (٢) ٠

وتعتمد اللغة فى صحتها وقوتها على المستوى العام للغة ؛ القائم على التآلف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية ، لأن الحديث اليومى حين يحسنه أفراد المجتمع ؛ ينشط اللغة ويعيد اليها الشباب ٠ فليس الكلام الانسانى من خلق العلماء أو اللغويين ، بل هو على حد تعبير الدكتور ابراهيم أنيس (٣) من خلق العامة من الناس ممن ربما لم تتح لهم فرصة التعلم فى مدرسة ، وممن لا يكادون يحسنون كتابة أو قراءة ٠

حقا ان العلماء والأدباء قد يعملون على تنمية اللغة وجعلها غنية حتى تزهر ذلك الجمال الرائع فى النصوص الأدبية ، ولكنا نلحظ أن أندر الثورات وأروعها هى تلك التى تظهر طبيعية ودون رعاية أو تعهد ٠

على أن جذور اللغة لا تعمق الا فى التربة العامة التى فيها تستمد اللغة عصيرها وغذاءها ٠ هذا اذا قدر للغة ألا تموت وتندثر ، كما اندثرت تلك اللغات القديمة التى انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم ٠ يجب لهـذا ألا تكون هناك فجوة عميقة بين ألفاظ الأدب والحديث اليومى ٠ فقد تتطور تلك

---

1) Imam, I. ; The Language of Journalism, (1969).

(٢) د٠ أحمد أبو زيد : مجلة عالم الفكر ، العدد الأول بالمجلد الثانى ١٩٧١ م ٠

(٣) اللغة بين القومية والعالمية ص ٣٣ ٠

الفجوة الى عزل لغة الأدب وتصبح أشبه باللغة المصنوعة التى **تقرر صيغهـا** وأشكالها بوساطة سلطة عليا كما هو الشأن فى المجامع اللغوية بأوربا ، فقد يصدر المجمع اللغوى قواعد محـددة لتنظيم الاستعمال الأدبى ، وقـد يفرض النصوص التى يجب أن تعلم فى المدارس ولكنه لن يستطيع السيطرة على ذلك الحديث المرح فى الأسواق ولا على الخطاب العادى فى البيوت وبين أفراد الأسرة (١) ٠

وقد حدث هذا لأوروبا فى العصور الوسطى عندما كانت اللغة اللاتينية مستأثرة بالدراسات الأدبية ، بينما كانت اللغات الاجتماعية محتقرة ومنبوذة لا تستعملها الا الطبقات العاملة الفقيـــرة ، فعاشت فى عصور مظلمة وباتت تتردى فى الجهل والتعصب والتنافر والتنـــابذ ، وفى الوقت نفسه ســادت فى العالم الاسلامى آداب رفيعـــة وكانت اللغة العربيـــة شـــائعة بين الحكام والمحكومين ، مستعملة فى الآداب والعلوم وفى الحيـاة العمليـــة ٠ ولم تكن الفروق بين هذه المستويات شاسعة مفزعة كما كانت فى أوروبا بين اللاتينيـة والانجليزية أو الالمانية مثلا ، فكان التآلف فى المجتمع والانسجام بين طبقاته ، والحيوية والتكامل فى العقل الجماعى والوجدان الجماعى (٢) ٠

وقد كانت اللغة العربية فى أحلك عصورها فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ــ تعانى من الانفصام العقلى فى المجتمع ، حيث سادت لغة أدبية منمقة متكلفة كتقليد سخيف للطريقة الفـاضلية فى الكتـابة عقيمة مصطنعة لم يألفها الشعب ، أما أساليب العرب الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا بعيدين عنه كل البعد وكل ما تصبو اليه النفوس وترتفع اليه المطامح أن يقلد الكاتب أسلوب الحريرى فى مقاماته ، كما ألفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة والعبارات المؤلفة والجمل المترادفة ٠ وليس على من يريد أن يكتب فى موضوع الا أن يأخذها بنصها ٠

ومن جهـــة أخرى اختفت الفروق اللغوية الدقيقة وأصبحت الألفـــاظ المتقـاربة مترادفة ، بحيث « لم يعـــد الترادف فى ذلك العصر مزية من مزايا العربية ، وأصبح مرضا من أمراضها الوافدة المنتشرة ٠ وغلب على النـاس استعمال الألفاظ فى معانيها العامة ٠ فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التى عرفت بها العربية فى عصورها الســالفة ٠ وأدى ذلك الى تداخل معانى الألفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وفقد الفكر العربى الوضوح

---

(١) المرجع السابق ص ٣٣ ٠

(٢) د ٠ ابراهيم أمام : دراسات فى الفن الصحفى ص ٤١ ٠

حين فقدته اللغـة نفسها ، واتسم **بالغموض** وانفصلت الألفـاظ عن معانيهـا وأصبحت عالما مستقلا يعيش الناس فى جوه بدلا من أن يعيشوا فى الحيـاة ومعانيها » (١) ٠

وصفوة القـول أن الخضوع السياسى والنصوصية الفقهيـة والصوفية السلبية والصنعة المتكلفة فى الأدب ، كان لها جميعا أثرها فى اللغة وانعكاس أشعتها عليها فكان للغة تلك العصور صفات هى الوجه اللغوى لهذه الصفات الاجتماعية الأخرى ٠ وتلك هى أعراض المجتمع المريض والحضارة المنحلة ٠ وقد حدث ذلك فى العصور الوسطى فى أوروبا كما حدث فى انجلترا فى مستهل الفتح النورماندى وحدث أيضا فى مصر بعد الفتح التركى حتى القرن التـاسع عشر ٠

وليس من قبيل المصادفة أن يكون ظهور أول صحفى مصرى وهو رفاعة الطهطاوى فى عصر محمد على مقترنا بنهضة علمية ؛ والتحام بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية واهتمام بالترجمة (٢) ٠ فقد كانت اللغـة الموروثة التى كانت تؤدى أغراض عصور الانحطاط فى آفاق ضيقة حاملة صفات التفكير السائد فى تلك العصور من جحود وضيق فى الأفق ، وحملت الحياة الحديثة فى أوروبا الى العرب آلات جديدة وأفكار جديدة ومشاعر جديدة حملت كـل ما حملته حضارتها من ضروب النشـاط الانسانى فى الاقتصـاد والسياسة والحياة الاجتماعية ؛ من ألوان وصور جديدة ٠ فقامت المشكلة من عجز اللغة العربية كما خلفتها عصور الانحطار عن القيام بعبء التعبير عن معانى هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية ٠

لقد كانت الملاءمة بين الأمرين عسيرة صعبة ، وكان بجمهـرة المتكلمين باللغة العربية حمل هذا العبء والاضطلاع به ، فكان على جمال الدين الأفغانى ويعقوب صـنوع والشيخ محمد عبده ومصطفى كامل وأحمـد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل من رواد الصحافة الـذين جمعوا بين الثقـافة العربية والثقافة الأوروبية ؛ أن يخلقوا بجهودهم الرائعة لغة الفن الصحفى العـربى التى تقترب من لغة الأدب وتمتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط ٠

ولقد توجت هذه الجهود بظهور الصحافة الاخبارية الحديثة ، وبالتنويع فى وسائل الاقناع الصحفى بالصورة الفوتوغرافية والصورة الكاريكاتورية

---

(١) محمد المبارك خصائص العربية ص ٦ ٠

(٢) د٠ ابراهيم امام : دراسات فى الفن الصحفى ص ٤٤ ٠

والعناية بالأخبار النائية · وقد تطلب ذلك استخدام لغة صحفية تتلاءم مع شعبية الصحافة ، تتوخى السهولة والتبسيط دون أن تهبط الى العامية فى اللفظ أو السوقية فى الفكر (١) ·

وهكذا تتقارب المستويات اللغوية العلمية والجمالية والعملية لأننا كلما نزلنا فى سلم التطور الحضارى للمجتمعات وجدنا فروقا شاسعة بين المستويين الأدبى والعلمى للغة ·

على أن لغة الفن الاعلامى تقوم على الوظيفية الهادفة والوضوح والاشراق ، وتكاد تكون فنا تطبيقيا قائما بذاته ، فالفن الصحفى الاعلامى تعبير اجتماعى شامل ، ولغته ظاهرة مركبة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافى من علم وفن وموسيقى وفن تشكيلى الخ · هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والموضوعات العامة · ومن ذلك يبين أن الفن الصحفى والاعلامى بوجه عام فن تطبيقى يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعانى والأفكار اليهم فهو أداة وظيفية ، وليس فنا جماليا يقصد لذاته · ذلك أن لوسائل الاعلام وظائف محددة : هى الاعلام والتفسير والتوجيه والتسويق والاقناع والتنشئة الاجتماعية · ومع ذلك فلغة الفن الاعلامى تختلف عن كل هذه جميعها لأنها تتضمنها كلها ، ولا تقتصر على أى منها ، لأن جمهور المستقبلين ليسوا قطاعا واحدا من الناس ولكنهم فى الغالب كل الناس ، ولأن الاعلامى يرسل لكل الناس فى كل الأوقات ــ وليس لجزء من الناس فى كل الأوقات أو لكل الناس بعضا من الوقت ــ فانه يجب عليه أن يجاهد لتحقيق هدفه بوجه عام وهو جعل رسالته مفهومة لدى الجميع ·

١ ــ بلاغة الكلام : الرسالة الرمزية :

هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ·

والحال هو الأمر الداعى للمتكلم الى أن يعتبر مع الكلام الذى يؤدى به أصل المراد خصوصية ما ، سواء كان ذلك الأمر داعيا له فى نفس الأمر أو غير داع فى نفس الأمر بل بتنزيل ، فالحال هو الأمر الداعى مطلقا ، أما ظاهر الحال فهو الأمر الداعى فى نفس الأمر لاعتبار المتكلم خصوصية ما ، فهو أخص من الحال ·· والخصوصية هى مقتضى الحال ·

---

(١) المرجع السابق ص ٤٥ ·

مثلا : انكار المخاطب للحكم حال يقتضى تاكيده ، والتاكيد مقتضاها ، ومعنى مطابقته له أن الحال ان اقتضى التاكيد كان الكلام مؤكدا ، وان اقتضى الاطلاق كان الكلام عاريا عن التاكيد ، وهكذا ان اقتضى حذف المسند اليه حذف ، وان اقتضى ذكره ذكر ، الى غير ذلك من التفاصيل المشتمل عليها علم المعانى ·

فالانكار حال ، والتأكيد مقتضى ، وقولك « ان زيدا فى الدار » ، مؤكدا بأن كلامه مطابق لمقتضى الحال ، يعنى انه مشتمل عليه ، اذ هذا المثال مشتمل ، على التاكيد ·

ومقتضى الحال مختلف ، فان مقامات الكلام متفاوتة : فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين مقام خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يباين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكى يباين خطاب الغبى ·

وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام ·

٢ ـ وأما بلاغة المتكلم (المرسل) :

فهى ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ ·

مراتب البلاغة :

وللكلام البليغ مراتب : أعلاها ما يصل الى حد الاعجاز أو ما يقرب منه ، مما يتبينه الأدباء فى كلام الله تعالى وكلام رسوله الكريم ·· ودون ذلك مراتب كثيرة ، تتفاوت فيها أقدار البلغاء ، من الكتاب والشعراء ورجال الأدب ·· كما يفضل النسج النسج ، والصياغة الصياغة ، ويعظم الفضل فى ذلك ، وتكثر المزية ، حتى يفوق الشىء نظيره ، وتتفاوت القيم تفاوتا شديدا ، كذلك يفضل بعض الكلام بعضا ، ويترقى بمنزلة فوق منزلة لخصائص يصادفها فى سياق لفظه ، ورقة معانيه ·

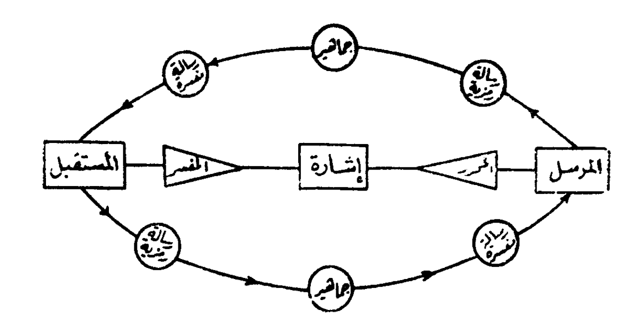
ولا سبيل الى ذلك الا بالنظر فى كلام العرب ، وتتبع شعارهم ، ودراسة علوم البلاغة ، لتتعرف فيها تلك الخصوصيات التى تكسب الكلام فخامة وجمالا ·

النسبة بين الفصاحة والبلاغة

١ ـ البـلاغة فى الكلام مرجعها الى : الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره ٠

فكل بليغ ـ كلاما كان أو متكلما فصيح ، وليس كل فصيح بليغا ٠

٢ ـ وهناك فرق آخر بين الفصاحة والبلاغة ، فالفصاحة يوصف بها المفرد والكلام ، (الرسالة الرمزية) والمرسل فقط ، فلا يقال : لفظ بليغ ٠



ويوضح هذا النموذج الدورة البلاغية من المرسل الى المستقبل ، والتى تتضمن كل عناصر البلاغة الجديدة : المرسل ـ المحرر ـ الاشارة ـ المفسر ـ المستقبل ـ الرســالة الرمزية ٠٠ على النحو الذى يجعل البلاغة الجــديدة تحــرص على عملية الاتصـــال البلاغى بالجمـــاهير ككل ، وبحيث تصبح « الرسالة » البلاغية مجرد عنصر من عناصر يتناغم مع غيره من العناصر فى البلاغة الجديدة ٠

الباب الرابع

علوم البلاغة

علوم بلاغية :

تتبع بلاغة الكلام وجوه آخر سوى المطابقة والفصـاحة تورث حسنا ، وأنما تعد محسنة بعد رعاية المطـابقة والفصاحة ، وهى تابعة لبلاغة الكلام دون المتكلم ، لأنها ليست مما تجعل المتكلم متصفا بصفة وتسمى علم البديع ٠

فالبلاغة فى الكلام مرجعها الاحتزاز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، والا لربما أدى المعنى المراد بلفظ فصيح غير مطابق لمقتضى الحال فلا يكون بليغا ، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، والا لربما أورد الكلام المطـابق لمقتضى الحال بلفظ غير فصيح فلا يكون أيضا بليغا لوجوب وجود الفصاحة فى البلاغة ، ويدخل فى تمييز الكلام الفصيح من غيره تمييز الكلمات الفصيحة من غيرها لتوقفه عليها ٠

وتمييز الفصيح من غيره بعضه يبين فى علم متن اللغة كالغرابة ، بمعنى ان من تتبع الكتب المتداولة وأحاط بمعانى المفردات المأنوسة علم ان ما عداها مما يفتقر الى تنقير أو تخريج فهو غير سالم من الغرابة ، أو فى علم التصريف كمخالفة القياس اذ به يعرف أن الاجلل مخالف للقياس دون الاجل ، أو علم النحو كضعف التأليف والتعقيد اللفظى ، أو يدرك بالحس كالتنافر اذ به يعرف أن مستشزرا متنافر دون مرتفع ، وكذا تنافـر الكلمات وهو ما عـدا التعقيد المعنوى ٠

فعلم ان مرجع البلاغة بعضه مبين فى العلوم المذكورة وبعضها مدرك بالحس وبقى الاحتزاز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد والاحتزاز عن التعقيد المعنوى فمست الحاجة الى وضع علمين مفيدين لذلك فوضعوا علم المعـانى للاول ، وعلم البيان للثـــانى ٠٠ فما يحتـــرز به عن الخط فى تأدية المعنى المـراد هو علم المعـانى ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوى هو علم البيان ، وسموا هذين العلمين علم البلاغة لمكان مزيد اختصاص لهما بالبـلاغة وأن كانت البلاغة تتوقف على غيرهما من العلوم ، ثم احتاجوا لمعرفة توابع البلاغة الى علم أخر ، فوضعوا لذلك علم البديع ، فما يعرف به وجوه التحسين هـو علم البديع ٠

شواهد لمطابقة الكلام لمقتضى الحال :

١ ــ اذا أردت أن تنفى عن نفسك فعـل شىء من غير أن تشير الى أن غيرك فعله ، قلت : « ما فعلت » فاذا أردت أن تشير الى أن غيرك فعله تقول :

« ما انا فعلت » ، فانت قد جعلت لكل معنى من هذين مقالا على وفقه ، وطابقت بقولك مقتضى الحال ·

٢ ـ وقال تعالى فى سورة الجن :

« **وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض ام اراد بهم ربهم رشدا** » ·

ففعل الارادة جاء مع الشر على صورة المبنى للمجهول ، ومع الرشد على صورة المبنى للمعلوم ، والحال الداعية الى بناء الاول للمجهول ـ التاديب فى جانب الله تعالى بعدم نسبة الشر صراحة اليه ، وان كان الخير والشر مما قدره الله تعالى واراده ·

٣ ـ اذا قلت : « على الله أعتمد ، فقد أردت ان تقصر اعتمادك على الله وحده ، ودللت على ذلك بتقديم « على الله » على الفعل « اعتمد » ، ولو قلت : أعتمد على الله » لم يكن فى قولك ما يدل على قصر اعتمادك على الله ، فارادة القصر ، على ابسط الصور الدالة عليه ، حال دعت الى تقديم الجار والمجرور على الفعل ·

شواهد للكلام البليغ :

١ ـ قال الله تعالى فى الرد على من أنكر البعث : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم · قل يحييها الذى انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم · الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون ، أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم · انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » ·

تناولت هذه الآيات الكريمة اثبات البعث ، والرد على من أنكره فى أبلغ صورة وأوفى حجة ، وقطعت على المنكرين سبيل الدفاع عن رأيهم الباطل ، وحجتهم الداحضة ، فان القادر على بدء الخلق لا يعجزه أن يعيده لان الاعادة ليست بأصعب عند ذوى العقول من الابتداء · وقد زاد الله هذه الحجة قوة ووضوحا ، فذكرهم بقدرته على اخراج النار مما ينبت من الماء ، والماء والنار من خلق الله ، فمن قدر على ذلك فليس بمنكر عليه أن يعيد ما أفناه ، ثم قوى هذه الحجة وزادها شرحا وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد بما نبه اليه ، من

أن اعادة الناس بعد الموت ليست أصعب من خلق السموات والارض ابتداء ٠ وفى ذلك يقول الله تعالى فى آية أخرى :

« لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون » ٠

ثم اثبت سبحانه وتعالى لنفسه القدرة المطلقة ، والارادة النافذة ، فى قوله تعالى :

« **انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون** » ٠ ودل على أن كل المخلوقات ملكه ، وان مصير الناس اليه بقوله : « **فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون** » ٠ فما ترك زيادة لمستزيد ، ولا حجة لمعاند مكابر ٠ وهذا النوع من البلاغة لا تصل اليه قدرة الناس وأن اجتمعوا له :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ٠

٢ ـ وقال بعض الكتاب يمدح أميرا :

« مثلك أوجب حقا لا يجب عليه ، وسمح بحق وجب له ، وقبل واضح العذر واستكثر قليل الشكر ، لازالت اياديك فوق شكر اوليائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك » ٠

فانظر كيف وصف ممدوحه فأجاد صفته ، فهو كريم يرى العطاء فرضا ويتجاوز عما وجب له من الحقوق ، ويقبل عذر المعتذر ويرى ما قل من الشكر كثيرا فى جنب عطائه ٠

ثم هو بعد ذلك يدعو للممدوح ان تكون نعمه دائمة لاوليائه ، تزيد على شكرهم وتربو على ثنائهم ، وان تكون نعم الله تعالى عليه فوق مايؤملون له ، ويرجون عنده ٠

وكل ذلك فى عبارة متخيرة ، ونسق جميل دل على بلاغة الكاتب ، وتمكنه من صناعته ٠

٣ ـ ومن جوامع كلم النبى صلى الله عليه وسلم : « كفى بالسلامة داء » ٠ والمعنى ان الرجل اذا طالت به الحياة ، وامتد العمر ، كان طول حياته سببا فى كبره ، وضعف صحته ، وعجزه عن القيام بأموره ، ولقد يمتد به ذلك حتى

يصير عجزا عن القيام والقعود ، وتناول الطعام والشراب ، والاستمتاع بما يقع تحت بصره من دواعى السرور والفرح ٠ أفليس هذا داء لا دواء له الا ان يستريح الجسم الفانى من متاعب الحياة ، ويذهب الى ربه ٠

ولقد جمع الحديث الشريف هذه المعانى فى ثلاثة الفاظ ، فما نقص منها شيئا وهذا ما أراده بعض الحكماء بقوله : « البلاغة قول يسير ، يشتمل على معنى خطير » ٠ وعبر عنه الاخر بقوله : « البلاغة علم كثير فى قول يسير » ٠

وأول من نطق بهذا المعنى : النمر بن تولب ، احد شعراء العصر الجاهلى اذ يقول :

يود الفتى طـول السـلامة والغنى
فكيف تـرى طول السلامة يفعـل

يرد الفتى بعـد اعتـدال وصحة
ينوء اذا رام القيـام ويحمـل

وقـال حميد بن ثور :

ارى بصرى قـد رابنى بعـد صحة
وحسـبك داء ان تصـح وتسـلما

وقال آخر :

ودعـوت ربى بالسـلامة جـاهدا
ليصـحنى فـاذا السـلامة داء

وقال ابن الرومى :

لعمـرك ما الدنيـا بدار اقـامة
اذا زال عن نفس البصير غطاؤها

وكيف بقـاء العيش فيهـا وانمـا
ينـال بأسباب الفنـاء بقـاؤها

وقد جاء ابن الرومى غامضا مبهما ، يحتاج الى كد الذهن ، وطول الفكر فانه يريد بقوله : « وانما ينال بأسباب الفناء بقاؤها » ٠ ان الانسان انما ينال البقاء طويلا فى الدنيا بامتداد عمره ، وهذا الامتداد هو سبب الفناء ، لأن للعمر

نهـاية ، وكل يوم يمر منه يقرب هذه النهاية مهما تكن بعيدة لأن واحدا مـن ايام الحياة المعدودة ، ينقص عددها ، ويقرب اخرها ٠

وقريب من هذا قول محمد بن على رضى الله عنهما :

« مالك من عيشك الا لذة تزدلف بك الى حمامك ، وتقـربك من يومك ، فتأمل امرك ، فكأنك قد صرت الحبيب المفقود ، أو الخيال المخترم » ٠

٤ ــ وقال المأمون لأم الفضل بن سهل بعد قتله اياه : « أتجزعين ولك ولد مثلى ؟ » قالت : « لا اجزع على ولد أفادنى اياك ! » فانظر كيف أراد ان يلزمها الحجة فى ترك الجزع بأنه بمنزلة الولد » وفى مثله وهو امير المؤمنين كفـاية من الحاجة ، ورادع عن الحزن ٠ ولكنها جاءت بما هو أبلغ فى الحجة وآثر عند المفاضلة ، اذ قلت له : « ان بنوتك لى لم تجىء الى الا من ناحيته ، فهـذا الخير الذى اجتنيه من بنوة أمير المؤمنين ــ خير ورثنيه من أبكيه ، وفضله ظاهر فيه ، فهو ببكائى لذلك جدير » ٠

٥ ــ وقال المأمون ليحيى بن أكثم القاضى : « صف لى حالى عند الناس » ٠ فقال : « يا أمير المؤمنين ، قد انقادت لك الأمور بأزمتها ، وملكتك الامة فضول أعنتها ، بالرغبة اليك ، والمحبة لك ، والرفق منك ، والعياذة بك ، بعدلك فيهم ، ومنك عليهم حتى لقد انسيتهم سلفك ، وآيستهم خلفك فالحمد الله الذى جميعنا بك بعد التقاطع ورفعنا فى دولتك بعد التواضع » ٠ فقال : « يا يحيى ، أتحبيرا ام ارتجالا ؟ » قال يحيى : وهل يمتنع فيك وصف ، ويتعذر على مادحك قول ، أو يفحم فيك شاعر ، أو يتلجلج خطيب ؟ » ٠

٦ ــ ودخل اعرابى على المنصور فتكلم ، فاعجب بكلامه ، فقال : « سل حاجتك » ٠ فقال : « يبقيك الله ، ويزيد فى سلطانك » ٠ فقال : « سل حاجتك ، فليس فى كل وقتتؤمربذلك » ٠ فقال : « ولم يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما استقصر عمرك ، ولا اخاف بخلك ، ولا أغتنم مالك ، وان سؤالك لشرف ، وان عطاءك لزين ، وما بامرىء بذل وجهه اليك نقص ولا شين » ٠

فانت ترى أن كلا من يحيى والاعـرابى قـال على البديهة قولا جميلا ، اجاد فى وصف ممـدوحه ، فبلغ الغاية ، وأحرز قصب السبق ، وجـرى فى قوله جريان السيل ، وانصب انصباب القطر ٠

٧ ـ ومن جيد الشعر قول معن بن اوس :

لعمـــرك ما أهـــويت كفى لريبـــة
ولا حمـــلتنى نحـــو فاحشة رجلى

ولا قادنى ســـمعى ولا بصرى لهـــا
ولا دلنى رأيى عليهـــا ولا عقـــلى

واعـــلم انى لم تصـــبنى مصيبة
من الدهر الا قد اصابت فتى قبلى

ولست بمـــاش ما حييت لمنـــــكر
من الأمـــر لا يمشى الى مثله مثلى

ولا مؤثر نفسى عـــلى ذى قـــرابة
واوثر ضيفى ما أقـــام على أهلى

فقد وصف نفسه فى شعره بصفات من الكمال ، سردها فى أسلوب عذب سائغ لا يكد ذهنا ، ولا يستوجب تفـكيرا ، فهو يقول : ان يديه طاهرتان مـن الدنس ، وان قدميه لا تسيران به الى ما يثلم العرض ، ويستوجب الذم ، وان سمعه وبصره ورأيه وعقله لا تقوده الى مواطن الشبه ، ولا تحمله الى أماكن الويب · ويقول : انه ممن يشاطرون ذوى القربى أموالهم ، ويؤثرون ضيوفهم على أهلهم ، فبسط طهارته وكرمه فى ابياته بسطا سائغا جميلا ·

٨ ـ ومما هو جيد فى رصفه قول العباس بن الاحنف :

اليـــك اشـــــكو رب ما حـــل بى
من صـــد هـــذا التـــــائه المعجب

ان قـــال لم يفعـــــل وان سيل لم
يبـــــــذل وان عوتب لم يعتـــب

صب بعصـــــــيانى ولو قـــال لى
لا تشرب البــــــــــارد لم أشرب

فانظر كيف وصف صـــاحبه بالاعراض ، وعـــدم الشـــفقة ، والمبالغة فى الهجر ، حتى كأنه مغرم بالمخالفة ، مع شدة طاعة الشاعر لصاحبه ، وحرصه على ارضائه ، ولو كان فى ذلك ما يشق احتماله · فجاءت ابياته الثلاثة كما قال بعض الادباء : « هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع القليل النظير العزيز الشبيه ، المطمع ، البعيد مع قربه ، الصعب فى سهولته » ·

٩ ــ ومن جيد الشعر قول البحترى يمدح جعفراً :

ايهـا الراغب الـذى طلب الجـو
د فابـلى كـوم المطــايا وانضى

رد حيــاض الامـــام تلق نوالا
يسمع الراغبين طـولا وعرضـــا

فهنـاك العطــاء جـــزلا لمن را
م جزيل العطاء والجـود محضا

هوانـدى من الغمــــام واوحى
وقعـــات مـن الحســام وامضى

يتوخى الاحسـان قـــولا وفعـلا
ويطيــع الالـه بســطا وقبضـــا

١٠ ــ وقوله من قصيدة أخرى يمدحه :

خلق الله جعفرا قيم الدنيا سدادا وقيم الدين رشدا
اكرم الناس شيمة وأتم الناس حلما ، وأكثر الخلق رفدا

هو بحـر السماح والجـود فازدد
منه قربا ، تـزدد من الفقـر بعـدا

ياثمـال الدنيــا عطــاء وبذلا
وجمـال الدنيا ثنــاء ومجــدا

ابق عمـر الزمـان حتى نـؤدى
شكر احســانك الـذى لا يـؤدى

— ١ —

اراء ماثورة فى البــلاغة

لبشر بن المعتمر فيما يجب ان يكون عليه الخطيب والكاتب رســالة من الرسائل الادبية البليغة ، جمعت حدود البلاغة ، وصورتها احسن تصوير ، وسنذكر بعضها مع شيء من الايجاز قال :

« خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرا ، واشرف حسبا ، واحسن فى الاسماع ، واحلى فى الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة : من لفظ شريف ، ومعنى بديع ٠ واعلم ان ذلك اجــدى عليــك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة ٠

واياك والتوعر (١) ٠ فان التوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد هــو الذى يستهلك معانيك ، ويشين الفاظك ٠ ومن اراد معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ٠٠

وكن فى ثلاث منازل : فان أولى الثلاث ان يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما ســهلا ، ويكون معنــاك ظاهرا مكشوفا ، وقريبا معروفا ، أما عنــد الخاصة ان كنت للخاصة قصدت ، واما عند العامة ان كنت للعامة اردت ٠ والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة ٠ وانما مدار الشرف على الصواب واحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقــام من المقــال ٠ وكذلك اللفظ العــامى والخاصى ٠ فان امكنك ان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك — على ان تفهم العــامة ، معانى الخــاصة وتكسوهــا الألفاظ الواسطة (٢) التى لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الاكفاء ، فانت البليغ التــام ٠

---

(١) التوعر : التعبير بالألفاظ التى يصعب فهمها ٠

(٢) التى فوق السهل ودون الصعب ٠

فان كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ، ولا تسنح لك عند أول نظرك ، وفى أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ، ولم تصل الى قرارها والى حقها من اماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحل فى مركزها وفى نصابها ، ولم تصل بشكلها ، وكانت قلقة فى مكانها ، نافرة من موضعها ـ فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن ، والنزول فى غير اوطانها فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور ، لم يعبك بترك ذلك أحد ، وان انت تكلفته ولم تكن حاذقا مطبوعا ، ولا محكما لسانك ، بصيرا بما عليك أو ما لك ـ عابك من انت أقل عيبا منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك ٠

فان ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة ، وتعصى عليك بعد اجالة الفكرة ، فلا تعجل ولا تضجر ، ودعه بياض يومك أو ليلك ، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ، ان كانت هناك طبيعة ، أو جريت من الصناعة على عرق ٠

فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، ومن غير طول اهمال ـ فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك واخفها عليك ٠٠٠ لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع المحبة والشهوة ٠ فهكذا هذا ٠

وينبغى للمتكلم ان يعرف اقدار المعانى ، ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعانى ويقسم اقدار المعانى على المقامات ، واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات » ٠

— ٢ —

وقال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى فى كتاب الصناعتين : « الكلام ـ ايدك الله ـ يحسن بسلاسته ، وسهولته ونصاعته وتغير لفظه ، واصابة معناه ، وجودة مطالعة ، ولين مقاطعه ، واستواء تقاسيمه ، وتعادل اطرافه ، وتشابه اعجازه بهواديه ، وموافقة مآخيره لمباديه ، مع قلة ضروراته ، بل عدمها أصلا ، حتى لا يكون فى الالفاظ أثر ، فتجد المنظوم مثل المنثور فى سهولة مطلعه ، وجودة مقطعه ، وحسن رصفه وتأليفه ، وكمال صوغه وتركيبه ، فاذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقا ، وبالتحفظ خليقا ـ كقول الأول :

هم الاولى وهبوا للمجد أنفسهم
فما يبالون مانالوا اذا حمدوا

وقول الآخــر :

ولست بنظـــار الى جانب الغنى
اذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وقول النابغــة :

ولست بمســـتبق اخــا لا تلمه
على شعث أى الرجـــال المهذب

فاذا كان الكلام قد جمــع العذوبة والجــزلة والسهولة والرصانة مــع السلاسة والنصاعة ، وسلم من حيف التأليف ، وبعــد عن سماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يرده ، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجه · والنفس تقبل اللطيف ، وتنبو عن الغليظ ···

والفهم يانس من الكلام بالمعروف ، ويسكن الى المالوف ، ويصغى الى الصواب ، ويهرب من المحال ··· ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب والروية الفاسدة ·

والفهم يانس من الكلام بالمعروف ، ويسكن الى المالوف ، ويصغى الى الصواب ، ويهرب من المحال ··· ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب والروية الفاسدة ·

ولاخير فى المعانى اذا استكرهت قهرا ، والالفاظ اذا اجترت قسرا ، ولا خير فيما اجيد لفظه اذا سخف معناه ، ولا فى غرابة المعنى الا اذا شرف لفظه مع وضوح المغزى ، وظهور المقصد ·

وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا عــلى معنــاه الا بكد ، ويستفصحونه اذا وجدوا الفاظه كزة غليظة وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا حلوا ، وعذبا سهلا ، ولم يعلموا ان السهل امنع جانبا ، واعز مطلبا ، وهو احسن موقعا ، واعذب مستمعا ، ولهذا قيل : « اجــود الكلام السهل الممتنع » ·

ووصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة ، فقال : « هو أبلغ الناس · ومن بلاغته ان كل أحد يظن انه يكتب مثل كتبه ، فاذا رامها تعذرت عليه ·

ومما ذكره صاحب الصناعتين نتبين ان جمال الكلام وبلاغته يجيئـان من جهتين :

١ ـ ناحية المعنى ، بأن يكون حسنا مقبولا ، مدلولا عليه بما يوضحه ·

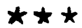
٢ ـ ناحية اللفظ ، بأن يكون متخيرا متناسقا ، قد وضعت كل لفظة منـه فى مكانها المناسب ، وارتبطت بما قبلها وما بعدها ارتباط اخوة وألفة وتناسب فى غير زيادة مملة ، ولا نقص مخل ·

— ٣ —

وقال ابن وهب فى كتابه « البرهان » :

« حدها عندنا انها القول المحيط بالمعنى المقصود ، مع اختيار الكلام ، وحسن النظام ، وفصاحه اللسان ، وانما اضفنا الى الاحاطة بالمعنى اختيار الكلام ، لأن العامى قد يحيط قوله بمعناه الذى يريده ، الا أنه بكلام مر ذول من كلام امثاله ، فلا يكون موصوفا بالبلاغة · وزدنا فصاحة اللسان ، لأن الاعجمى واللحان قد يبلغان مرادهما بقولهما فلا يكونا موصوفين بالبـلاغة · وزدنا حسن النظام ، لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتى على المعنى ، ولا يحسن ترتيب الفاظه ، وتصيير كل واحدة منها مع ما يشاكلها ، فلا يقع ذلك موقعه ·

وقال أيضا : البلاغة ثلاثة مذاهب : المساواة ، وهو مطابقة اللفظ للمعنى لا زائدا ولا ناقصـا · والاشـارة ، وهو ان يكون اللفظ كاللمحـة الدالـة · والتذييل ، وهو اعـادة الالفـاظ المترادفة عـلى المعنى الواحد ، ليظهر لمن لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه » ·



— ٤ —

وسأل معاوية بن ابى سفيان صحارا العبدى : ما البلاغة ؟ قال : « ان تجيب فلا تبطى ، وتصيب فلا تخطى » ·

وقال الفضل : « قلت لاعرابى ما البلاغة » ؟ قال : « الايجـاز فى غير عجز ، والاطناب فى غير خطل » ·

★★★

وسائل الاعلام امتدادات بلاغيه :

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول أن وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير كامتداد تكنولوجى للغة بمفهومها العام ؛ قد جاءت كامتدادات بلاغية لتعطى للبلاغة مفهوما أشمل يرتبط بمصطلح « الاتصال » كما تقدم ؛ ولكى تؤثر تأثيرا اجتماعيا خطيرا ٠

فلما كان الانسان يستطيع خلق الرموز فانه يمتلك قدرات لا تمتلكها الحيوانات الأخرى كالقدرة على التعبير عن الأهداف والمعانى والرغبات المركبة ، ومن ثم القدرة على تغيير اشكال الحياة الاجتماعية ٠ وهكذا فان الاتصال هو حامل العملية الاجتماعية التى تعتمد على تجميع المعلومات وتبادلها ونقلها ٠ ولا يستطيع ان ينجز أى تنظيم اجتماعى ، بدائيا كان أو غير بدائى بدون اتصال ٠ وبدون اتصال يظل المجتمع راكدا ومبنيا على السلوك الغريزى الذى لا يختلف كثيرا عن مجتمعات الحيوانات ٠

فليس غريبا أن يؤكد جون ديوى John Dewey انسانية الاعلام ويعزو استمرار المجتمع الى استمرار الاعلام ، ويذهب الى أبعد من ذلك حين يقول ان قيام المجتمع الانسانى مبنى على الاتصال البشرى أو الاعلام بوجه عام ٠ فالاتصال أو الاعلام هو حجر الزاوية لقيام المجتمع الانسانى وظهور قيمه ومؤسساته ٠

ويذكر هارولد لاسويل Lasswell أن كل مجتمع سواء كان بدائيا أو متقدما لابد وأن يحقق فيه الاعلام ثلاثة أهداف هى : مراقبة البيئة ، وربط أوامر المجتمع ، واستجابته للبيئة ، ونقل التراث الاجتماعى وتوارثه ، ثم جاء ولبرشرام فلخص هذه الأهداف بقوله انها الرقابة والتجمع والتعليم وأضاف اليها الترفيه ٠

ومن أهم الذين أسهموا فى شرح العلاقة بين الاعلام والمجتمع عالم الاقتصاد الكندى هارولد ادمز انيس Harold Adams Innis الذى اصبح فيما بعد مفكرا اعلاميا واسع الصيت ، ويؤكد هذا العالم ان طبيعة الجهاز الاعلامى تؤثر على طبيعة المجتمع نفسه ٠ فهو يقول مثلا ان الكتابة على الجلد أو الرق فى العصور الوسطى كان معناها حصر المعرفة فى نطاق ضيق ، وخلق ارستقراطية ثيوقراطية دينية فكرية ٠فى حين أن اختراع الورق بثمنه الزهيد

قد أدى الى انتشار المعرفة على نطاق واسع وكان من الطبيعى أن تنتقل السلطة من أيدى كبار رجال الدين الى الطبقة الوسطى من المدنيين ٠

ثم يقول ان تطور حركة الاصلاح الدينى تعزى الى الطباعة ، وكذلك تطور الأدب الشعبى ، كما أن نشوب الثورة الصناعية كان معناه التبشير بالديمقراطية ، ثم اختراع الطباعة والاذاعة والتليفزيون معا أدى الى ظهور طبقات البروليتاريا التى أخذت تسود العالم من خلال النظرة الاشتراكية المعاصرة ٠

ومن أشهر نظريات الاعلام الحديثة نظرية ماكلوهان McLuhan الذى اكتشف معنى الطباعة باعتبارها وسيلة للاعلام الجماهيرى ٠ ويقول ماكلوهان أن المجتمع يعيش مرحلة شفوية قبل اختراع الأبجدية أو الألف باء ٠ وعندما ظهرت حروف الكتابة كان معنى ذلك تحول الحضارة الشفوية الى حضارة بصرية ٠ ويذهب ماكلوهان الى أن اختراع الحروف المتفرقة فى الطباعة قد جعل الانسان يطور الفهم على أساس الخطوط المتصلة المتلاحقة والمستمرة ٠

وعندما جاء عصر الكهرباء زالت حدود المكان والزمان وخاصة بالنسبة للتليفزيون الذى أكد تعدد الأحاسيس البصرية والسمعية وخضوعها جميعا للتأثير فى وقت واحد ٠ ولعل أشهر عبارة قالها ماكلوهان : ان « الرسالة هى الوسيلة » ، والتى تعنى أن المجتمع يتشكل عن طريق طبيعة الوسيلة الاعلامية نفسها وليس مجرد الرسائل الاعلامية ٠ وبعبارة أخرى تصبح الطباعة نفسها أهم من الرسائل المطبوعة ، كما أن التليفزيون فى حد ذاته كوسيلة أهم من جميع ما يذاع من خلاله ٠

ويذهب ماكلوهان الى أن وسائل الاعلام من أهم العوامل المؤثرة فى تشكيل الحضارات ٠ وفى رأيه أن حروف الطباعة المتفرقة هى المسئولة عن خط الانتاج فى عالم الاقتصاد وهى المسئولة أيضا عن فلسفة نيوتن وفلسفة ديكارت ، وفيهما تصور للحدث الطبيعى فى المكان والزمان ٠

غير أن كثيرا من العلماء لا يذهبون مذهب ماكلوهان فى اعتبار وسائل الاعلام ذات أثر هائل ، ومع ذلك فهم لا ينكرون أن للاعلام دوره الخطير فى الضبط الاجتماعى ، ومساندة النظام السياسى ، وشتان بين هذا الاتجاه وغيره من الاتجاهات الليبرالية التى تعتبر الاعلام قوة تحريرية مقاومة للجهل والطغيان والغيبيات ومعضدة للعقلانية والضمير الانسانى والوجدان السليم ٠

غير أن النظريات الحديثة لا تذهب مذهبا مثاليـا · وان كانت لا تنكر المهمة التنويرية للاعلام ·

فالعالم كلابار Klapper مثلا يرى أن الاعلام يحقق هندسة الاتفاق او التأييد ، ولعله قد أخذ عبارته من كتاب ادوارد بيرنيز Edward Bernays خبير العـلاقات العـامة بعنـوان The Engineering of Consent بحذافيرها · وليس معنى هندسة الرضاء او الموافقة او التأييد أن يكون العمل الاعلامى ضارا أو منحرفا أو خبيثا ، فمن الممـكن كسب الرضاء او الثقـة بالنسبة لقضايا خيرة بطبيعتها ·

ومن الواضح أن المجتمعات الحـديثة سواء فى الشرق الاشـتراكى او الغرب الليبرالى قد أخذت تهتم بدور الاعلام فى هندسة الثقة والرضاء كما أنها أخذت فى الابتعـاد عن استخدام العنف واستبدلته بالاقناع والايحاء ·

ومع ذلك فـان جمهـرة العلمـاء من أمثـال لازرسفيلد Lazarsfeld ومرتون Merton وكلابار Klapper لا يعتبرون أجهزة الاعلام ذات أثـر هائل ، وهم يرون أن أجهزة الاعلام تعمل فى المجتمع بطريقة تكمل المؤسسات الاجتماعية الأخـرى كالأسرة والمسجد والأصـدقاء والمدرسة والجامعـة والنادى وغيرها · ويذهب الناس الى أجهزة الاعلام ليروا ما يريدون رؤيتـه لا ما تريد الأجهزة الاعلامية أن تعرضه · ومن المؤكد أن الاعلام له تأثيره فى المجتمع ، ولكن هذا التأثير لابد أن تؤيده عوامل أخرى بعضها نفسى وبعضها اجتماعى ·· وفى غيبة هذه العوامل لا يكون تأثير الاعـلام عارما كمـا كان البعض يتوهمون فى منتصف هذا القرن ·

مما تقدم يمكن أن نذهب الى أن البلاغة الجديدة تتميز بـ :

١ ــ انها غير مباشرة بمعنى أن هناك أجهـزة ضـخمة باهظة التكاليف معقدة الادارة كالمطابع ودور النشر ومحطات الاذاعة واستوديوهات السينما · وهذه الأجهزة هى وسائل لنقل المعلومات والقيم بين المرسل والمستقبل ، على العكس من الاتصـال الشخصى الـذى يكون فيه الاتصـال مباشرا بين المرسل والمستقبل او الجماهير ·

٢ ــ انها تصل الى الكتل الجماهيرية العريضة Masses ، حتى ليمكن القول دون مبالغة أن البلاغة الجديدة بفضـل وسـائل الاعـلام أصبحت على مستوى كوكبى ، فالكرة الأرضية على حد قول مارشال ماكلوهان قد أصبحت « قرية الكترونية » ·

٣ ـ يتم الاتصال بسرعة مذهلة بل ان الاعلام يجرى أثناء وقوع الأحداث نفسها ، فالماجريات البرلمانية لا تغطى بعد حدوثها ، بل تغطى أثناء حدوثها وينطبق نفس الشىء على المحـاكمات ومباريات كرة القـدم ومباريات الرياضة بوجه عام ، وفى الأولمبياد الأخير ، كانت مباريات ميونيخ تشاهد فى الكويت وفى دلهى بوضوح ، ونفس الشىء بالنسبة للأردن والمغرب مثلا ٠ ومن المنتظر أن يتم صنع القمر الصناعى العـربى للاتصالات الاذاعية فى السنوات القليـلة القـادمة ٠

٤ ـ يضطر القائم بالاتصال الى افتراض انسان متوسط الثقافة يوجه اليه رسالته ، ولكن هذه المتوسطات متعددة ومن هنا جاءت الميزة البلاغيـــة المتعددة هى الأخرى ٠

ولا يعتبر ذلك ترفعا أو تعاليا أو تجزيئا للمجتمع بحال من الأحـوال ، وانما يتسم بالواقعية والعلمية ٠ فمن الضرورى أن يكون المجتمع نصب عين علم البلاغة الجديدة يدرس صفاته وخصائصه ويتبين مزاياه ومكوناته ٠

الباب الخامس

علم المعانى فى البلاغة العربية

علم المعـــانى

هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال ٠
المقصـود من علم المعـانى :

ثم المقصود من علم المعـانى منحصر فى ثمانية أبواب :

أولهـا : احـوال الاسناد الخبرى ٠

وثانيها : احوال المسـند اليه ٠

وثالثها : احـوال المسـند ٠

ورابعها : احوال متعلقات الفعـل ٠

خامسها : القصر ٠

سادسها : **الانشاء**

سابعها : الفصـل والوصل ٠

ثامنهـا : الايجاز والاطناب والمساواة ٠

ووجه الحصر ان الكلام اما خبر او انشاء ، لأنه اما ان يكون لنسـبته خارج تطابقة أو لا تطابقه ٠ أولا يكون لها خارج ٠٠٠ الأول الخبر ، والثانى الانشاء ، ثم الخبر لابد لـه من اسـناد ومسـند اليه ومسند ، واحوال هـذه الثلاثة هى الابواب الثلاثة الأولى ، ثم المسند قد يكون له متعلقات اذا كان فعلا أو متصلا به كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع : ثم الاسناد والتعلق كل واحد منهـا يكون امـا بقصر أو بغير قصر ، وهـذا هو الباب الخامس : والانشاء هو الباب السادس ثم الجملة اذا قرنت بأخرى فتكون الثانية امـا معطوفة على الأولى أو غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع ، ولفظ الكلام البليغ اما زائد على اصل المراد لفائدة ، أو غير زائد عليه ، وهذا هو البـاب الثـامن ٠

الخبر والانشــاء

الكلام اما خبر ، واما انشاء ، فالخبر : كلام يحتمل الصدق والكذب ، نحو قولك : هو كالأسد بأسا ، والبحر جودا ، والسيف مضاء ٠ فقد تكون النسبة الكلامية المفهومة من هذه الجملة مطابقة لما فى الخارج فيكون الخبر صادقا ، أو غير مطابقة له ، فيكون الخبر كذبا ، والمخبر به كاذبا ٠

والانشاء : هو الكلام الذى لا يحتمل الصدق والكذب (١) نحو : جد فى عملك ٠ ونحو : ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعــا !

فانت فى المثال الأول تطلب من المخاطب الاجتهاد وفى الثانى تتعجب من حسن الدين والدنيا مجتمعين ٠ وليس الطــلب والتعجب مما يحتمل صــدقا ولا كذبا ٠

ولكل جملة ركنان :

١ ــ محكوم عليه أو مخبر عنه ، ويسمى (مسندا اليه) ، وذلك : كالفعل ، ونائبه والمبتدأ الذى له خبر ، واسم ان وكان واخواتهما ، والمفعول الأول من ظن واخواتها ٠

٢ ــ ومحكوم به أو مخبر به ويسمى (مسندا) وذلك : كالفعل وخبر المبتدأ ، وخبر كان وأخوتها ، والمبتدأ المكتفى بمرفوعه ، واسم الفعل ٠

وما زاد عــلى ذلك فهــو قيــد فى الجمــلة ، كأدوات الشرط والنفى ، والنواسخ والمفعولات ، والحال والتمييز ، والتوابع ، وضمير الفصل ٠

فاذا قلت : جلس صادق اليوم أمام الحديقة على الكرسى ، كان « جلس » هو المسند ، و « صادق » هو المســند اليه ، وما بعــد ذلك من ظرفى الزمــان والمكان والجار والمجرور قيودا للجملة ٠ وقس على ذلك ٠

---

(١) التحقيق ان الفارق بين الخبر والانشاء هو قصد المطابقة أو قصد عدمها فى الخبر ، والانشاء ليس فيه قصد للمطابقة ولا لعدمها ٠

احوال الاســناد الخبرى

اضرب الخبر :

تختلف صور الخبر فى اساليب اللغة باختلاف احوال المخاطب ، فتراه حينا مجمدا من أدوات التوكيد ، وتجـده حينا مؤكدا بمؤكد واحد ، وحينا مؤكدا باكثر من مؤكد ، فيقال :

١ ـ الفراغ مفســدة ٠

٢ ـ ان الفراغ مفسدة ٠

٣ ـ ان الفراغ لمفســدة ٠

وهذه الأحوال الثلاثة تسمى اضرب الخبر أى أنواعه ٠

١ ـ فيتجرد الخبر من التوكيد حين يكون المخاطب خالى الذهن من مدلول الخبر ، نحو : الحق احق ان يتبع ٠ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ٠ الحياء زينة الانسان ٠

٢ ـ ويؤكد بمؤكد واحد حين يكون المخاطب شاكا فى مدلول الخبر ، طالبا التثبت من صدقه ، نحو : ان الصدق منج ٠

٣ ـ ويؤكد بمؤكد أو اكثر ٠ حين يكون المخاطب مكرا ، نحو : قــوله تعــالى : « **ان النفس لامارة بالسوء** » ٠

ويقع التوكيد : بأن كما فى المثال السالف ، وبأن ، نحو قوله تعــالى : « **لتعلموا ان الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما** » ٠ وبأحرف التنبيه ، نحو قوله تعالى : « **هانتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم** » ٠ وبالقسم ، مثل : تا لله لا يذهب العرف بين الله والناس ٠ وبنــون التوكيد ، نحو قوله تعــالى : « **لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم** » ٠ وقوله تعالى : « **ليسجنن وليكونا من الصاغرين** » وبالحروف الزائدة ، نحو قوله تعالى : « **لست عليهم بمسيطر** » وقوله تعــالى : « **كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون** » ٠ وبأما الشرطية التفصيلية ، كقوله تعــالى : « **أما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى** » ٠

وكما يكون التوكيد فى الاثبات يكون فى النفى ، كما فى بعض الأمثـلة السابقة ، ونحو : ما المقتصد بمفتقر ، ونحو : والله ما المستشير بنادم ٠

اغراض الخبر :

الاصل فى الخبر ان يلقى لغرضين :

(الاول) افادة المخاطب الحكم الذى تضمنته الجملة ، نحو ٠ كان عمر بن عبد العزيز اعدل خلفاء بنى امية ، تقوله لمن لا يعرف ذلك ، ويسمى هذا الغرض (فائدة الخبر) ٠ (الثانى) افادة المخاطب ان المتكلم عالم بالحكم كقولك لصاحبك : « انت القيت قصيدة جيدة فى المذياع امس ، تدله على انك عالم بهذا الأمر ، ويسمى هذا الغرض (لازم الفائدة) ٠

الاغراض التى يخرج اليها الأسلوب الخبرى :

نرى فى الكلام العربى أخبارا كثيرة لا يقصد بها افادة المخاطب الحكم ، ولا أن المتكلم عالم به ، فتكون قد خرجت عن معناها الأصلى السالف ذكره الى أغراض أخرى.ومن أشهر هذه الأغراض :

١ ـ **الاسترحام :** نحو رب انى فقير الى رحمتك ، فليس الغرض هنا افادة الحكم ولا لازم الفائدة ، لأن الله تعالى عليم بهما ، ولكنه طلب رحمة الله تعالى ٠

٢ ـ التحسر على شىء محبوب ، كالتحسر على فقد الشباب فى قول الشاعر :

ذهب الشباب فما له من عودة

واتى المشيب فاين منه المهرب ؟

او على فقد عزيز ، كقول اعرابى يرثى ابنه :

ولما دعوت الصبر بعدك والأسى

اجاب الأسى طوعا ولم يجب الصبر

فان ينقطع منك الرجاء فانه

سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وكقول اعرابية ترثى زوجها :

كنا كغصنين فى جرثومة بسقا
حينا على خير ماتنمى بهالشجر

حتى اذا قيل قد طالت فروعهما
وطاب قنواهما واستمطر الثمر

أخنى على وادى ريب الزمان وما
يبقى الزمان على شىء ولا يذر

كنا كانجم ليل بينها قمر
يجلو الدجىفهوى من بينهاالقمر

٣ ـ الفخر ، كقول جرير يهجو الأخطل التغلبى :

ان الذى حرم المكارم تغلبا
جعل النبوة والخلافة فينا

مضر ابى وأبو الملوك فهل لكم
يا خزر تغلب من أب كابينا ؟

٤ ـ الارشاد والنصح ، واكثر الأخبار الحكمية مما يكون لهذا الغرض كقول زهير :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يستغن عنه ويذمم

وقول النابغة الذبيانى :

ولست بمستبق اخا لا تلمه
على شعث اى الرجال المهذب ؟

٥ ـ المدح ، ومن امثلة ذلك قول النابغة يمدح النعمان بن المنذر :

فانك شمس والملوك كواكب
اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقد يجىء لأغراض أخرى ٠ والمرجع فى معرفة ذلك الى الذوق والعقل السليم ٠

المجاز العقلى والحقيقة العقلية :

تقول : شفى الله المريض ، فتجد الفعل قد اسند فى الجملة الى فاعله الحقيقى ويسمى هذا الاسناد حقيقة عقلية ٠٠ فاذا قلنا : شفى الطبيب المريض وجدنا أن الفعل قد أسند الى الطبيب ، وهو سبب من اسباب الشفاء ، فالفعل قد أسند هنا ، لا الى الفاعل الحقيقى ، بل الى السبب ، فنسمى مثل هذا الاسناد مجازا عقليا ٠

ومن الحقيقة العقلية أن تقول : أهلك الله الناس بسبب حبهم للدرهم والدينار ، ومن المجاز العقلى أن تقول : أهلك الناس الدرهم والدينار ، « وما يهلكنا الا الدهر » ٠

ومن الحقيقة العقلية كذلك : أنبت الله النبات ، ومن المجاز العقلى : أنبت الربيع النبات ، أو أنبت المطر النبات ٠

ومن الحقيقة العقلية أن تقول : هزم الجيش العدو ، ومن المجاز العقلى : هزم القائد العدو ٠

ومن المجاز العقلى قول الشاعر :

منع البقاء تصرف الشمس
وطلوعها من حيث لا تمسى

ومنه أيضا قول الشاعر :

فنام ليلى وتجلى همى

ومنه كذلك :

فشيب أيام الفراق مفارقى

ومنه :

ونمت وما ليل المطى بنائم (١)

ومنه :

فما ليل مظلوم كريم بنائم

---

(١) فى نائم ضمير مستتر هو فاعل لاسم الفاعل ، ففى اسناد **نائم الى** فاعله ـ الضمير المستتر ـ مجاز عقلى ٠

ومنـــه :

وليـــك عمـــا ناب قومك نائم

ومنـــه :

« وأخــرجت الأرض أثقـــالها »

لأن الذى يخرج ذلك هو الله ..

ومنه قول أبى نواس :

يزيدك وجهـــه حســـنا
اذا مـــا زدته نظـــرا

وقول الشاعر :

وصـــيرنى هـــواك وبى
لحينى يضـــرب المثـــل

ومنـــه :

جد جدك ، وجرى النهـــر ،
« فمـــا ربحت تجـــارتهم » .

المســـند اليـــه :

ما هو المسند اليه ؟

المسند اليه هو الركن الأهم فى الجملة ، ويسمى محكوما عليه ، أو مخبرا عنه وهو :

الفاعل ، ونائب الفـــاعل ، والمبتـــدأ ، واسم ان وأخواتهـــا ، واسم كان وأخواتها ، والمفعول الأول لظن وأخواتها ... والمسند اليه اذا حذف من الجملة فلداع بلاغى ، واذا ذكر فى الجملة فلداع بلاغى كذلك اقتضى ذكره ، وكذلك اذا جىء به معرفة أو جىء به نكرة ، الى غير ذلك من شتى أحواله .

فمن تأخير المسند اليه : له الملك (١) ، وله الحمد » و « لله الأمر من قبل

---

(١) الملك مبتدأ ، وقد أخر فى الجملة ، فجاء بعد خبره (له) .

ومن بعد » ، ومنه كذلك :

وكالنـــار الحيـــاة ، فمن رماد

اواخـرها ، واولهـــا دخـــــان

ومن حذف المسند اليه قول الشاعر :

فتى غير محجوب الغنى عنصديقه

ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

والتقدير : هو فتى : فحذف المسند اليه (هو) الواقع مبدأ ٠

المســــند :

ما هو المسند ؟

المسند هو الركن الثانى فى الجملة ، ويسمى محـــكوما به ، أو مخبـرا به ، وهو الفعل ، وخبر المبتدأ ، وخبر كان وأخواتها ، والمبتدأ المكتفى بمرفوعه ، واسم الفعل ٠

والمسند قد يذكر فى الجملة ، وقد يحذف ، وقد يقدم ، وقد يؤخر ، وقد يؤتى به اسما ، وقد يؤتى به فعلا ، وقد يكون مقيدا بقيد ، وقد لا يقيد بقيد ٠

فمن ذكر المسند :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، اذ هذه الجملة واقعة خبر المبتدأ الذى هو « دفع » ، وقد ذكر الخبر ولم يحذف ٠

ومن حذف المسند قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والـدين لا يعلمون » ، اذ المعنى هل يستوى من له علم ومن لا علم له ، ولذلك حذف مفعول يعلمون لصرف النظر عنه ٠

ومن تقديم المسند قوله تعالى : « لله الأمر » ، وقول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيـــــــا ببهجتهـــــا

شمس الضحى ، وابو اسحاق ، والقمر

ومن تأخيره : محمد نال جائزة ، والقمر اشرق بنوره فى السماء ، الى غير ذلك من شتى أحوال المسند ٠

متعلقـــات الفعـــل :

ما هى متعلقات الفعل ؟

هى ماعدا المسند اليه والمسند فى الجملة مما يزيد على ذلك ، فهو قيد فى الجملة ، كأدوات الشرط ، والنفى ، والنواسخ والمفعولات ، والحال ، والتمييز، والتوابع ، وضمير الفصل ، وسوى ذلك ٠٠٠ وهذه القيود هى التى تسمى متعلقات الفعل ٠

ومتعلقات الفعل قد تذكر فى الكلام ، وقد تحذف ، وقد تقدم وقد تؤخر ، وهذه هى أحوال متعلقات الفعل ، التى يبحث عنها البليغ فى علم المعانى ٠

فمن تقديم متعلقات الفعل قول الشاعر :

الى الله اشـــكو ان بالنفس حاجة
تمر بهــــا الأيام وهى كما هيـا

ومن تأخير متعلقات الفعل : أسافر فى القطار ؟

وأحوال متعلقات الفعل كثيرة ، وهى موضع عناية البليغ وبحثه ، حين يدرس علم المعانى ٠

اسلوب القصر :

تقول : يفوز المجد ، فيفيد الكلام هذا الحكم ، دون تأكيد له ، ودون أن تقصر الفوز على المجد ، فاذا قلنا ، لا يفوز الا المجد « كنا قد أخذنا تخصيص الفوز بالمجد ، بمعنى أن الفوز خاص به لا يتعداه الى غيره وهذا هو أسلوب القصر ، فالفوز هنا مقصور على المجد ، فالفوز مقصور ، والمجد مقصور عليه ، وأداة القصر هى النفى « لا » والاستثناء « الا » والقصر هنا قصر صفة على موصوف ٠

وكذلك تقول « انما محمد شاعر » فيفيد الأسلوب قصر محمد على الشعر ، بمعنى انه لا يتجاوز الشعر الى غيره من الصفات ، فمحمد مقصور وشـاعر مقصور عليه ، وأداة القصر هى « انما » ٠

ومثل هذا : على الله اتوكل ، والى الله أمرى ٠٠ فتقديم الخبر هنا يفيد القصر ، فالمثال الأول فيه قصر موصوف وهو « التوكل » على صفة وهى كون التوكل على الله لا على غيره ، وطريق القصر التقديم ، وكذلك المثال الثانى ٠

الفصل والوصل :

تقول : نجح محمد ، فاز على ، فتاتى بالجمل مفصولا بعضها عن بعض وغير معطوفة بعاطف ، ويسمى ترك العطف بينها فصلا ٠٠ ومثل ذلك ايضا : اجتهد على ، تفوق محمود ٠

وتقول : اجتهد محمد ففاز ، أو ثم فاز ، أو حتى فاز ، فيجوز ذلك متى كانت الجملة الثانية مرتبة على الأولى بلا تراخ ، أو مع التراخى ، أو على سبيل التدريج ، ويسمى ذلك وصلا بغير الواو ٠

وتقول : حضر على ، وسافر اخوه ، فتعطف بعض الجمل على بعض بحرف عطف هو الواو ، ويسمى ذلك وصلا ٠

فالوصل عطف بعض الجمل على بعض بالواو ، والفصل تركه ٠

ولابد لصحة العطف بالواو من وجود جهة جامعة بين اجزاء الجمل المتعاطفة ، وفى القرآن الكريم : « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » ، (ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى » ٠

الايجاز والاطناب والمساواة :

اذا أردت أن تتحدث الى الناس فى معنى من المعانى فانت تعبر عنه تعبيرا صحيحا مقبولا فى صور ثلاث ، وهى :

١ ــ **المساواة :** وهى أن تكون الألفاظ على قدر المعانى ٠

٢ ــ **الايجاز :** وهو وضع المعانى الكثيرة فى الفاظ قليلة وافية بها ، والا كان اخلالا ٠ فلا يعد الكلام صحيحا مقبولا ٠

٣ ــ **الاطناب :** وهو تادية المعنى بالفاظ اكثر منه لفائدة ، فان لم تكن الزيادة لفائدة فهى حشو أو تطويل ٠

وفى كتاب الله الكريم معان كثيرة عبر عنهـا بهـذه الصور الثـلاث فى مواضع مختلفة منه ، لأن المقام فى كل موضع يناسبه صورة منها ٠

فمن ذلك الدلالة على « ان كل انسان مجزى بعمله ، ان خيرا فخيـر ، وان شرا فشر » فقد عبر عن هذا المعنى فى هـذه الصور فى الآيات الكريمـة التالية :

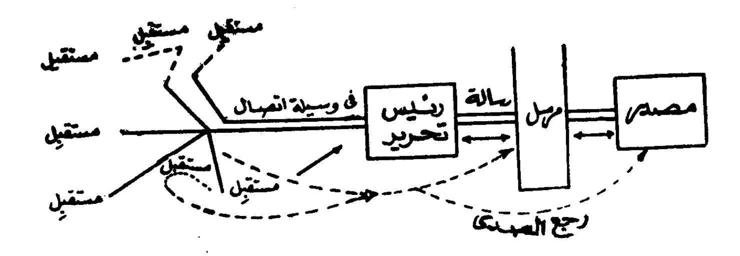
١ ـ فمن المساواة قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٠ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ٠

٢ ـ ومن الايجاز قوله تعالى : « كل امرىء بما كسب رهين » ٠

٣ ـ ومن الاطناب قوله تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظـالمين نارا احاط بهم سرادقهـا وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت متفقا ٠ ان الـذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من احسن عملا ، أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سـندس واستبرق متكئين فيهـا على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا » ٠

ولا يعد الكلام فى صورة من هذه الصور بليغا الا اذا كان مطابقا لمقتضى المقتضى الحال ، فان كان المقام للاطناب مثلا وعدلت عنه الى الايجاز والمساواة لم يكن كلامك بليغا ٠

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال فى البلاغة الجديدة ترتبط بمتغيرات عديدة تشمل المستقبل ووسيلة الاتصال ورجع الصدى :



الباب السادس

البيـــــان

البيـــان

التعبير الجميل البليغ المؤثر ، الذى يصور المعنى تصويرا واضحا من اقرب طريق ، هو البيان ·

وعناصر البيان البليغ هى : الأسلوب ، والمعنى ، ووضوح الأداء ، وقوة التاثير :

فالأسلوب هو طريقة تاليف الكلمات ونظمها لتؤدى المعنى المراد تصويره والابانة عنه ·

والمعنى هو الفـكرة التى يريد الأديب أو الشـــاعر تصويرها واداءها والترجمة عنها ليفهمها القارىء والسامع ·

ووضوح الأداء من أخص خصائص البيان ، ونريد به أن يكون الأسلوب ظاهر الابانة عن المعانى التى يريدها البليغ دون تعقيد أو التواء ·

وقوة التاثير نقصـد بهـا أن يترك الأسلوب أثره فى نفوس القـــارئين والسامعين وأن يدفع من يقرؤه أو يسمعه الى الايمان بما آمن به البليغ من فكرة أو رأى أو عقيدة :

وان شئت فاقرأ قول المعرى :

غير مجـــد فى ملتى واعتقـــادى
نـــــوح باك ولا تــرنم شـــــــاد

أو قول شوقى :

قف دون رأيك فى الحيـاة مجاهدا
ان الحيـــاة عقيـــدة وجهـــــاد

أو قول المتنبى :

أنا الذى نظـــر الأعمى الى أدبى
وأســـمعت كلمــاتى من به صمم

او قول حسان :

ولست ارى السعادة جمـــع مال
ولـــكن التقى هـــو الســـــعيد

فسترى من روعة التاثير وقوة العاطفة وتدفق البيان ما يجعلك تفهم ما نعنيه بقوة التاثير ٠

علم البيـــــان :

التعبير عن المعنى الواحد باساليب مختلفة وضوحا وخفاء ٠

★ ★ ★

امثلة وموازنات :

١ ـ يقول البحترى يصور عناقه لمحبوبته :

ولم انس ليلتنـــا فى العنـــاق
لف الصبا بقضيب قضـــيبا (١)

ويقول ابن المعتز فى هذا المعنى :

فلـــو ترانا فى قميص الـــدجى
حسبتنا فى جســد واحـــــد

فنجد أن :

(أ) البحترى يمثل عناقه لمحبـــوبته فى ليلة جميلة كانهما الريح تلف غصـــنا على غصن ٠٠ وابن المعتز يقول انه هو ومحبـــوبته يتعانقان كانهما روحان فى جســد واحـــد ٠ والدجى يلفهما فى قميصه ٠٠ فمعنى البحترى مالوف ٠ ومعنى ابن المعتز فيه لون من المبالغة ٠

(ب) واسلوب ابن المعتز اجمل فى الفاظه وروحه من اسلوب البحترى ٠

(جـ) ويزيد ابن المعتز بهذا التعبير البليغ عن ظـــلام الليل الـــذى يشمل الكون بقوله قميص الدجى ٠

---

(١) الصبا : ريح تهب من جهة الشمال ، وهى من أطيب الرياح ٠ القضيب الغصن ٠

٢ ـ ويقول ابو نواس فى كاس الخمر :

اذا عب فيها شارب القـــوم خلته
يقبل فى داج من الليـــل كوكبـــا

ويقول ابن الرومى :

فكانهـــا وكان شاربهـــــا
قمـــر يقبـــل عارض الشمس

ويقول ابن المعتز :

وكانه وكان الكاس فى فمـــه
هلال أول شـــهر غاب فى شفق

هؤلاء الشـعراء يصـورون الكاس وهى على فم الشارب للخمر فجعـل أبو نواس الكاس شبيهة بالكواكب والخمر التى فى الكاس شبيهة فى لونهـا بدجى الليل وظلمته ٠ وجعل ابن الرومى الكاس شبيهة بالقمر والخمر التى فيها شبيهة بضوء الشمس ٠ وجعل ابن المعتز الكاس شبيهة بالهلال وما فى الكاس شبيه بلون الشفق ٠ ولكن ابن المعتز يمتاز عن صاحبيه بروعة التاثير وقـوة التصوير والاداء ٠

٣ ـ وهكذا تستطيع ان توازن بين هذه الابيـات :

كلمنى لحظـــــك عـن كل مـا
أضـــمره قلبـــك من غـــدر

امـا تقـــــرا فى عينـــ
ـى عنـــوان الــذى اخفى

تخفى العـــداوة وهى غير خفيـة
نظـر العـــدو بمـا اسر يبـــوح

٤ ـ وكذلك تستطيع ان توازن بين هذه الاساليب :

قال اديب ينصح ابنه : لا تلتمس الزيادة من صاحب المعروف قبل ان تقوم بشكر ما اوتيته منـه ٠

وقال احد الكتاب فى هذا المعنى : فى شكر ما تقدم من احسـان الامير شاغل عن استبطاء ما تأخر منه ·

وقال ابو نواس فى المعنى نفسه :

لا تســـدين (١) الى عـــارفة
حتى اقـــوم بشـــكر ما ســـلفا

٥ ـ ويقول الاديب : القائد بطل شـجاع ، وهو كالاسـد شجاعة ، وهو الاسد ، ورأيت اسدا فى الميدان يهزم الاعداء ·

القـــاعدة :

١ ـ الادباء يختلفون فى تصوير المعانى وأدائها ، واذا كانت هذه المعانى واحدة فما بالك بها اذا اختلفت ، والاســاليب السابقة تشترك فى الجمـال ، وتختلف فى الوضوح ، والتأثير ، وطريقة عرض المعنى وقوة تقريره ·

٢ ـ وهذه الأساليب المختلفة فى الوضوح والتى يؤدى بها المعنى الواحد هى موضوع علم يسمى علم البيان ، فهو العلم الذى يعرف به طريقة اداء المعنى الواحد بأساليب مختلفة فى الوضوح ·

٣ ـ والذوق الادبى الذى تكتسبه من قراءة الادب هو الذى يساعدك على فهم الاساليب والموازنة بينها ، ويعينك على دراسة هذا العلم ·

بحـوث علم البيـان :

وتتلخص بحوث علم البيان فى : التشبيه ، والمجاز ، والكناية ·

وسر هذا ان اللفظ المراد به لازم ما وضع له : ان قامت قرينة على عـدم ارادة ما وضع له فمجاز ، والا فكناية ، ثم من المجاز ما ينبنى على التشبيه وهو الاستعارة التى كان اصلها التشبيه ، فتعين دراسة التشبيه قبل بحث المجـاز الذى من اقسامه الاستعارة المبنية على التشبيه ، ولما كان فى التشـبيه بلاغة وجمالا مع كثرة مباحثه ، وتعدد فوائده ، لم يجعل مقدمة لبحث الاســتعارة بل جعل مقصدا برأسه ، فانحصر المقصود من علم البيان فى الثلاثة أبـواب : التشبيه ـ المجـاز ـ الكناية ·

---

(١) تسدى : تعطى وتمنح · العارفة : المعـروف ·

التشـبيه

امثـلة :

١ ـ هو كالبدر فى الرفعـة ٠

٢ ـ ذلك القائد كالأسـد شجاعة ٠

٣ ـ تلك الفتاة كالقمر جمالا ٠

٤ ـ وقال الشـاعر :

انت كالبحر فى السماحة(١) والشمـ
ـس علـوا ، والبدر فى الاشراق

٥ ـ وقال البحترى :

هو بحـر السـماح والجود فازدد
منـه قربا تزدد مـن الفقـر بعدا

هذه الأساليب كلها من اساليب التشبيه :

ففى الأول شبهت هذا الرجل العظيم بالبدر ، ووجه الشبه بينهما الرفعة وفى الثانى : شبهت القائد بالأسـد ٠ ووجه الشبه بينهما الشجاعة ٠

وفى الثالث : شبهت الفتاة بالقمر ، ووجه الشبه بينهما الجمال ٠

وفى الرابع : شبهت الممدوح بالبحر فى السماحة ، وبالشمس فى العلو ، وبالبدر فى الضياء ٠

وفى الخامس شبهت الممدوح بالبحر ، ووجه الشبه بينهما الكرم والجود٠

القـاعدة :

الشبيه : هو الحاق أمر بأمر فى معنى بأداة لغرض يقصده المتكلم ، أو قل : هو عقد مماثلة بين امرين قصد اشراكهما فى صفة أو اكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم ٠

---

(١) السماحة : الجود ، وكذلك السماح ٠

اركان التشـــبيه :

واركان التشبيه أربعـة :

١ ـ المشبه : وهو الأمر الذى تثبت الصـفة له كخـالد فى قولك خالد كالاسد شجاعة وكليلى فى قولك ليلى كالبدر جمالا ٠

٢ ـ المشبه به : وهو الأمر الذى وضحت فيه الصفة ، كالاسد والبدر فى المثالين السابقين ٠ هذا ويسمى المشبه والمشبه به طرفا التشبيه ٠

٣ ـ وجه الشبه : وهو الصفة أو الصفات التى قصد اثباتها للمشـبه كالشجاعة والجمال فى المثالين السابقين ٠

٤ ـ اداة التشبيه : وهى الكلمة التى تفيد المشابهة كالكاف فى الأمثلة السابقة ، ومن أدوات التشبيه : الكاف ٠ وكأن ، مثل : كان القائد أسـد ٠ ومثل : هو مثل الأسد ، وشبه ، وشابه ، وحاكى ، وماثل ، ويضـارع ، وسواها من الالفاظ التى تدل على المماثلة ٠ والكاف وكأن اكثر هذه الأدوات ٠

الفرق بين الكاف وكأن :

محمد كالسحاب فى الكرم ٠

كأن محمدا السحاب المنهمر ٠

من المثالين نعرف الفرق بين الكاف وكأن وخلاصة الفرق هو ان الكاف ياتى بعدها المشبه به ٠ وكأن ياتى بعدها المشبه ٠

ملاحظـة :

يجـوز فى التشـبيه :

١ ـ حذف الاداة ٠ فتقول محمد أسد فى الشجاعة ٠

٢ ـ حذف الوجه ٠ فتقول محمد كالأسد ٠

٣ ـ حذف الوجه والاداة معا فتقول محمد أسد ، ويسمى ذلك تشبيها بليغـا ٠

أغــراض التشــبيه :

وللتشبيه أغراض كثيرة منها :

١ ـ بيان حال المشبه فيما اذا كان المشبه به معروفا والمشبه مجهـولا أو في حكم المجهول مثل : الأرض كالكرة ، وقول النابغة :

كأنـك شـــمس والمـلوك كواكب
اذا طلعت لم يبـــد منهـــن كوكب

وقول المتنبي :

أرى كل ذي جـود اليك مصـيره
كأنك بحـــر والملوك جـــداول

٢ ـ بيان مقدار حال المشبه اذا كانت الصفة المراد اثباتها للمشبه معروفة بوجه اجمالي · ولكن التشبيه يبين مقدارها مثل : هذه الفاكهة حلوة كالسكر · وهذا الثوب ابيض كالقطن أو اللبن أو الثلج · وقول الجارم :

لـك ســـيرة كصـــحيفة ال
ابـــرار طـــاهرة نقيـــة

وقال المتنبي في المدح :

كالبحـر يقذف للقـريب جـواهرا
جودا ، ويبعث للبعيـــد ســحائبا

وقــول الشــاعر :

كم نعمـــة مـــرت بنـــا وكأنهـــا
فـــرس يهـــرول أو نســـيم ســـاري

٣ ـ تقرير حال المشبه في ذهن الســامع · وذلك اذا كان المشـبه أمـرا غريبـا يحتاج الى ايضاحه وتثبيته ، ويكثر ذلك في تشبيه الأمور المعنـوية بأمـور تدرك بالحس ، مثل التعـليم في الصغر كالنقش في الحجر ·

وقول الشاعر :

ان القـلوب اذا تنـافر ودهـــا
مثل الزجـــاجة كسرها لا يجـبر

وقوله تعالى : « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة » ٠

٤ ـ تزيين المشبه : مثل « هى كالظبى النافر » وقول الشاعر :

سـوداء واضـحة الجبين
كمقـلة الظـبى الغـرير

٥ ـ تقبيح المشبه : مثل : صوته كالرعد ، وهو كالقرد ، وقوله تعالى : فمثله كمثل الكلب ٠

٦ ـ بيان امكان المشبه : وذلك حين يكون المشـبه قـد اسند اليه امـر مستغرب فتاتى بشبه له لتدفع هذه الغرابة عن المشبه ، كقول الشاعر :

فـان تفق الانـام وانت منهم
فان المسـك بعض دم الغـزال (١)

ومثل قول البحترى :

دنوت تواضـعا وعلوت مجـدا
فشأناك انخفـاض وارتفـاع
كذاك الشـمس تبعـد ان تسـامى
ويدنو الضـوء منهـا والشعاع

صـور التشـبيه :

التشـبيه والاداة :

١ ـ قال الشـاعر :

تحطمنـا الايـام حتى كاننـا
زجـاج ولكن لايعاد له سـبك

---

(١) معنى البيت : هو فاق الناس مع انه منهم ، كالمسك الذى فاق الدماء مع أنه من بعض انـواع الدماء ٠

٢ ـ وقال شاعر :

هو بدر فى شهرة الذكر والمجـ
ـد وفى الجود والسماح السحاب

البيت الأول أداة التشبيه فيه مذكورة وهى كأن : والثانى أداة التشبيه فيه محذوفة ، والأصل هو كالبدر وهو كالسحاب :

الخلاصة :

أداة التشبيه قد تذكر وقد تحذف ٠

التشبيه والوجه :

١ ـ هو كالشمس فى العظمة ٠

٢ ـ هو كالشمس وكالأسد ٠

المثال الأول وجه التشبيه فيه مذكور وهو : العظمة ٠

والمثال الثانى وجه التشبيه فيه محذوف وهو : العظمة والبطولة ٠

الخلاصة :

قد يذكر وجه التشبيه وقد يحذف (١) ٠

التشبيه البليغ :

١ ـ التشبيه البليغ هو ما حذف الوجه فيه والاداة معا ، مثل : ليلى قمر ومحمد أسد ، وخالد بحر ، ومثل قول الشاعر :

فالعيش نوم والمنية يقظة
والمرء بينهما خيال سار

---

(١) والتشبيه الذى ذكر فيه الوجه يسمى مفصل والتشبيه الذى حذف وجهه يسمى مجملا ٠

٢ ـ ومن أنواع التشبيه البليغ ما أضيف فيه المشبه به الى المشبه مثل : رداء العافية ، وقميص الدجى ، ومصباح الرأى ، وثوب الرياء ، وذهب الأصيل ٠ ولجين (١) الماء ، قال الشاعر :

والريح تعبث بالغصون ، وقد جرى
ذهب الأصيل على لجين الماء (٢)

٣ ـ ومن أنواعه أيضا أن يكون المشبه به مصدرا مبينا للنوع مثل ، اقدم اقدام الأسد أى اقدم اقداما كاقدام الأسد ٠ ومثل : له هيبة الملوك واجتهد اجتهاد المبرزين ، وفاضت يداه بالجود فيض السحاب ٠ ومكر مكر الذئب ٠

تشبيه التمثيل :

امثلة :

١ ـ قال المتنبى :

يهز الجيش حولك جانبيه
كما هزت جناحيها العقاب

مثل سيف الدولة والجيش يتحرك فى نظام حواليه ممتثلا لأمره لا يخالفه ، بهيئة الطائر العقاب وسلطانه النافذ على جناحيه ٠

٢ ـ وقال بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

يمثل الغبار الذى حجب الشمس ونشر الظلام والسيوف تلمع خلال المعركة بالليل الذى تتساقط كواكبه ٠

---

(١) اللجين : الفضة ٠

(٢) وتقدير التشبيه : شعاع الشمس فى الأصيل كالذهب ، والماء كالفضة ٠

وقال آخر :

كأن سواد الليل والفجر ضاحك
يلوح ويخفى ، اسود يتبسم

يمثل ظلام الليل والفجر قد بدأ فى الظهور بسواد وجه العبد الأسود الذى تلمع اسنانه اثناء تبسمه وضحكه ٠ وكل هذه التشبيهات وما ماثلها تسمى تشبيه التمثيل لأن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من أمور متعددة ٠

القاعدة :

تشبيه التمثيل ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من أمور متعددة

امثلة للتشبيه وتحليلها :

١ ـ قال الشاعر :

قد يشيب الفتى وليس عجيبا
ان يرى النور فى القضيب الرطيب

يشبه ظهور الشيب فى الشبان بظهور الزهر الابيض فى الغصن الرطيب ، وليس فى الكلام اسلوب التشبيه الصريح ، ولكن التشبيه هنا ضمنى ٠

٢ ـ سيذكرنى قومى اذا جد جدهم
وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

يشبه معرفة قومه لقيمته فى الشدائد بمعرفة المسافر لقيمة البدر فى الليلة الظلماء والتشبيه هنا ضمنى أيضا ٠

٣ ـ فاح الزهر كأنه ذكرك الجميل ، الهزار يغنى كأنه أم كلثوم ٠

هنا تشبيهان أداة التشبيه مذكورة فيهما ، ولكن التشبيه مقلوب والأصل : ذكرك الجميل يفوح كالزهر ، وأم كلثوم كالهزار ٠

٤ ـ وقال شوقى :

فدخلت فى ليلين : فرعك والدجى
ولثمت كالصبح المنور فاك

المجـــــاز :

المجاز فى اللغة : مفعل من « جاز المكان بجوزه اذا تعداه » نقل الى الكلمة الجائزة ، اى المتعدية مكانها الأصلى ، أو المجوز بهـا ، على معنى انهم جازوا بها وعدوها مكانها الأصلى ·

والمجاز قسمان : مفرد ومركب فالمفرد : هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت لـه فى اصطلاح التخـاطب على وجه يصح ، مع قرينة عدم ارادة الموضوع له ، وعلى وجه يصح يشير الى ضرورة العلاقة ليتحقق الاسـتعمال على وجـه يصح ·

وينقسم المجاز المفرد الى قسمين :

١ ــ القسم الأول هو المجاز المرسل : وذلك ما كانت العلاقة المصححة فيه ليست هى المشابهة بين المعنى المجازى والمعنى الحقيقى ·

والقسم الثانى الاستعارة ، وهى ما كانت العلاقة فيه المشابهة ·

المجـاز المرسـل وامثـــلة له

فالمجاز المرسل : هو ما كانت العلاقة فيه بين المعنى الموضوع له والمعنى المستعمل فيه غير المشابهة ·

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة منها :

١ ــ تسمية الشىء باسم كله كقوله تعالى : « **يجعـــلون اصـــابعهم فى اذانهم** » اذا الاصبع لا تدخل فى الاذن ، والمراد من الاصابع هنا الا نامل ، اى يجعلون اناملهم فيها ، ففى أصابعهم مجاز مرسل علاقته : الكلية والجزئية :

٢ ــ تسمية الشىء باسم جزئه كتسمية الرقيب عينا ، تقول : الحـكومة لها عيون ساهرة على الأمن ، فعيون مجاز مرسل علاقته : الجزئية والكلية ·

٣ ــ تسمية الشىء باسم سببه مثل « رعينا الغيث » ، اذ الغيث لا يرعى · وانما يرعى النبات ، وفى الغيث مجاز مرسل علاقته السببيه ، والمراد به النبات الذى سبب نموه الغيث اى المطر ·

٤ ــ تسمية الشىء باسم مسببه مثل : « امطرت السماء نباتا » اى غيثـا يكون النبات مسـببا عنه ·

٥ ـ تسـمية الشىء باسم الشىء الذى كان هو عليـه فى الزمان المـاضى مثـل : « واتوا اليتامى اموالهم » ، اى الذين كانوا يتامى فى الماضى اذ لا يتم بعـد البلوغ ٠

٦ ـ تسمية الشىء باسم ما يؤول اليه ذلك الشىء فى المستقبل مثل « انى ارانى اعصر خمرا ، اى عنبا يؤول الى الخمر ٠

٧ ـ تسمية الشىء باسم محله مثل « فليدع ناديه » اى أهل ناديه الذين يحلون فيه ، والنادى المجلس ٠

٨ ـ تسمية الشىء باسم آلته مثل : واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ، اى ذكرا حسنا ، واللسان اسم لالة الذكر ٠

★★★

الاسـتعارة :

امثـلة :

١ ـ ضحكت الازهار : اى تفتحت ٠ شبه تفتح الازهار بالضحك ٠

٢ ـ تبسم الفجر ٠ اى ظهر ، شبه ظهوره بالتبسم ٠

٣ ـ كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النـور اى مـن الضلال الى الهدى ، شبه الضلال بالظلمات والهدى بالنور ٠

٤ ـ طغى الماء : اى زاد ٠ شبه زيادته بالطغيان ٠

٥ ـ اسقم قلبى بدر فى الطرف منه سحر ٠
اى امرأة جميلة شبيهة بالبدر ٠

٦ ـ فتى كلما فاضت عيون قبيـلة ضحكت عنه الاحاديث والذكر ٠
يريد ظهرت احاديث بطولته ، شبه ظهورها بالضك ٠

التحليـل :

كل لفظ من الالفاظ التى تحتها خط فى الامثـلة السابقة لم يسـتعمل فى معناه الاصلى ، وانما استعمل ليدل على معنى آخر بينه وبين المعنى الاصلى مشابهة ، والمانع لأن يكون اللفظ مرادا به معنـاه الأصلى هو القرائن الـدالة على ان المراد به غير معناه ، وهو فى المثال الأول ان الازهار لا تضحك وفى الثانى ان الفجر لا يبسم وهكذا ، فيسمى كل لفظ من هذه الالفاظ استعارة ٠

القـــاعدة :

الاستعارة : لفظ استعمل فى غير المعنى الذى وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنيين مع وجود قرينة تمنع من ان يكون المراد هو المعنى الأصلى ٠

العـلاقة بين الاســتعارة والتشــبيه

١ ـ تقول : القائد كالأسد فى شجاعته ، ثم تبالغ فتقول : هو الأســد ، ثم تبالغ فتقول : قـاد الاسـد الجيش فى المعركة فيكون الاسد استعارة ٠ ومن هنا تدرك ان الاستعارة اصلها التشبيه ٠

٢ ـ وانظر فى المثلين الآتيين :

قبلت بدرا منيرا ـ اى فتاة كالبدر فى الجمال ٠

نستضىء فى الحوادث برايك ، تشبه الرأى بالقمر مثلا فى الهداية ٠

تجد ان اسلوب الاستعارة فيهما اصـلة تشبيه الا انه محـذوف الاداة والوجه واحد طرفى التشبيه ٠

(وفى الأول حذف المشبه ، وفى الثانى حذف المشبه به) (١) ٠

القـــاعدة :

١ ـ الاستعارة نوع من التشبيه حذفت فيه الاداة والوجه واحد الطرفين٠

٢ ـ الاســتعارة ابـلـغ من التشــبيه لـمـا فيها من مبالغة فى اداء المعنى وتصويره ٠

الاستعارة التمثيلية او الاستعارة فى المركب :

(١) تقول للرجل الذى يقدم الاساءة وينتظر عليها الاحسان انت كمن يريد ان يجنى من الشوك العنب ، فتجـد تشبيها مركبا اذ شبه حال الرجل الذى يقدم الاساءة وينتظر عليها الاحسان بحال من يزرع الشوك وينتظر ان يجنى منه عنبا ، فاذا بالغت فى الأسلوب قلت «انت لاتجنى من الشوك العنب ، فتحذف

---

(١) الاستعارة التى حذف فيها المشبه وبقى المشبه به تسمى تصريحية ٠ والاستعارة التى حذف فيها المشبه به وبقى المشبه تسمى مكنية ٠

من اسلوب التشبيه المشبه والاداة وتكتفى بالمشبه به فيكون الاسلوب استعارة مركبة او استعارة تمثيلية ٠

(ب) والامثلة الآتيـة كلها من باب الاستعارة المركبة :

١ ـ انى اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، تقوله للمتردد ٠

٢ ـ وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر ، تقوله للعظيم يموت حين حاجة الناس اليـه ٠

٣ ـ انت ترسم على الماء ، تقوله لمن يعمل عملا لا نتيجة له ٠

٤ ـ رمى عصفورين بحجر ، تقوله لمن ادرك هدفين بمسعى واحد ٠

٥ ـ وضع الحق فى نصابه ، تقوله حين تجد أمرا قد وضع فى محله ٠

٦ ـ ولابد دون الشهد من ابر النحـل ٠

القـــــاعدة :

١ ـ الاستعارة التمثيلية او المركبة : تركيب استعمل فى غير ما وضـع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من ارادة معناه الاصلى ٠

٢ ـ الامثال التى تقال فى مقام الاستشهاد بها هى من باب الاسـتعارة التمثيلية ٠

★★★

الكنـــــاية :

امثـــــلة :

١ ـ يعض الظالم على يديه : تكنى بذلك عن ندمه ٠

٢ ـ تثـاءب الجمهـور ٠
تكنى بذلك عن سامهم من كلام الخطيب

٣ ـ محمود نقى الثوب : تكنى به عن طهارته وعفته ٠

٤ ـ ارغى المدير وازبد : تكنى بذلك عن تهديده ٠

٥ ـ نصبوا بقارعة الطريق خيامهم ٠
يتسـابقون الى قـرى الاضياف

كناية عن كرم هؤلاء الناس ٠

٦ ـ خطرات النسيم تجرح خديه : ولمس الحرير يدمى بنانه ٠
كناية عن رقة خدود هذه المرأة وترفها ٠

٧ ـ المجد عوفى اذ عوفيت والكرم
وزال عنك الى اعدائك السقم
كناية عن عظمة هذا الرجل ومجده ٠

٨ ـ قلب الرجل كفية على ما قدم من أعمال : كناية عن الندم ٠

كل أسلوب من هذه الأساليب كناية ، حيث لم يعبر عن المعنى نفسه باللفظ الدال عليه فى اللغة ، بل ذكر شيئا لازما لهذا المعنى : كعض اليدين أو تقليب الكفين اللازم للندم ، وكالتثاؤب للسآمة ، وهكذا نفهم من ذكر هذا اللازم الغرض المقصود والمعنى المراد ٠

القـــاعدة :

١ ـ الكناية : التعبير بلازم المعنى المراد اداؤه ، ليفهم بذكر هذا اللازم المعنى المراد نفسه ٠

أول قل هى تادية المعنى بذكر لازم من لوازمه ٠

اغراض الكنـاية وبلاغتهـا :

تستعمل الكناية لتحقيق الاغراض الآتية :

١ ـ تاكيد المعنى بتصويره تصويرا واضحا مصحوبا بما يؤيده ، وذلك كناية عن الندم بعض الانامل وعن الحزن بتقطيب الجبين ٠

٢ ـ تهجين الشىء والتنفير منه ، كما فى قوله تعالى فى التنفير من البخل وتهجينه : « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك** » ٠

٣ ـ تحسين المعنى وتجميله مع اخفاء الأمر على المخاطبين ، كقولك فى رجل لا يجيد الشعر : « هو نبى الشعر » تكنى به عن عدم اجادته للشعر لقول الله تعالى فى نبيه : « **وما علمناه الشعر وما ينبغى له** » ٠

٤ ـ التعبير عن الشىء بلفظ جميل بدل اللفظ المستهجن الموضوع له ، كالكناية عن الصمم بثقل السمع وعن العمى باستمرار لبس النظارة ٠

انواع الكنـــاية :

الكناية ثلاثة انواع :

١ ـ كناية عن موصوف مثل :

مدينة النور كناية عن باريس ، ومثل :

سكان الخيام كناية عن البدو ٠

الحوت الحديدى كناية عن الغواصة ٠

ابناء النيل ، كناية عن المصريين ٠

٢ ـ كناية عن صفة مثل :

يفترش الغبراء ، كناية عن الفقر ٠

عض على يديه ، كناية عن الندم ٠

هو لا يعرفه أحد ، كناية عن الخمول ٠

القى عصاه : كناية عن الاقامة ٠

سفر اليدين : كناية عن الفقر ٠

هو ربيب أبى الهول ، كناية عن الصمت وكتمان السر ٠

يصعر خده للناس ، كناية عن الكبر ٠

٣ ـ كناية عن نسبة صفة لموصوف ، بان تذكر الصفة وتكون الكناية فى نسبتها الى الموصوف مثل :

اليمن يتبـــع ظـــله والمجد يمشى فى ركابه

الغنى ملء اثوابه ٠

فى بيته الكرم والمعروف ٠

القى العز رحاله فى منزل هذا الرجل ٠

يسير الخير حيث تسير ٠

***

الفرق بين التشبيه والمجاز والكناية :

١ ـ التشبيه من اساليب الحقيقة ، والمجاز لم يستعمل اللفظ فى معناه الحقيقى ، والاستعارة من أساليب المجاز ، والكناية وسط بين الحقيقة والمجاز لجواز ارادة المعنى الحقيقى والكنائى فيها ، فقولك « فلان نقى الثوب » تكنى به عن طهارته واستقامته ، وقد يكون مع ذلك نقى الملابس ايضا ٠

٢ ـ التشبيه فيه اداة للتشبيه ٠ والاستعارة لا اداة للتشبيه فيهـــا مع ملاحظة التشبيه ٠ والكناية بعيدة عن اسلوب التشبيه ٠

والمجاز معه قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى ، وعلاقة بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى ٠

٣ ـ والتشبيه : الدلالة على مشاركة أمر لآخر فى معنى من المعانى مثل محمد كالأسد ، أما المجاز : فهى نقل اللفظ من معناه الأصلى الذى وضع له الى معنى آخر بينــه وبين المعنى الأصلى ملابسة او مشابهة لقصد المبــالغة ٠ مثل : رأيت أسدا ، وله عندى يد ٠

والكناية تادية المعنى المراد بذكر لازم من لوازمه ٠ مثل الكرم فى اثوابه٠

الباب السابع

البـــــديع

البـــديع

١ ـ قال الشاعر :

فأمامي المر من عمـــري
ووارئي منـــه ما طابا

٢ ـ وقال ابن المعتز :

يا من عناني حسده يقيمه ويقعده

٣ ـ وقال تعالى : « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا » .

٤ ـ وقال :

يا دار يا دار أحزاني وأشـــجاني
أبلى جديد مغانيك الجديدان (١)

٥ ـ وقال :

أيا فتنة مـــا كنت منتظرا لهـــا
أما لقتيل الهجر بالوصل من بعث

٦ ـ وتقول : يتعاقب الليل والنهار والضوء والظلام .

٧ ـ وتقول في الرجل الجبان : يأكل عيشه بجبنه .

التحليـــل :

١ ـ في هذه الأساليب البليغة جمال فني يشعر به ذوقك ومبعث هـــذا الجمال : لفظ حسن موقعه أو معنى بديع يزيد القول به حسنا .

---

(١) المغاني : جمع مغنى وهو منزل الاقامة . الجديدان : الليل والنهار.

٢ ــ وهذا الجمال الفنى الخاص الذى تراه بعد استيفاء الكلام لعناصر البلاغة يسمى بديعا · والعلم الذى يدرسه يسمى علم البديع ·

٣ ــ وكانت هذه الأساليب الجميلة البديعة تقع للكتاب والشعراء عفوا ، فلما جاء العصر العباسى فطن لها الأدباء · وقصدوها فى كلامهم كبشار وأبى نواس ومسلم وأبى تمام ·

٤ ــ ثم جاء ابن المعتز فألف كتابا فى أنواع البديع · ثم زاد فى الأنواع بعده : قدامة وأبو هلال ·

والخلاصة : علم البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح الدلالة على المعنى المراد ·

أقسام المحسنات البديعية :

١ ــ محسنات لفظية ترجع الى اللفظ ·

٢ ــ محسنات معنوية ترجع الى المعنى ·

فالفرق بين القسمين ان المحسنات اللفظية راجعة الى اللفظ ، أما المعنوية فيرجع تحسينها الى المعنى ·

المحسنات اللفظيـــة :

١ ــ الجنـــــاس :

١ ــ جار الجار على حقوقى ·

٢ ــ وسميته يحيى ليحيـــــا فلم يكن
الى رد أمر الله فيـــه ســـــبيل

٣ ــ فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ·

٤ ــ بنو العم لا بل هم بنو الغم والأذى
وأعوان دهرى ان تظلمت منذهرى

فى كل مثـال من الأمثـلة السابقة ألفاظ تتشابه فى النطق وتختلف فى المعنى فيسمى ذلك جناسا ·

فالجناس هو : تشابه اللفظين فى النطق واختلافهما فى المعنى ·

انواع الجنــــاس :

(أ) جناس تام كما فى المثال الأول والثانى · ومثل قولك :

« يحار الطرف فى محاسن هذا الطرف الجميل » (١) ·

(ب) جناس غير تام ، وهو أن يختلف اللفظان فى النطق بعض الاختلاف وذلك بأن يختلفا فى :

١ ـ حرف من حروف الكلمة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « الخيــل معقود بنواصيها الخير يوم القيامة » ، فقد اختلفا فى اللام والراء ، ومثل تقهر وتنهر فى المثال الثالث ، والعم والغم فى المثال الرابع ، ومثل مقر ومفر وتفرح وتمرح وأوطان وأوطار ·

٢ ـ أو فى عدد الحروف مثل :

الدار أعرفها ربى وربوعــــــــا
لكن أساء الزمان بهـــــا صنيعا

ومثل قولك هذا بناء ناء ، وقال مقالا ، ومثل : الهوى والهوان وساه وساهر ، وكاف وكافل ، والقنا والقنابل ·

٣ ـ أو فى شكل الحروف مثل الجد فى الجد ، أى الحظ فى الاجتهاد ، ومثل الفلك والفلك وعبرة وعبرة ·

٤ ـ أو فى ترتيب الحروف مثل « أمل وألم ، وفتح وحتف ، ووعد وعود ، و « وعيد ووديع » ، ومبين ومنيب ، وسريع وسعير ، وكلام وكمال ، وصفائح وصحائف ·

شروط الجناس البليغ :

١ ـ أن يكون غير متكلف ·

٢ ـ وأن يطلبه المعنى ·

٣ ـ وأن تكون الكلمة التى فيها الجناس يطلبها الأسلوب والمقام ·

---

(١) الطرف بفتح الطاء : العين · والطرف بكسر الطاء : الفرس ·

الخـــلاصة :

١ ـ الجناس هو ان تتشابه الكلمتان فى النطق وتختلفا فى المعنى ·

٢ ـ الجناس التام هو ما تشابهت فيه الكلمتان فى أربعة أمور : نوع الحروف وعددها وشكلها وترتيبها ·

٣ ـ الجناس غير التام : هو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد أو أكثـر من الأربعة السابقة ·

أمثلة للجنـــاس :

١ ـ تعـــــاهدتك العهـــــاد يا طلل
خدث عن الظـاعنين ما فعـــــلوا

٢ ـ ألم تحزن على الربع المحيـــــل
واطـــــلال وآثار محـــــول

٣ـ طار نومى وعـــاود القلب عيـــد
وأبى لى الرقاد حزن شـــــديد

٤ ـ اشـــكو واشـــكر فعـــــله
فاعجب لشـــاك منه شـــاكر

٥ ـ ان الهـــوى لهو الهـــــوان ·

٦ ـ لم الق غيـرك انســـانا ألوذ به
فلا برحت لعين الدهر انســـانا

٧ ـ والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق ·

٨ ـ من بحــــر جـــودك اغترف
وبفضـــل علمـــك اعتـــرف

رد العجز على الصدر :

قال الله تعالى : « وتخشى الناس والله احق أن تخشاه » ·

وقال تعالى : « استغفروا ربكم انه كان غفارا » ·

وقال تعالى : « قال انى لعملكم من القالين » ·

سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل ·

وقال الشاعر :

سريع الى ابن العم يلطم وجهه
وليس الى داعى الندى بسريع

ولشاعر آخر :

سكران : سكر هوى وسكر مدامة
أنى يفيق فتى به سكران ؟

فى هذه الأمثلة نجد اللفظة واقعة فى أول الفقرة (١) ، أو أول بيت الشعر ، وهى نفسها ـ سواء كانت بمعنى اللفظة الأولى أم أن اللفظتين اختلفتا معنى ـ فى آخر الفقرة أو آخر البيت من الشعر ·

ومثل هذا الأسلوب يسمى رد العجز على الصدر وهو من المحسنات البديعية التى ترجع الى اللفظ ، ولا شك أنه يكسب الكلام سحرا وبلاغة ·

فرد العجز على الصدر هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين فى أول الجملة ، واللفظ الآخر فى آخرها ، وكذلك فى الشعر أن يكون أحد اللفظين فى أول البيت والآخر فى آخره ·

ورد العجز على الصدر فى الشعر أكثر تنوعا ، وأشمل لألوان عديدة فمن رد العجز على الصدر فى الشعر أيضا :

قول الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

وقوله :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا
ان الحياة عقيدة وجهاد

وقوله :

وان لم يكن الا معرج ساعة قليلا
فانى نافع لى قليلها

---

(١) الجملة من الكلام ·

فنجد احد اللفظين المكررين وقع فى آخر البيت واللفظ الآخر وقع فى وسط الشطر الأول من البيت ، أو فى أول الشطر الثانى من البيت كذلك ٠

فكل هذه الأمثلة وما شابهها تعد من رد العجز على الصدر الذى عرفتك معناه ٠

المحسنات المعنوية :

١ ــ المطـــابقة :

١ ــ حيطـــــانه من نـــور
والسقف مـــن نيـــــران

٢ ــ تعز من تشاء وتذل من تشاء ٠

٣ ــ وأصـــــدع شـــكى باليقين واننى
لنفسى على بعض المســاءة حابس

٤ ــ انه الدهر يعصى ويطيع ٠

٥ ــ يتقلب العالم فى أحضان السلام والحرب ٠

٦ ــ أنت بعيد قريب ٠

٧ ــ ما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار ٠

٨ ــ نسير من ظلام الى نور ومن شقاء الى سعادة ومن شر الى خير ٠

فى الأمثلة السابقة طباق أو مطـابقة يكسب المعنى ســحرا والأسلوب جمالا ٠٠

والطباق هو الجمع بين معنيين متقابلين فى كلام واحد ٠

اقسام الطبـــاق :

١ ــ طباق ايجاب مثل ضحك وبكى وحزن وسر وقام وقعد ٠ فهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد ٠

٢ ــ طباق سلب ، مثل أعلم ولا أعلم ، وأعرف ولا أعرف ، ولا تمشى فى الشر وامش فى الخير ، ولا تعص أستاذك واعص من يغشك ٠

فهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالاثبات والنفى أو بالأمر والنهى ٠

امثلة للطبـــاق :

١ ـ تضحك الأرض من بكاء السـماء ٠

٢ ـ اعاذل قد كبرت على العتـــاب
وقد ضـحك المشيب على الشباب

٣ ـ عرفت زمــــانى بؤسه ورخـــاءه
ودهــــــرك يخطى تارة ويصيب

٤ ـ وكـــم ذم لهم فى جنب مـــدح
وجـــد بين اثنـــاء المزاح

٥ ـ جل ما بى وقل صــبرى ففى قلبى
جراح وحشو جفنى الســـهاد

٦ ـ شــيبتنى وما يشـــيبنى السن
هموم تترى ودهـــر عنيـــد

٧ ـ هل لدنيا قد اقبلت نحونا دهرا فصدت وليس منا صدود ٠

المقـــابلة :

امثـــلة :

١ ـ قال تعالى : فليضحكوا قليلا ، وليبكوا كثيرا ٠

٢ ـ وقال صلى الله عليه وسلم للأنصار : انكم لتكثرون عنـــد الفزع ، وتقلون عند الطمع ٠

٣ ـ وقال خالد بن صـفوان : ليس له صـديق فى السر ، ولا عدو فى العلانية ٠

التحليل :

فى الأمثلة الماضية تجد ان كل مثال منها يشتمل فى صدره على معنيين ويشتمل فى عجــزه على ما يقابل هـــذين المعنيين على الترتيب ، ففى الاية الكريمة ذكر الله تعـالى الضحك والقـلة ، ثم قابل ذلك بالبكاء والكثرة على الترتيب ، وفى الحديث الشريف جمع الرسول بين صفتين من صفات الأنصار فى صدر الكلام هما الكثرة والفـزع ، ثم قابل ذلك فى آخـــر الكلام بصفتين

اخريين مقابلتين للصفتين الســابقتين ، وهما القــلة والطمع على الترتيب ، وقابل خالد فى كلمته الصديق والسر بالعدو والعلانية ٠

ومثل هذا الاسلوب يسمى مقابلة ، ولا شك ان المقـــابلة تكسب الكلام والمعنى جمالا وسحرا وبلاغة ٠

القاعــدة :

المقــابلة هى ان أن يؤتى فى الأســلوب بمعنيين أو اكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب :

امثلة للمقابلة :

١ ـ يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ٠

٢ ـ كدر الجماعة خير من صفو الفرقة ٠

٣ ـ ما كان الرفق فى شىء الا زانه ، ولا نزع من شىء الا شانه ٠

٤ ـ **البحترى :**

وإذا حاربوا اذلـــوا عــزيزا
وإذا سالموا اعزوا ذليـــلا

٥ ـ فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

٦ ـ يا دهر يا منجز ايعـــاده
ومخلف المأمول من وعـــده ٠

٧ ـ ومنظر كان بالسراء يضحكنى
يا قرب ما عاد بالضراء يبكينى ٠

٨ ـ وقال تعالى : « باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب » ٠

٩ ـ على يستيقظ فى الليل وينام فى النهار ٠

١٠ـ فلا الجود يفنى المال والجد مقبل
ولا البخل يبقى المال والجـد مدبر ٠

١١ـ ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا
وأقبح الكفر والافــلاس بالرجل ٠

١٢ـ ازورهم وســـواد الليل يشفع لى
وانثنى وبياض الصــبح يغرى بى ٠

١٣ـ ما اجمد فى حق ولا اذوب فى باطل

١٤ـ لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها
سرور محب أو اساءة مجرم ؟

والمقابلة هنا ناقصة بعض الشىء ، ومعيبة بعض العيب ، اذ المجرم لا يقابل المحب وانما يقابل البرىء والمحب يقابله المبغض ٠

١٦ـ على راس عبد تاج عز يزينه
وفى رجل حر قيد ذل يشينه ٠

مراعاة النظير :

امثلة :

١ ـ الشمس والقمر بحسبان

٢ ـ كأن الثريا علقت فى جبينه
وفى خده الشعرى ، وفى وجهه البدر ٠

٣ ـ والضحى والليل اذا سجى

٤ ـ الكتابة والصحافة والشعر من الفنون المهذبة ٠

٥ ـ الجامعات والمدارس والمعاهد والمكتبات والاذاعة تعمل عملها فى تهذيب النشء ٠

٦ ـ فيه من كرم حاتم ، وفصاحة قس ، وبلاغة سحبان ، وشجاعة عنترة ، ما يجعله عظيما ٠

٧ ـ هو اسماعيلى الوعد ، شعيبى التوفيق ، يوسفى العفو ، محمدى الخلق ٠

٨ ـ الورد والزهر والروض والثمر والحدائق الغناء ، والاشجار اللفاء والنباتات الخضراء ، مما يبعث فى النفس السرور والارتياح ٠

التعليل :

فى المثال السابق قد جمع فى الأسلوب بين أمور متناسبة ، ليست متضادة ، فكل مثال منها مما يسمى المحسن المعنوى فيه « مراعاة النظير » ٠

ولا شك أن مراعاة النظير تكسب المعنى جمالا والكلام سحرا ٠

التعريف :

مراعاة النظير هي ان يجمع فى الكلام بين امور متناسبة لاعلى سبيل التضاد ومن هذا نعرف أن جمع أمور متناسبة على وجه التضاد لا يسمى « مراعاة النظير » وانما هو طباق او مقابلة على ما عرفت من قبل ٠

التورية :

١ ـ يا عاذلى فيه قل لى
اذا بدا كيف أسلو ؟

يمر بى كل وقت
وكلما مر يحلو

« مرهنا » لها معنيان : قريب وهو المرور والذهاب ، وبعيد وهو ضد الحلاوة والمراد هنا هو المعنى البعيد ٠

٢ ـ وتقول عن رجل جبان : دعوه ياكل عيشه بجبنه
فالمعنى القريب لكلمة جبنه : اكل العيش بالجبنة وهو غير مراد ، والبعيد : الحياة فى ظلال الجبن وهو المراد ٠

٣ ـ وقال ابو بكر حين سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهما مهاجران الى المدينة : هاد يهدينى ٠ فالمعنى القريب انه يرشده الى الطريق فى السفر ، والمعنى البعيد انه يهديه الى الحق والدين والخير وهو المراد ٠

٤ ـ ويقول الشاعر :

الروض احسن مارايت اذا تكاثرت الهموم
تحنو على غصونه ويرق لى فيه النسيم ٠

فالمعنى القريب للكلمتين تحنو ويرق هو العطف والشفقة ٠ والمعنى البعيد : ميل الاغصان ولطف النسيم ، وهو المراد ، ففى كل من اللفظين تحنو ويرق جمال فنى بديع نسميه تورية ٠

الخلاصة :

التورية هى أن يذكر لفظ له معنيان : أحدهما قريب غير مراد ، والثانى بعيد هو المراد ، ويدل على المعنى البعيد المراد بقرينة يغلب ان تكون خفية لا يدركها الا الفطن ٠

امثـلة للتــورية :

١ ـ جــــودوا لنسجع بالمــديح
على عـــلاكم ســــرمدا ٠

فالطير احسن ماتغـــــرد
عنـــد ما يقع النــــدى ٠

٣ ـ شـــكرا لنســمة ارضــكم
كم بلغت عنى التحيـــــة ٠

لا غـــرو ان حفظت احـــاد
يث الهوى فهى الذكيــــة ٠

٤ ـ اقول وقد شدوا الى الحرب غارة
دعونى فانى اكل الخبز بالجبن ٠

العكس :

١ ـ قال تعالى : « **يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى** » ٠

٢ ـ وقال تعالى : « **هن لباس لكم ، وانتم لباس لهن** » ٠

٣ ـ وقال تعالى : « **ما عليك من حســابهم من شىء وما من حسابكم عليهم من شىء** » ٠

٤ ـ وقال الحسن البصرى : « ان من خوفك حتى تلقى الأمن خيــر من امنك حتى تلقى الخوف » ٠

٥ ـ وقال الشاعر :

فلا مجــد فى الدنيـــا لمن قل ماله
ولا مال فى الدنيا لمن قل مجــده ٠

٦ ـ وقال الشاعر :

ان الليـــالى للانام مناهـل
تطـــوى وتنشر دونها الاعمـــار ٠

فقصــــارهن مع الهمـــوم طويلـة
وطوالهن مع الســـرور قصــار ٠

٧ ـ قال الشاعر :

فـــرد شعورهن الســـود بيضـــا
وود وجوههن البيض ســـودا ٠

وفى المثال الأول نجد جملتين قد عكس متعلق الفعلين فيهما ـ أى فى هاتين الجملتين ـ الحى من الميت ، الميت من الحى ، وكذلك الأمر فى المثال الرابع والسابع ·

وفى المثال الثانى قدم جزء فى أول الجملة ، ثم اخر فى الجملة الثانية ، وكذلك الامر فى المثال الثالث والخامس والسادس ·

والاسلوب فى هذه المثل كلها يسمى العكس أو التبديل ، وهو من المحسنات المعنوية التى تكسب الاسلوب والمعنى جمالا وطرافة ·

والعكس بمعناه العام هو ان يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر ·

المشاكلة :

قال تعالى : « **وجزاء سيئة سيئة مثلها** » ·

وقال تعالى : « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » ·

وقال تعالى : « **تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك** » ·

وقال الشاعر :

قالوا : اقترح شيئا نجد لك طبخه

قلت : اطبخوا لى جبة وقميصا

وقال تعالى : صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ؟ ·

فى المثال الأول سمى الله تعالى جزاء السيئة باسم السيئة لوقوع جزاء السيئة بجوارها ·

وفى المثال الثانى سمى الله تعالى رد الاعتداء باسم الاعتداء لوقوعه بجواره ، وكذلك فى المثال الثالث سمى ذات الله باسم النفس لوقوعها بجوار لفظة « نفسى » ·

وفى المثال الرابع سمى الخياطة باسم الطبخ (اطبخوا) لوقوع لفظة « اطبخوا » قبلها ·

وفى المثال الخامس سمى تطهير الله باسم الصبغة لوقوعه فى صحبة الصبغة المقدرة التى تدل عليها حال الكلام فقد جىء بلفظ « الصبغة » مشاكلة للفظة الصبغة المقدرة دون أن تكون قد تقدمت فى الكلام ، لان قرينة الحال التى هى سبب النزول وهى غمس النصارى أولادهم فى ماء صفر يسمونه

المعمودية قرينة على ذلك ، والمراد بـ « صبغة الله » تطهير الله ، لأن الايمان يطهر النفوس » ٠

ومثل هذه الاساليب كلها تسمى مشاكلة ٠

فالمشاكلة هى ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا ، فذكره تحقيقا كما فى الأمثلة الأربعة الأولى ، وذكره تقديرا كما فى المثال الخامس ٠

والمشاكلة من المحسنات البديعية الراجعة الى المعنى وهى تكسب المعنى طرافة وجمالا وحسنا ، متى اتى بها البليغ جيدة الاداء والمعنى ٠

الاستخدام :

قال الشاعر :

اذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وان كانوا غضابا ٠

أراد الشاعر بالسماء المطر ، وبهاء الضمير فى « رعيناه » العائدة الى السماء النبات ، فالسماء هنا لها معنين : المعنى الاول المطر ، والمعنى الثانى النبات ، فقد اريد بلفظ السماء أحد المعنيين ، وبضمير السماء معناها الاخر ٠

وقال شاعر أخر :

فسقى الغضا (١) والساكنيه وان هم
شبوه بين جوانحى وضلوعى ٠

فقد أراد الشاعر بضمير الغضا فى قوله : « الساكنيه » المكان ، وبضمير الغضا الاخر فى قوله « فشبوه » الشجر ٠

ومثل هذا الأسلوب يسمى استخداما ، فالاستخدام هو أن يراد بلفظ له معنيان أحد المعنيين وبضميره المعنى الاخر كما فى المثال الاول ، أو يراد باحد ضميرى اللفظ أحد المعنيين وبالضمير الثانى المعنى الاخر كما فى المثال الثانى ٠

والاستخدام من المحسنات البديعية التى تكسب المعنى والأسلوب جمالا

---

(١) الغضا : اسم شجر ينبت فى امكنة خاصة من الصحراء ٠

متى تحسن المحسنات البديعية ؟

تحسن المحسنات البديعية اذا :

١ ـ طلبها المعنى واستدعاها المقـام ٠

٢ ـ وكانت غير متكلفة ولا متراكمة بجوار بعضها ٠

٣ ـ واكسبت الكلام سحرا ، بأن تشوف السـامع ، وتقـرب المعنى منـه ٠

٤ ـ وكانت فى موضوعها الملائم من الاسلوب ٠

امثلة لمحسنات بديعية بليغة :

١ ـ قال تعالى : « **فاما من اعطى واتقى وصـدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، واما من بخل واستغنى وكـذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** » ٠

٢ ـ احرص على الموت توهب لك الحياة ٠

٣ ـ انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع ٠

٤ ـ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ٠

٥ ـ كلهم اعمى اذا ما كان خيـــر
ولـدى الشـــر بصـــير وسميع ٠

٦ ـ فأمـامى المـــر من عمـــرى
وورائى منــــه ما طـــــابا ٠

٧ ـ يقوم الليـل وينام النهـار :

٨ ـ تاه علينـــا فتـــاه منـــا
فلا نـــــراه ولا يـــــرانا ٠

٩ ـ ويا من مدحـــه كـــذب
ويا من ذمـــــه صــــــدق

ملاحظـــــة :

اذا لم تستوف المحسنات البـديعية شروط حسنها كانت قبيحة مملـوله فلا توضح المعنى وتقربه وتشوق اليه ، بل تخفيه وتبعده وتجعل السامع يمل من سماع الكلام ٠

وكذلك اذ كثرت المحسنات البديعية فى الكلام جنت على المعنى وقللت من جمال الاسلوب وروعته ولم تفد السامع كبير فائدة ٠

وانما تستحب المحسنات اذا تصرف فيها الاديب بذوقه وطبعــه فجاءت قليلة جميلة رائعة على ما سبق فى الفصــل الســابق ٠٠ ومن أمثـلة تراكم المحسنات البديعية قول الحريرى :

زينب زينت ، بقــــد يقـــد
وتلاه ويلاه نهــــــد يهـــــد ٠

جندها جيــــدها ، وظـرف وطـرف
ناعس تاعس ، بحــد يحـــد ٠

قـــدرها قدزها ، وتاهت وباهــت
واغتدت واعتدت بخــد يخــد ٠

الباب الثامن

البلاغة العربية ومكانها
من حركات التجديد



البلاغة من السكاكى الى العصر الحديث :

- ١ -

ترك السكاكى (ـ ٦٢٦ هـ) كتابه « مفتاح العلوم » الذى شغل العلماء منه « القسم » الثالث ، والذى جعله قاصرا على البلاغة ، لمكانه من التحديد ، والتنظيم ، والتقسيم ، والتبويب ، وتلاه بدر الـدين بن مـالك (ـ ٦٨٦ هـ) صاحب كتاب المصباح (ـ ٧٣٩ هـ) ٠

وجاء بعده الخطيب القزوينى صاحب كتابى : « الايضاح والتلخيص » ثم حمزة بن يحيى العلوى (ـ ٧٤٩ هـ) مؤلف كتاب « الطراز » ، وابن قيم الجوزية (ـ ٧٥١ هـ) صاحب كتاب الفوائد ، وغيرهم ٠

وجاءت مدرسة تلاميذ السكاكى من مثل : السعد (ـ ٧٩١ هـ) ، والسيد (ـ ٨١٦ هـ) والسبكى ، وابن يعقوب ، وغيرهم ٠

ثم جاء السيوطى صاحب « عقود الجمان » ، (توفى عام ٩١١ هـ) ، وقد اطلعت على كتاب مخطوط له فى البلاغة فى مكتبة عارف حكمت بالمدينـة المنورة ٠

وفى العصر الحديث نادى أمين الخولى ومحمد عرفة وعبد الله العلايلى وأحمد الشايب ، كما نادى آخرون معهم بالتجديد فى البحث البلاغى ٠

فذهب محمد عرفة الى وجوب فهم التراث فهما جيدا ، والى الاضـافة عليه ، والتجديد فيه ٠

وذهب الخولى الى أن تقسيم البلاغة الى علوم ثلاثة هى المعانى والبيان والبديع لا طائل تحته ، ولا جدوى منه : والى أن البحث البلاغى يجب أن يشمل الكلمة والجملة والفقرة والقطعة الأدبية جميعا دون البحث عن الجملة أو الجملتين فحسب ، كما ذهب الى أن طريقـة العجم وأصحاب الفلسفة فى البلاغة يجب اجتنابها ، ليقوم مكانهـا دراسات فنية تعتمـد على الاحسـاس بالجمال والتعبير عنه ، وهذه الدراسات نجدها فى علم النفس الذى يجب أن نبحث فى أثره فى التعبير الأدبى ، وفى دراسة الوجدان وعلاقتـه بمظـاهر الشعور من ناحية العمل الفنى ، وفى الخيال والذاكرة والذوق والاحساس ، وتحدث فى كتابه فن القول عن مسائل كثيرة حول البلاغة ومشكلاتها ، وذهب الى أن فن القول يدور حول أقسام ثلاثة :

١ ـ المبادىء ٠ ٢ ـ المقدمات ٠ ٣ ـ البحوث ٠

والمبادىء لتعريفنا بفن القول وأهدافه وغايته وصلته بغيره من الدراسات ·

والمقدمات تدور حول دراسات علم النفس وغيره من حيث اتصال ذلك كله بالتعبير الأدبى ·

والبحوث تسير فى بحث الكلمة والجملة ، والفقرة ، والقطعة ·

ثم ندرس الأسلوب وأنواعه : من أسلوب فكاهى وتهكمى ورمزى وغير ذلك (١) ·

ويذهب أحمد الشايب الى أن البلاغة يمكن حصرها فى موضوعين رئيسيين ، هما : الأسلوب ، والفنون الأدبية ·

ففى الفنون الأدبية ندرس مادة الكلام من حيث اختيارها وتقسيمها وتنسيقها ، وقواعد هذه الفنون : كالقصة والرسالة والمناظرة والتاريخ والمقالة والوصف ، وسوى ذلك ·

وفى الأسلوب ندرس الكلمة والصورة والجملة والعبارة وأنواع الأسلوب (٢) ·

وينادى العلايلى بأن يقتصر البيان على بحوث التشبيه والحقيقة والمجاز والكتابة ·

وعلم المعانى عنده متصل بالأدب وبكتبه ، وكذلك البديع يدرس كما يدرس علم المعانى (٣) ·

وهناك آراء أخرى تدعو الى التجديد البلاغى ، وتنادى به ، وترسم له طريقه (٤) ، ومن بينها آراء كثيرة للأستاذين : عبد المتعال الصعيدى (٥) ، وأحمد مصطفى المراغى (٦) ، رحمهما الله ·

---

(١) راجع كتاب « فن القول » وكتاب « مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والآداب » المطبوع عام ١٩٦١ ـ بالقاهرة ·

(٢) راجع كتاب « الأسلوب » للشايب ·

(٣) راجع كتاب مقدمة لدرس لغة العرب للعلايلى ·

(٤) راجع مجلة الكتاب العراقية ـ عدد نيسان ١٩٦٢ ـ مقال للدكتور أحمد مطلوب بعنوان « آراء فى البلاغة العربية » ·

(٥) راجع كتاب البلاغة العالية وتجديد البلاغة ·

(٦) راجع كتاب بحوث وآراء فى البلاغة ·

تيارات جديدة فى البلاغة :

- ١ -

البلاغة العربية لا تبتدىء بعبد القاهر الذى وضع أصولها ، وابتكر بحوثها فى القرن الخامس الهجرى (٤١٣ ـ ٤٧١ هـ) وألف فيها كتابيه الجديدين فى تاريخ الأدب والنقد والبيان العربى ، وهما : دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ؛ ولا تبتدىء كذلك بالسكاكى الذى وضع اصطلاحاتها الفنية ، وقسمها الى علوم ثلاثة :

المعانى ، والبيان ، والبديع ... ووضع لكل علم منها بحوثه ومقوماته واصطلاحاته ، ومنذ توفى عام ٦٢٦ هـ حتى اليوم والبلاغة العربية عالة على كل شىء كتبه ، وكل اصطلاح سماه .

انما هى حركة فكرية بيانية تتحكم فيها تيارات عديدة :

١ ـ **التيار العربى** : وقد شرع له كثير من أئمة اللغة والأدب والنقد والبيان فى القرنين الثانى والثالث الهجرى ، وفى مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء (ـ ١٥٤ هـ) والخليل بن أحمد (ـ ١٧١ هـ) والمفضل (١٧٨ هـ) وخلف ١٨١ هـ وسيبويه (ـ ١٨٩ هـ) ، وأبو عبيدة (ـ ٢٠٨ هـ) والاصمعى (ـ ٢١٦ هـ) وابن سلام الجمحى (٢٣١ هـ) وكان يمثل هذا التيار آراء موجزة مفرقة غير محددة فى أصول النقد والأدب والبيان ، وانضم اليها آراء كثيرة قيلت فى الشعر والشعراء ، منها : ما لوحظ على الفرزدق من قوة ومن تعقيد ، وما لوحظ على زهير من انتقاء التعقيد فى شعره ، وما لوحظ على جرير من عذوبة ورقة ، وما لوحظ على بشار من توليد ، وعلى أبى العتاهية من طبع ، وعلى مسلم من صنعة ، وما لوحظ على ذى الرمة مثلا مـ ناغراب ، وساند هذا التيار امام كبير من أئمة الأدب والبيان والتبيين ، وهو الجاحظ ـ ٢٥٥ هـ فى كتابيه (البيان) و (الحيوان) ، وغيرهما من روائع الآثار ، ثم أيد هذا التيار : ابن قتيبة (ـ ٢٧٦ هـ) صاحب كتاب (الشعر والشعراء) وكتاب (أدب الكاتب) ، وابراهيم بن المدبر صاحب (الرسالة العذراء) فى فن الكتابة والرسائل ، وقد ضمنها بعض موازين للنقد والبلاغة ، وأيده كذلك المبرد (ـ ٢٨٥ هـ) صاحب كتاب (الكامل) وكتاب (المقتضب) وغيرهما ، ثم ثعلب (ـ ٢٩١ هـ) صاحب كتاب (قواعد الشعر) وغيره ، ثم ابن المعتز الخليفة العباسى الشاعر (ـ ٢٩٦ هـ) ، وهو صاحب كتاب (البديع) المشهور الذى وضع فيه بعض اصطلاحات علمية للبلاغة ، وحدد هذه الاصطلاحات واستشهد لها بكثير من الشواهد والأمثلة ، وقد استمر هذا التيار متدفقا بعد القرن الثالث ، وظهر فى كتابات الآمدى (ـ ٣٧١ هـ) فى كتابه المشهور (الموازنة) ،

والقاضى الجرجانى (ـ ٣٩٢ هـ) فى كتابه (الوساطة) وغيرهما من ائمة الأدب والنقد : كالباقلانى صاحب كتاب (اعجاز القرآن) ٠

٢ ـ **التيار الأجنبى** : وقـد شرع له فى أوائل القـرن الرابع الهجـرى قدامة بن جعفر (ـ ٣٣٧ هـ) فى كتابه المشهور (نقد الشعر) الذى يظهر فيه التأثر بآراء أرسطو فى الشعر ، وبالتيار المترجم من الأدب اليونانى القديم ، وكانت كتب أرسطو فى الخطابة والشعر وفى غيرهما قد ترجمت فى القـرن الثالث الهجرى ترجمات عربية ذاعت فى كثير من بيئـات العرب الثقـافية ، وكتاب البرهان أو (نقد النثر) لابن وهب (١) ، وهذا الكتاب كذلك يطلعنا على تأثير التيار الأجنبى فى نقد البيان العربى ودراسته ٠

ولقد تأثر بهذا التيار الأجنبى وبآراء قدامة فى نقد الشعر ثلاثة من كبار ائمة النقد فى الأدب العربى ، فألفوا كتبا مشهورة اصطنعوا فيها نفس منهج قدامة فى النقد والبيان الذى سـار عليه فى كتابه نقـد الشعر ، ولجأوا الى اصطلاحاته ، والى نظرياته ، والى تفاصيل موضوعاته ، وان خالفوه أحيانا فى الشرح أو التعليق أو التطبيق أو فى رأى من الآراء ، أو فى الايجاز حينـا والبسط والتفصيل حينا آخر ، وهم :

(أ) أبو هلال العسكرى (ـ ٣٩٥ هـ) صاحب كتاب (الصناعتين) ، وهو امتداد تام لقدامة ومنهجه فى النقد والبيان ٠

(ب) الأمير ابن سنان الخفـاجى (ـ ٤٦٦ هـ) صـاحب كتـاب (سر الفصاحة) الذى اتبع فيه كـذلك نفس منهج قدامة ، مع ظهـور شخصيته فى الدراسة والبحث والعرض والاستنتاج ٠

(ج) ابن رشيق (ـ ٤٥٦ هـ) صاحب كتاب (العمدة) الذى صنع صنيع أبى هلال والخفاجى فى سلوك منهج قدامة العلمى فى النقد والبحث ، وقـد استمر منهج قدامة سـائدا بعد هؤلاء النقـاد حتى آل الى حاتم والسـكاكى (ـ ٦٢٦ هـ) ٠

٣ ـ **التيار المزدوج** : وقد شرع له عبد القاهر الجرجانى (ـ ٤٧١ هـ) الذى أفاد من آراء المدرستين السـابقتين ، فى النقد الأدبى ، فكتب فصـولا ومقالات وبحوثا عن أصول البلاغة العربية وموازينها بروح ابتكارية نقدية

---

(١) راجع شرحى على كتاب الايضاح فى علوم البلاغة للقزوينى ٠ حيث نفيت نسبته لقدامة واثبت نسبته لابن وهب ٠

عميقة ، وقد ضمن دراساته هذه كتابيه (الدلائل والأسرار) اللذين سبق أن اشرنا اليهما ٠٠ ويعد عبد القاهر امام (البلاغة العربية) ، من حيث أنه أفاد من التيارات المختلفة فى دراسة أصول البيان العربى ، وجدد فيها ، ومن حيث انه وضع مباحث علوم البلاغة ، وقنن لموضوعاتها ، وذلل صعوبات البحث فيها ، وشرح مناهج البحث ، ثم اتبع سبيله الرازى (ـ ٦٠٦ هـ) فى كتـابه (دراية الاعجاز) ، ثم السكاكى فى كتابه (المفتاح) ، أو على الأصح فى القسم الثالث منه الذى خصه بالبلاغة العربية ، وقد امتاز السكاكى بتحديد علوم البلاغة وموضوعات كل علم منها ، وتشريع جميع اصطلاحاتها ، وأنه جمع فى كل مسألة آراء عبد القـاهر المفرقة فجعلها دسـتوره وهيكل البحث البلاغى حولها ، ولكنه مع ذلك أضاف الى عبد القاهر ما استطاع أن يضيف اليه من زيادات واصطلاحات ، ويمتاز السكاكى عموما بتعقيده للبـلاغة ، وبتعقيده كذلك فى دراستها ، فقد كان يحـكم الأسلوب المنطقى فى كـل شىء ، فاتخذ من هذا الأسلوب وسيلة للبحث وتنظيم الدراسة ، ومن ثم ساد الأسلوب المنطقى الجدلى مباحث البلاغة العربية منذ ظهر السكاكى ، وقد اقتفاه فى ذلك تلاميذه من مثل القزوينى (ـ ٧٣٩ هـ) والسـعد (ـ ٧٩١ هـ) والسـيد (ـ ٨١٦ هـ) ، والعصام وغيرهم ٠

وقد ظل نهج هذه المدرسة سائدا فى دراسة البلاغة حتى اليوم ٠

- ٢ -

ومدارس البلاغة العربية اليوم ، تظهر فى بيئات علمية عـديدة كبيئة كليات الآداب فى جامعاتنا ، وبيئة كلية اللغة العربية فى الأزهر ، وتمتـاز الاولى بظهور محاولات لتلقيح البلاغة العربية بالبلاغات الأوربية ، نجد صداها فيما ألف الشايب فى كتابه (الأسلوب) ، وفيما ألف الخولى فى كتـابه (فن القول) ، وفيما ألف طه حسين من كتب موجزة لمدارسنا ، وتمتاز الثـانية ، بالتعمق فى دراسة البلاغة العربية وتصفيتها من الشوائب ومن الآراء المعقدة التى تسربت اليها ، وكتاب الايضاح للقزوينى على أية حال صورة لاتزال ذات أثر كبير فى التفكير البلاغى عند مختلف البيئات البيانية فى مصر والعـالم العربى ٠

ولكن صدى التجديد فى دراسة البلاغة العربية ضعيف غاية الضعف قليل الجدوى غاية القلة ، متعثر فى خطاه كل التعثر ، وكأن الدرس البلاغى لا يعنى مصر والعالم العبى فى قليل ولا فى كثير ، مع أن عالمنا العربى هو موطن العروبة ، والأرض التى نزلت فيها معجزة القرآن الكريم واستمعت الى بلاغته ٠

وأحب القول بأنه يجب تغيير البلاغة العربية تغييرا كاملا شاملا :

(أ) فيحذف ما نسميه علم المعانى والبديع ويحل محلها فن الأسلوب ، على أن تكون موضوعات بحث هذا العلم ، هى : صور التعبير البلاغى ، بلاغة الايجاز ، بلاغة الاطنـاب ، بلاغة القصر ، قوة الأسلوب وعذوبتـه ، أسلوب الالتفات ، أسلوب التجـريد ـ الأسلوب الحـكيم ، أسلوب الخبـر ، أسلوب الانشاء ، أسلوب التكرير ، الذوق البلاغى وأثره فى الأسلوب ، الاسناد الى الفاعل وغيره ، بلاغة الاسـناد العقلى ، ثقـافة الكاتب والأسلوب ، الطبـع والصنعة ، ويدخل فى الصنعة بعض الصور التى هى مباحث ما نسميه بعـلم البديع ٠

(ب) يحذف ما يسميه علم البيان ويحل محله (فن الخيال البيانى) أو « الصور البيانية » ويشتمل هذا الفن على ما يلى :

الحقيقة والخيال ٠

الخيال فى التشبيه ـ الخيال فى الكناية ـ الخيال فى الاستعارة ـ الخيال فى حسن التعليل ـ الفكرة الفلسـفية والتعبير ـ الخيال والمبـالغة ـ صور الخيال فى البيان العربى ـ التجديد فى الخيال ٠

وان أردنا اسما قديما لهذا الفن ، فما أحرانا أن نطلق عليه (فن المعانى) بدلا من فن البيـان ، ونطلق على الفن السـابق وهـو فن الأسلوب اسم (فن البيان) ٠

(ج) يحذف من البلاغة كل ما يتصل بالنحـو العربى عن مثل : مبـاحث باب المسند وباب المسند اليه ٠

(د) يحذف منها كل ما يتصل بالمنطق والفلسفة ٠

(هـ) تختار أمثلة جديدة لشتى بحوث البلاغة من ناصع الأدب العربى وبليغه فى مختلف العصور وبخاصة مما يحفظه الطلاب من نصوص أدبية على أن توجد هذه النصوص فى مختلف المدارس والمعاهد فى العالم العربى للفرق المتساوية ٠

٢ ـ ينشأ درس للنقد البلاغى يدرس فيه شخصية الأديب وسمات أدبه ، وخصائصه الأسلوبية ، وتجديده البيانى ، ومدى ما يشتمل عليه أدب الأديب من عاطفة وصدق واثارة ، ومدى ما وصل اليه الأديب من تجديد فى فنه البلاغى ٠

هذه خطوط عامة صغيرة لا يضيرنا أن نقول انها قد تعد نواة لما ننشده من تجديد ٠٠٠

حول التجديد البلاغى :

- ١ -

النقد أو البلاغة العربية مدينان على نشأتهما الأولى لجهود علماء اللغة والأدب ، ولمثابرة الرواة والنقاد الباحثين فى أصول البيان العربى ، مع الأثر الفذ الذى أحدثه الكتاب والشعراء والأدباء فى القرن الثانى والثالث الهجرى٠

ولقد تلاحقت الثقـافات ، واتصلت المعـــارف ، وتبودلت الأفكار ، فى عواصم العلم والثقافة فى العالم الاسلامى القديم ، على أيدى العرب الذين نبغوا فى اللغات الأجنبية ، والموالى الذين حذقوا اللغة العربية وأجادوها ، والمترجمين الذين كانوا همزة الوصل بين الثقافات القديمة والثقافة العربية الاسلامية الأصيلة ٠

كان خلف لا يشق له غبار فى صناعة النقد ، « لنفاذه فيها وحذقه بها واجادته لها » (١) ، وكان أبو عبيدة يعجب من فطنـة بشــار وجودة قريحته وصحة نقده للشعر (٢) ، وكان خلف يعجب من نقده للشعر ومذاهبه (٣) ، وكان الجاحظ (٤) يرى أن بشارا زعيم المولدين ٠٠ ثم جاء ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن المدبر وابن المعتز ، فكان لجهودهم أثر كبير فى نشأة البلاغة ونمو البحث فى أصول البيان ٠

ولا ننسى جهــود طائفة أخرى من العلمــاء فى اثارة البحوث البـلاغية والتعليق عليها ، وتلك الطائفة هى جماعة العلماء الذين شغلوا بالبحث فى اعجاز القرآن الكريم وتفهم أسرار هذا الاعجاز والتأليف فيه ، فكشفوا الكثير من غوامض البلاغة وأصولها ، ومن هؤلاء أبو عبيدة والجاحظ وسواهما من أئمة المعتزلة وفحولها ٠

---

(١) ١/١٩٧ العمدة ٠
(٢) ٢٠٧ طبقات ابن سلام ٠
(٣) ٣/٢٣ الأغانى ٠
(٤) ١/٩١ العمدة ٠

وعلى أيدى قدامة وأبى هلال والآمدى والقاضى والجرجانى وغيرهم من أفذاذ النقاد فى القـرن الرابع الهجرى ، نرى البحث البلاغى ينمو ويقـوى ويزدهر · ثم تلاهم الباقلانى وابن سنان وابن رشيق من علماء النقد والبيان ·

ولقد لمعت عبقرية عبد القاهر الجرجانى المتوفى عام ٤٧١ هـ فى هـذا العهد ، وكان مظهر هذه العبقرية اللماحة كتابان جليلان ألفهما قبل وفاته بقليل هما : (دلائل الاعجاز) و (أسرار البلاغة) اللذان يعدان حتى اليوم أصــلا ضخما من أصول البيان وبحوث البلاغة والنقد والموازنة ·

وبعد عبد القاهر انطفأ السراج ، وذبل العود ، وأصيبت الأذواق بالعى والعجز ، كما أصيبت البلاغة بالتأخر والاضمحلال · وبعد نحو قرن ونصف قرن ظهر فجأة السكاكى بعقليته المنطقية وذوقه الأعجمى ، فأحال البلاغة الى جدل عقيم فى الألفاظ والأساليب ، والى قواعد جافة لا صلة لها بالذوق ولا بالحياة ، وكثر تلاميذ السكاكى ، وانتشر مذهبه فى البلاغة الذى يمثله القسم الثالث من كتابه (المفتاح) ، والذى عنى فيــه مؤلفه بالقشور لا باللبــاب ، وبالتوافه لا بالحقائق ، ولاتزال دراستنا للبلاغة حتى اليوم قائمة على أصول مذهب السكاكى وتلاميذه وحدهم دون سواهم ·

- ٢ -

ولقد نهض جماعة من أدبائنا يدعون الى التجديد فى البلاغة ، فمن قائل : ان الكتب القديمة يجب أن تحل محلها كتب أخرى مؤلفة على النهج الحديث ، ومن دعاة الى تلقيح البلاغة العربيــة بأصول الدراسات البلاغية فى شــتى اللغات الحديثة الأوربية ، ومن ناهجين مناهج الغرب فى بحث أسرار البلاغة وأصولها ، ومن منادين الى مذاهب البلاغيين القدماء : من أمثال عبد القاهر وقدامة وأبى هلال ·

وهكذا تعددت الآراء ، وتخاصمت الأفكار ، فى التجديد فى البلاغة ، وبيان كيف يكون هذا التجديد ، على أن أذواق علمائنا المعاصرين وأدبائنــا المشهورين لا تكاد تساعد على الوصول الى هدف أو غاية ينشدهما المشفقون على البلاغة العربية اليوم ، والذين يحاولون التجديد فيها يكتفون بنقل أفكار الغربيين دون فهم أو يقظة فكرية أو المام ما بتراثنا القديم الخالد فى البلاغة والبيان والنقد ·

عرض عبد القاهر الجرجانى للحـذف ومكانه من البــلاغة دون أن يبين سبب هذا الحسن والاحسان ، وسر هـذا الجمال البيــانى الأخــاذ ، ويذهب

السكاكى والخطيب وتلاميذهم الى أن الحذف فى موضعه كالذكر فى موضعه ، لكل مكانه من البلاغة ، ومنزلته من سحر البيان ، وأبوا أن يكون للحذف مزية على الذكر بل هما يحصلان البلاغة ويوجدانها ، ثم عللوا الحذف بعلل متكلفة لا صلة بينها وبين أحكام الذوق الأدبى السليم ·

ولكن الدراسة التى نشرت فى مجلة الأزهر ـ عدد ربيع الأول ١٣٧٢ هـ ـ بعنوان « علوم البلاغة فى الميزان » والتى اتجه فيها الكاتب الى اثارة الملكات، وتنشيط الأفكار ، وتحريض الأذهان على النظر والبحث والنقد والاستنتاج والكشف ، وجفز الهمم للبحث والابتكار ، هى محاولة مجدية قوية فى سبيل التجديد البلاغى ، وأول ذلك الأسرار البلاغية الدقيقة للحذف ، ومحاولة الكشف عنها ·

ويحاول الباحث أن يعلل سر جمال الحذف وبلاغته بأسباب نفسية وأمور بيانية ، منها الهجوم بالسامع على المطلوب دفعة ، والجدة التى نراها فى أسلوب الحذف ، ومنها أن المحذوف تدل عليه القرائن ، فاذا ذكر كان ثقيلا فى موضعه لأنه تعريف لما عرف وبيان لما بين ، فيربط بذلك بين البلاغة وأحكام الذوق وأسرار البيان وملكات النفس الانسانية ·

ومن البحوث التى أثارها هذا البحث أسلوب التجريد ، وتحليل ألوان جماله وسر هذا الجمال ، بعيدا عن تكلف القدماء وتأويلهم ·

وكذلك عرض لأسلوب : رأيت اليوم حاتما ولقيت ماردا وسمعت سحبان وما أشبه ذلك ، مما أوله البلاغيون فجعلوا حاتما هنا كأنه موضوع للجواد ، فانتزعوه من معناه وهو « العلمية على الرجل المعروف من طىء » وبهذا التأويل يكون حاتم متناولا للفرد المتعارف المعهود والفرد غير المتعارف ، وهو من يتصف بالجود ، فيصير استعماله فى غير المتعارف استعمالا فى غير ما وضع له فيكون عندهم استعارة ·

والأستاذ محمد عرفة يبحث ذلك كله ويناقشه وينقده ، ويحاول الوصول الى الصواب فى أمره ، حيث يرى أن المراد هنا تشبيه هذا الكريم بحاتم فى جوده ، فحاتم باق على معناه دون تغيير أو تبديل ·

ان القديم ليس كله صوابا ، وليس كله خطأ ، بل فيه الصواب ، وفيه الخطأ ، وفيه سوى ذلك ألوان من القصور العلمى الذى يجب ملافاته ، فما أجدرنا بتجديد البحث والدراسة فى أصول بلاغتنا ، وفى مذاهب البيان وأسراره ·

خاتمة الكتاب

هذا الكتاب يمثل منهجا جديدا قبل أن يمثل بحثا علميا حول أساليب البلاغة وفى الامكان أن نضيف اليه فى الطبعات التالية الزيادات العلميــــة المتعلقة بكل باب من ابواب البلاغة التى ذكرناها هنا فى ايجاز شديد حتى نعطى الصوة كاملة والمنهج واضحا ، والخطة ظاهرة فى عمومها وايجازها ٠

ولا ريب أن ما يثيره هذا الكتاب من بحث ، وما يوضحه من منهج ، كفيل بأن يخطط للبلاغة العربية طريقها الجـديد المأمون العثار ، الـذى نرجو أن تسلكه فى ضوء متغيرات العصر ، وتجديدات الفكر الراهن ، وثورة الاتصال بالجماهير التى تجعل من العــالم أشـبه ما يكون بقـرية اليكترونية صغيرة ، حيث بلغ التواصل الانسانى أقصى مداه ، الأمر الذى يقتضى ضرورة البحث عن بلاغة جديدة ، تعبر عن هذا العصر بكل ألوانه ومتغيراته ٠

ولا نملك الا أن نقول ان الشباب المعــاصرين سوف يفهمون على ضوء هذا المنهج البلاغة العربية فهما أعمق ، ينبع من الأصالة والمعاصرة والرغبــة فى التجديد والتعبير عن مقتضيات التطور نحو بلاغة جديدة ٠

المؤلفــان

من مصادر البحث

١ ـ الايضاح فى البلاغة للقزوينى ـ ط بيروت ـ جزآن ١٩٧٠ ٠

٢ ـ أسرار البلاغة للجرجانى ـ تحقيق خفاجى ـ مكتبة القاهرة ٠

٣ ـ دلائل الاعجاز للجرجانى ـ تحقيق خفاجى ـ مكتبة القاهرة ٠

٤ ـ الوساطة لعلى بن عبد العزيز ـ طبعة صيدا ـ لبنان ٠

٥ ـ العمدة لابن رشيق ـ تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ٠

٦ ـ فحولة الشعراء للاصمعى ـ القاهرة ـ ١٩٥٣ ٠

٧ ـ نقد الشعر لقدامة ـ نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨ ٠

٨ ـ قواعد الشعر لثعلب ـ طبع مكتبة مصطفى الحلبى ـ ١٩٤٨ ٠

٩ ـ طبقات النحويين البصريين للسيرافى ـ مكتبة الحلبى ١٩٤٨ ٠

١٠ـ البديع لابن المعتز ـ مكتبة الحلبى ١٩٤٦ ٠

١١ـ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ـ مكتبة الخانجى ١٩٣١ ٠

١٢ـ البيان والتبيين للجاحظ ـ تحقيق السندوبى ـ نشر التجارية ٠

١٣ـ فن القول ـ الخولى ـ القاهرة ١٩٥٦ ٠

١٤ـ البلاغة العصرية ـ سلامة موسى ٠

١٥ـ البلاغة العربية فى دور نشأتها ـ سيد نوفل ـ القاهرة ٠

١٦ـ الشعر المعاصر على ضوء الشعر الحديث ـ مصطفى السحرتى ـ القاهرة ١٩٤٨ ٠

١٧ـ النقد العربى الحديث ومذاهبه ـ خفاجى ـ مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٦ ٠

١٨ـ تحرير التحبير لابن أبى الاصبع ـ تحقيق حفنى شرف ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

١٩ـ المثل السائر لابن الأثير ـ د٠ طبانة ، و د٠ الحوفى ـ مكتبة مصر ـ الفجالة ٠

٢٠ـ عيار الشعر لابن طباطبا ـ تحقيق محمد زغلول سلام ـ ١٩٥٦ ٠

٢١ـ البلاغة تطور وتاريخ ـ د ٠ شوقى ضيف ـ دار المعـارف بالقاهـرة

٢٢ـ الأسس الفنية للنقد الأدبى ـ د٠ عبد الحميد يونس ـ دار المعرفة ٠

٢٣ـ فى النقد الأدبى ـ د٠ شوقى ضيف ـ دار المعارف ٠

٢٤ـ الاعلام والاتصال بالجماهير ـ د٠ ابراهيم امام ـ مكتبة الأنجـلو المصرية ٠

٢٥ـ الأسس العلمية لنظريات الاعلام ـ د ٠ جيهان شتى ـ دار الفكر العربى ٠

٢٦ـ المدخل الى وسـائل الاعـلام ـ د ٠ عبد العزيز شرف ـ دار الكتـاب اللبنانى ـ القاهرة ٠

٢٧ـ فى اللغة والأدب ـ د ٠ ابراهيم بيومى مدكور ـ دار المعارف (سلسلة إقرأ) ٠

فهرست الكتاب

الموضـــــــوع	صفحـة
مقـــــدمة	٣
الباب الأول : علوم البلاغة العربية ـ لماذا وضعت	٢٧ ـ ٤٤
تاريخ الفـكر البيـــانى	٢٩
اهمية دراســـة البلاغـــة	٣٣
التاليف فى البـــلاغة	٣٣
أوائل البـــلاغيين	٣٤
جهـــود النقـــاد	٣٥
أول مؤلف فى البـــلاغة	٣٥
مدارس بلاغيـــة	٣٦
تراجم لشـــيوخ البلاغة	٣٧
الباب الثاني : الفصاحة ـ البلاغة ـ نحو بلاغة جديدة	٤٥ ـ ٨٤
الفصاحة : فصـــاحة المفـــرد	٤٧
ـــ فصاحة الكلام	٥٠
ـــ فصاحة المتكلم	٥٢
ـــ معنى البـــلاغة	٥٢
ـــ نحو بلاغة جـديدة	٥٧
مطالب البلاغة الجـــديدة	٨١
الباب الثالث : البلاغة فى نظرية الاعلام	٨٥ ـ ١٠٤
البلاغة فى نظـــرية الاعـــلام	٨٧

الموضــــــــوع	صفحــة
عمليـــة الاتصال بالجمـــاهير	٨٩
الوظائف البلاغية ومستويات التعبير	٩٦
أنواع الاتصــال الاقنــاعى	٩٧
بلاغة الكلام : الرسالة الرمزية	١٠٢
بلاغة المتكلم ـ مراتب البـــلاغة	١٠٣
بين الفصــاحة والبـــلاغة	١٠٤
الباب الرابع : علــوم البلاغة	١٠٥ ـ ١٢٢
علــوم بلاغيـــــة	١٠٧
شواهد لمطـابقة الكلام لمقتضى الحال	١٠٧
شـــواهد للكلام البليغ	١٠٨
وسائل الاعــلام امتدادات بلاغية	١١٧
آراء مأثورة فى البـــلاغة	١١٣
الباب الخامس : علم المعانى فى البلاغة العربية	١٢٣ ـ ١٣٦
بحـــوث علم المعــــانى	١٢٥
الخبر والانشــــاء	١٢٦
أحوال الاســـناد الخبرى	١٢٧
أغــراض الخبـــر	١٢٨
المجـــاز العقـــلى	١٣٠
المســـند اليـــه	١٣١
المســــند	١٣٢
متعلقات الفعل ـ أسـلوب القصر	١٣٣
الفصل والوصل ـ الايجاز والاطناب والمســاواة	١٣٤

الموضـــــوع	صفحـة
الباب السادس : البيـــــان	١٣٧ ـ ١٥٦
البيـــــان	١٣٩
بحـــوث عـلم البيـــان	١٤٢
التشـــــبيه	١٤٣
المجاز ـ المجــاز المرســـل	١٥٠
الاســـــتعارة	١٦٣
الكنـــــــاية	١٥٣
الفــروق بين التشبيه والمجاز والكناية	١٥٦
الباب السابع : البـــديع	١٥٧ ـ ١٧٣
ـــ البـــديع وأقســـامه	١٥٩
ـــ المحسنات اللفظية	١٦٠
ـــ المحســنات المعنوية	١٦٤
متى تحسن المحســـنات البـديعية	١٧٢
الباب الثامن : البلاغة العربية ومكانها من حركات التجديد	١٧٥ ـ ١٨٤
الخاتمـــة	١٨٦

